المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة



التربية الجهادية في الإسلام

"من خلال سورة الأنفال"

رسالة مكملة لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التربية الإسلامية والمقارنة من كلية التربية بجامعة أم القرى
مكة المكرمة

إعداد الطالب
أحمد تالي إدريس
إشراف الدكتور
عنتر لطفي محمد

الفصل الدراسي الثاني
عام ١٤١٠ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم
ربنا
عليك
توكلنا
وإليك أنبنا
وإليك المصير
وبه نستعين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

سُورَةُ التَّوبَة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفّ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

سُورَةُ التَّوبَة

(قائمة المحتويات)

(الفصل الثاني)

مفهوم التربية الجهادية وأهميتها

(الفصل الثالث)

(الجهاد في سورة الأنفال)

* المبحث الأول : (الجهاد في سورة الأنفال)

* المبحث الثاني :

(الفصل الرابع)

(واجب المؤسسات التربوية المختلفة في التربية الجهادية)

* المبحث الأول :
(واجب الأسرة في التربية الجهادية)

يشمل الخطوات النظرية :

الخطوات العملية :

* المبحث الثاني :
(واجب المدرسة في التربية الجهادية)

الخطوات النظرية :

(فهرس الآيات حسب ورودها في البحث)

(فهرس الأحاديث حسب ورودها في البحث)

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* مقدمـــــــــــــة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة ومربّيا للعالمين ، سيدنا محمد الّذي جاهد في الله حقّ جهاده وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فان التربية الاسلامية تنظر إلى الانسان نظرة شاملة متكاملة ، في إطار واحد يضمّ جوانب شخصية الإنسان الجسمية والعقلية والروحية ، إنها تربية تهدف إلى تنشئة المؤمن الصالح الّذي يؤدّي رسالته في الحياة بأمانة وإخلاص ، الى إخراج الأمة المسلمة الّتي تقيم منهج الله تعالى في الأرض . ولكن هذا الهدف لايتحقق إلا إذا وجد الفرد من يحسن تربيته وتنشئته .

يقول في ذلك عبد الرحمن نحلاوي في كتابه التربية الاسلامية والمشكلات المعاصرة (١٤٠٥هـ) :

" إن التربية الاسلامية تمتاز عن سائر أشكال التربية الأخرى بخصائص ومميّزات مشتقة من خصائص الإسلام نفسه ، فهي ربّانية المصدر ،ثابتة الأسس ، موافقة للفطرة ، شاملة شمول الإسلام ،معتدلة ، متوازنة ،مرنة ،موحّدة للطاقات البشرية في نطاق الفرد والجماعة كاملة ،ذات أصالة وفضل على جميع أشكال التربية في العالم " .(ص ٨١)

والتربية الاسلامية تربية كلية شاملة ترمي إلى تحقيق الإنسجام والتوازن ، والتكامل في كل مايتصل بطبيعة الإنسان ، ومعيشته واحدا من أفراد الأمة الاسلامية . إذ أنها ترمي إلى تحقيق الإنسجام الكامل ، والتماسك في كيانه الانساني وفي بيئته الاجتماعية ، وفي صلاته بالكون والحياة في إطار العبودية الخالصة لرب العالمين .

ومن أعظم مهام التربية الاسلامية تنشئة الأجيال على الإعتزاز بالعقيدة الاسلامية والعمل بها ، وبذل الجهد في نشرها ، وهذا هو الهدف الأساسي من الجهاد .

يقول الله تعالى لبيان ذلك الهدف : ﴿ هو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون ﴾ التوبة/٣٢

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم الهدف الأساسي من الجهاد في حديث رواه البخاري رحمه الله تعالى : (عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرّجل يقاتل للمغنم ، والرّجل يقاتل للذّكر ، والرجل يقاتل ليُرى مكانُه فمن في سبيل الله ؟ قال : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله ")(كتاب الجهاد ، رقم ٢٦٥٥ ٠)

ولقد اهتم الاسلام إهتماما بالغا بإعداد المجاهد المؤمن ،وباعداد القوّة بكل أنواعها ، قال تعالى : ﴿ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ... ﴾ (الأنفال / ٦٠٠)

ويقول في ذلك محمد شديد في كتابه «الجهاد في الاسلام» (١٤٠٤هـ):

> " وهكذا يسير الاسلام في إعداد الجندي المؤمن، فيردّه بالتوحيد إلى فطرته ، ويحرّر وجدانه من الذّل والخوف ، ويصله بربّه صلة مباشرة يستمدّ منه العون ، والتأييد والقوة ،ويضمن له النّصر والتمكين في الدّارين ٠ وبهذا يحسّ المؤمن أن حياته كلها جهاد ، وأنه فيها مجاهد من جنود الحق ٠(ص ٦٤ ٠)

والتربية الاسلامية دعوة لجهاد دائم وكفاح مستمر ، ونضال لا ينقطع ، وصراع دائم بين أهل الحق وأهل الباطل ، ولذلك نجدها تضع منهجا متكاملا لإعداد دائم تغيير حياة المؤمن كلّها جهادا ونضالا وكفاحا ، ولايمكن أن يتحقق هذا المنهج إلا إذا شعر المؤمن أن الحياة وجدت فعلا لتكون جهادا مستمرا ، وانبثق ذلك عن إيمانه وعقيدته ودينه وكتابه٠

والواقع أن الجهاد أمر ضروري لتمكين دين الله تعالى وعباده المؤمنين في الأرض ، ولبقاء المسلمين أمة قويّة مرهوبة الجوانب ،كما أنّ ـ

تركه سبب الذّل والهوان والمسكنة ،وضياع الدّيار واستيلاء الكفّار على بلاد المسملين .

إن تربية الأجيال على الجهاد مسئولية المؤمنين جميعا ،والعبء الأكبر في هذه المسئولية يقع على عواتق المسئولين عن التربية والتعليم، وعلى رأسهم الدّولة والأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الاعلام ،وسائر المؤسسات التربوية الاجتماعية التي لها تأثير في تربية الأجيال وتنشئتها.

ولذلك قسم الباحث هذا البحث إلى أربعة فصول ، وفصل تمهيدي :

* الفصل التمهيدي : تحدث الباحث عن أهمية البحث ومشكلاته وأهدافه وحدوده وتعريف مصطلحات البحث ومنهج الدراسة ، كما تحدث عن الدّراسات السابقة المتعلقة بموضوع دراسته.

* وأما الفصل الأول : تحدث فيه الباحث عن مفهوم الجهاد وتعريفه لغة واصطلاحا ، وبيان تعريفات الفقهاء والمحدّثين والمفسرين وغيرهم من العلماء مع ترجيح الرأي الرّاجح منها ، كما تحدث عن حكم الجهاد بين فرضيّته عينيّا وكفائيّا، في حالة الابتداء والطلب وفي حالة الاستفسار، مع بيان أقوال الفقهاء من المذاهب الأربعة المتّبعة.

ثم تكلم الباحث عن مراحل تشريع الجهاد بين مرحلة الإعداد والتربية - وهذه المرحلة تعتبر مرحلة المنع من القتال - وبين مرحلة الإذن بالقتال ، ثم أتبع الباحث ببيان مرحلة فرضيّة القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط ، ثم مرحلة فرضية جهاد غير المسلمين كافة على اختلاف أديانهم وأجناسهم.

ولقد أتبع الباحث هذا المبحث بتعليق عن حكم الجهاد في الوقت الرّاهن . ثم تحدث الباحث أيضا عن فضل الجهاد في سبيل الله تعالى وفضل المجاهدين ، ومنزلة الشّهداء عند ربّهم وكذلك فضل الإنفاق في سبيل الله تعالى ، مع بيان العتاب لمن ترك الجهاد، وقعد عنه.

ثم تكلم الباحث عن أنواع الجهاد في الاسلام ، مقتصرا على جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد المنافقين وجهاد الكفار نظرا لأهمية هذه الأنواع من الجهاد في الإسلام .

كما تحدث الباحث عن أهداف الجهاد في الاسلام ، وقد ركز في ذلك على الأهداف الرئيسية وهي : إقامة منهج الله تعالى في الأرض ، وتبليغ دعوة الإسلام إلى العالم ، ودفع عدوان الكافرين وحماية المظلومين والمستضعفين ، وابتلاء المؤمنين ونيل الشهادة في سبيل الله تعالى ، والحصول على الغنيمة الفيء ... الخ من الموارد المالية الجهادية التي تفيد المسلمين ماليًا في سبيل نشر الدين الاسلامي في جميع أنحاء العالم . وإن هذه الأهداف كلها يشملها قوله صلى الله عليه وسلم :(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تعالى) .

ثم تحدث الباحث عن تحريف معنى الجهاد في الوقت الحاضر وبيّن أهم وجوه التحريف في ذلك ، وقد علّق عليها بشيء من الرّد مبيّنا في ذلك وجهة الصّواب ، واختتم الفصل ببيان أبديّة الجهاد إلى يوم القيامة مادام أن هناك صراعا بين أهل الحق والباطل .

* وأما الفصل الثاني : فقد تحدث الباحث فيه عن مفهوم التربية الجهادية في الاسلام وقد بين في ذلك أبعادها وعناصرها وتحديدها ، وتعريفها إجرائيا كما يستخدم في البحث.

كما تحدث عن أهمية التربية الجهادية للفرد والجماعة ،والأمة من الناحية العقدية الإيمانية والإقتصادية والسياسيّة والاجتماعيّة .

وفي ختام الفصل قدّم الباحث بعض النماذج والصّور التطبيقية الحيّة للتربية الجهادية من سيرة الصّحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

* وفي الفصل الثالث : درس الباحث فيه مفهوم الجهاد كما جاء في سورة الأنفال ، وكما تحدث عن منهج تربية المجاهدين كما جاء في السورة الكريمة ، وذلك للتعرف على أساليب إعداد الصحابة الكرام إعدادا جهاديا .

* وأما في الفصل الرابع : فتحدث الباحث فيه عن واجب المؤسسات التربوية المختلفة نحو التربية الجهادية ، وركز في ذلك إهتمامه على أربع مؤسسات ، وهي الأسرة والمدرسة ،والمسجد ،ووسائل الاعلام . وتكلم بشيء من التفصيل لتحديد واجب تلك المؤسسات لإعداد الشباب المسلم إعدادا جهاديا .

وفي الختام ذكر الباحث أهم النتائج التي توصل إليها من خلال بحثه ، كما تقدم بعدة توصيات عسى أن ينتفع بها يوما من الأيام .

الفصل التمهيدى

** خطة البحث **

ويشتمل هذا الفصل على :

١ ـ أهمية البحث .

٢ ـ مشكلة البحث وتساؤلاته .

٣ ـ أهداف البحث .

٤ ـ حدود البحث .

٥ ـ سبب إختيار سورة الانفال للدراسة .

٦ ـ تعريف المصطلحات .

٧ ـ منهج البحث .

٨ ـ الدراسات السابقة .

أهمية البحث

إن المسلمين الذين أخرجهم الله تعالى من ظلمات الشرك والكفر والعصيان إلى نور الهدى والايمان لم يصلوا إلى العز والكرامة الا بالاسلام والإسلام لايعز إلا بالجهاد . وإذا قعد المسلمون عن الجهاد وتخلوا عنه فإنهم يفقدون تلك الصفات ويقعون فى استعباد ويصبحون أذلاء بعد ماكانوا أعزة . ويترتب على ترك الجهاد عذاب الله الأليم ، قال تعالى :
﴿ إلاّ تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدلْ قوما غيركم ولاتضرّوه شيئا والله على كل شىء قدير ﴾ التوبة / ٣٩ .

ويقول فى ذلك عبد الله أحمد قادرى فى الجهاد فى سبيل الله (١٤٠٥ هـ) : " والذى يراجع تاريخ المسلمين فى جميع العصور يرى أنهم متى تركوا الجهاد فى سبيل الله تعالى أذلهم الله لأذل خلقه وجعلهم فى أسوأ حال لتخليهم عن أمره سبحانه وتعالى لهم بقتال عدوهم وإذلاله بالجهاد فى سبيل الله تعالى "(ج ٢ ، ص ٥٠٢) .

ولقد وعى الصحابة الكرام هذا المعنى وعيا كاملا ، وهو أن ترك الجهاد فى سبيل الله تعالى فيه ذل للمسلمين ، ولذلك ما قعدوا يوما من الأيام عنه ، بل سعوا إليه عن طيب نفس باذلين أنفسهم وأموالهم فى سبيله .

إن اعداد الأجيال المسلمة يجب أن يكون دائما مسلحا بالإيمان والقوة والعزيمة والتصميم على الجهاد ، والفداء والتضحية فى سبيل الله تعالى لنشر الدين الاسلامى إلى العالم وإسترداد الحقوق المغتصبة والدفاع عن المقدسات .

يقول فى ذلك اسحق أحمد فرحات فى أزمة التربية فى الوطن العربى (١٤٠٦ هـ) : " وفلسطين التى احتلها اليهود فى عصرنا الحاضر ، تمثّل قمة التحدى الصهيونى لكل عربى ومسلم فى هذا القرن ، كما تمثّل منطلق الأمل فى الجهاد والنصر إن شاء الله تعالى " . (ص ٦٤)

كما يقول فى هذا العدد عبد الرحمن نحلاوى فى التربية الاسلامية والمشكلات المعاصرة (١٤٠٥هـ) :

" ولقد أعد الله تعالى لأجيال الاسلام أسلوب التربية بالجهاد فى كل الأحوال : سلما وحربا : جهاد النفس وجهاد الكفار . فماذا طبقنا من هذه التربية فى مدارسنا ؟ أم أننا تركنا الجهاد واخلدنا الى الارض ؟ وماترك قوم الجهاد إلا ذلّوا " . (ص ١٩٠) .

وترجع أهمية هذا البحث إلى أنه يحقق بمشيئة الله تعالى مايلى :

١ ـ يستفيد منه القائمون والمسئولون فى مجال التربية والتعليم تخطيطا وتنفيذا .

٢ ـ يستفيد منه القائمون على تربية الجنود ، مثل : المدارس والمعاهد العسكرية ، والكليات الحربية ... الخ .

٣ ـ يستفيد منه كل مسئول فى مجال التربية ، مثل : الأسرة وأئمة المساجد والمرشدون .

٤ ـ يدعو القائمين على وسائل الاعلام المختلفة إلى ضرورة إعداد برامج فى التربية الجهادية وذلك لاعادة الروح الجهادية فى قلوب الناس .

مشكلة البحث وتساؤلاته :

لقد ابتعد كثير من الناس اليوم عن دين الله تعالى ،واقتصروا على جانب منه مع إهمال الجوانب الأخرى ، ومن هذه الجوانب التى أهملت روح الجهاد والفداء والتضحية بالنفس والمال فى سبيل الله ، فلا بد من اعادة هذه الروح اليهم ،وغرسها فى نفوسهم بطرق تربوية كما حدث فى عصر النبوة .

يقول فى ذلك عبد الله ناصح علوان فى تربية الأولاد فى الاسلام (١٤٠١هـ) :

" ومن المسائل الخطيرة والمهمة التى يجب أن يهتم بها المربّون تعميق

روح الجهاد فى نفوس الناشئة،وترسيخ معانى العزة والكرامة ، والمصابرة فى فكره ، ومشاعره ، عسى أن يستعيدوا بجهادهم عزّ الاسلام ومجد المسلمين " (ج ٢ ، ص ١٠٨٨) .

إن الأمة الاسلامية صاحبة عقيدة ورسالة ، تبشر عنها باللسان والقلم وتقنع بها بالعمل والمعاملات وتقديم المثل العليا من الأقوال والأعمال وتدافع عنها بكل وسيلة بالفكر والقوة،ولذلك يجب إعداد الأجيال إعدادا جهاديا حتى تقوم بهذه الأعمال والممارسات خير قيام .

يقول فى ذلك عبد الرحمن نحلاوى فى «التربية الاسلامية والمشكلات المعاصرة» (١٤٠٥ هـ) :

" ولحل هذه المشكلة يترتب على التربية الاسلامية إعداد المجاهدين وتعبئة قواهم الفكرية والجسدية باستمرار وطاقاتهم النفسية للجهاد ، وتوجيههم الوجهة التى تجعلهم يجاهدون فى سبيل الله ، لايحيدن عنها ، ولاينسونها ولا يتوانون أو يضعفون عن تحقيقها ، مهما كانت العقبات ومهما تضافرت عليهم المصائب والنكبات ، وهذا لايكون إلا بإعداد تربوى خاص ، له أساليبه وخطواته وأسسه وركائزه الّتى نقتبسها من الإسلام " (ص ١٨١) .

وفى ضوء ذلك يمكن صياغة مشكلة البحث فى التساؤلات الآتية :

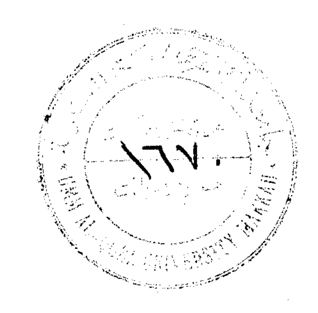
١ ـ مامفهوم التربية الجهادية فى الإسلام ؟

٢ ـ ماهو أثر اهمال التربية الجهادية على المجتمع المعاصر ؟

٣ ـ ماهى أهم التوجيهات التربوية الجهادية فى سورة الأنفال ؟

٤ ـ ماهى السبل إلى اعادة الروح الجهادية إلى المسلمين ؟

٥ ـ ماهو واجب المؤسسات التربوية المختلفة التربية الجهادية ؟



أهداف البحـــــث

ويهدف البحث إلى تحقيق مايأتـــــى :

١ـ توضيح مفهوم التربية الجهادية فى الإسلام وبيان أهميتها .

٢ ـ بيان أثر إهمال التربية الجهادية على المجتمع الإسلامى .

٣ ـ التعرف على التوجيهات التربوية فى سورة الأنفال .

٤ ـ بيان السبل إلى اعادة الروح الجهادية إلى المسلمين .

٥ ـ توضيح مفهوم الجنوح للسّلْم كما جاء فى سورة الأنفال .

٦ ـ تحديد واجب المؤسسات التربوية المختلفة فى التربية الجهادية .

حـــــدود البحث

ان مفهوم الجهاد فى الإسلام مفهوم عام وشامل، يقول فى ذلك ابن رشد فى «المقدمات الممهّدات» (١٤٠٠ هـ) :

" وقد يطلق الجهاد فى النصوص الشرعية على الجهاد فى سبيل اللـــــه بقتال الكفار وغيره ، إلا أن الجهاد فى سبيل الله إذا أطلق فلا يقـــــع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا فى الإسلام أو يعطـــــوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (ص ٣٦٩) .

ويشتمل البحث على الجهاد بصفة عامة فى سورة الأنفال وتقديم فكـــرة موجزة عن الجنح للسّلْم كما جاء فى السورة الكريمة . لأنها وطيدة العلـــة بالبحث .

سبب اختيار سورة الأنفال :

إن هذه السورة الكريمة عنيت بالجهاد والغزوات فى سبيل الله عز وجل . وتضمنت أيضا كثيرا من التشريعات الحربية والإرشادات الإلهية للمؤمن أثناء القتال أو قبله أو بعده .

يقول فى ذلك محمد على الصابونى فى صفوة التفاسير (١٤٠٣ هـ) :

" وتناولت أيضا جانب السلم والحرب وأحكام الأسرى والغنائم ثم إن هذه السورة الكريمة نزلت بعد غزوة بدر الكبرى التى كانت فاتحة الغزوات فى الإسلام ولقد سميت بسورة الجهاد . " (ج ١ ، ٤٩١) .

والحق أن هناك سورا أخرى تتعلق بالجهاد مثل : سورة التوبة والأحزاب وسورة محمد (صلى الله عليه وسلم) وغيرها من السور ، كما أن هناك كثيرا من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، ذات الصلة الوطيدة بموضوع الجهاد ولكن المقام لايتيح لي الفرصة للتوسع فى تتبع ذلك كله والوقوف عليه .

وكما أن هناك عدة دراسات تتعلق بموضوع الجهاد من كل جوانبه ، وما أردت بالاقتصار على سورة الأنفال الا لتحديد الموضوع تحديدا دقيقا وكما أردت وأن أعيش فى جوّ هذه السورة الكريمة العطرة .

تعريف المصطلحات :

١ ـ " الجهاد " : وسيأتى تعريفه لغة وشرعا عند بداية الفصل الأول ان شاء الله تعالى .

٢ ـ " جهاد النفس : قال ابن قيم الجوزية فى زاد المعاد (١٤٠٧ هـ) :

" هو أن يجاهد العبد نفسه ليسلم قلبه ولسانه وجوارحه لله تعالى فيكون كله لله تعالى ، وبالله تعالى ، لا لنفسه ولا بنفسه "(ج٣،ص ٨)

ويقول ابن حجر فى الفتح (١٣٧٨ هـ) : " فأما مجاهدة النفس فتطلق على تعلم أمور الدين ثم العمل بها ، ثم على تعليمها " . (ص ٣٤٣ .

ولقد عرّفه عبد الله بن أحمد قادري في «الجهاد في الإسلام» (١٤٠٥ هـ) بقوله : " اخضاع النفس في صراط الله المستقيم وكبح جماحها من أن تشذ عن طاعته سبحانه وتعالى إلى معصيته وطاعة عدوه الشيطان الرجيم ".

(ج ١ ، ص ٣١١) .

وخلاصة القول أن جهاد النفس هو أن يجاهد العبد نفسه للسير في طاعة الله تعالى وذلك بامتثال الأوامر واجتناب النواهي والتحلّي بالمكارم والتخلّي عن الرذائل .

٣ ـ التربية الجهادية : يقصد بها الباحث : " تنشئة الفرد المسلم على الاعتزاز بدينه والعمل به ، والدعوة اليه ، وبذل الجهد في نشره وأن يكون مسلحا دائما بالصبر والثبات ، والعزيمة ، وروح الفداء والتضحية في سبيل الله ، وأن يكون مستعدا للجهاد المستمر بكل ما أوتي من امكانات ، مادية أو معنوية ، مراعيا في ذلك متطلبات العصر الذي يعيش فيه وملتزما بالأحكام الشرعية الجهادية ، وذلك لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلي . "

منهج البحث :

وسوف يستخدم الباحث في بحثه المنهج الوصفي ، وهو كما يعرّفه ذوقان عبيدات وزملاءه في «البحث العلمي» : هومايعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبر عنها تعبيرا كيفيا أو كميا " . ص ١٨٣ .

وطريقة تحليل المحتوى ، يقول في تعريفها جابر عبد الحميد وأحمد خيري كاظم في «مناهج البحث في التربية وعلم النفس» (١٩٧٨م) نقلا عن برلسون " بأنه أسلوب في البحث لوصف المحتوى الظاهر للإتصال وصفا موضوعيا منظما وكميا " (ص ١٦٤) .

وسيستفيد الباحث ايضا من المنهج التاريخي بالرجوع إلى مصادر السيرة النبوية الشريفة وكتب المغازي .

وذلك من خلال الإجراءات التالية :

١ ـ توضيح مفهوم الجهاد وأنواعه فى الإسلام ٠

٢ ـ استنباط التوجيهات التربوية الجهادية المتضمنة فى سورة الأنفال ٠

٣ ـ تحديد واجب المؤسسات التربوية المختلفة فى التربية الجهادية ٠

الدراسات السابقة

لم يجد الباحث على حد دراسته في قوائم عناوين الرسائل الجامعية ، دراسة تطرقت إلى التربية الجهادية موضحة أهمية التربية الجهادية في تربية الناشئة .

وهناك عدة دراسات لها علاقة بموضوع بحثنا هذا .

وسيعرض الباحث أهم هذه الدراسات على النحو التالي :

١ - الجهاد في سبيل الله ، حقيقته وغايته (١) :

والغرض من الدراسة كما وضحه الباحث هو تبصير المسلمين بثمرات إقامة الجهاد وأضرار القعود عنه والسعي لإعادة الروح الجهادية في نفوس المسلمين .

* نبذة مختصرة عن الدراسة :

اشتمل البحث على مقدمة وأربعة أبواب ، وقام بدراسة مشروعية الجهاد وبعض أحكامه مبينا أنواعه ، ثم تطرق إلى بواعث الجهاد ومعوقاته وإلى بيان بعض صفات المجاهدين . وشرح غاية الجهاد في سبيل الله ببيان أهدافه، ثم تطرق الى بيان طريقة اعادة الروح الجهادية الى المسلمين ، وركز اهتمامه بالحث على اقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته والسعي إلى إقامة الخلافة الاسلامية والتي تجمع شمل المسلمين . وعرض في نهاية البحث لثمرات الجهاد فأضرار القعود عنه .

وأما نتائج البحث فهي :

١ - لاقيام لهذا الدين إلا بالجهاد في سبيل الله تعالى .

٢ - إن الجهاد في الإسلام يشمل نشاط الاسلام كله .

---

(١) عبد الله بن أحمد القادري : رسالة الدكتوراه المقدمة لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض عام : ١٤٠١ هـ باشراف الشيخ مناع خليل القطان ، والرسالة مطبوعة بدار المنارة : جدة عام ١٤٠٥ هـ — (مجلدان) .

٣ - إن للجهاد بواعث كما أن له معوقات .

٤ - إن للمجاهدين صفات لابد من توافرها .

٥ - إن للجهاد غاية عليا وهى إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى .

ويظهر الفرق بين هذا البحث والبحث الذى نحن بصدده فيما يلى :

١ - يهدف الباحث إلى بيان حقيقة الجهاد وغايته وأهميته وثمراته كما هو المعروف من عنوان البحث . وتطرق إلى وجوب إعادة الروح الجهادية إلى المسلمين ولكنه لم يدرس هذه المشكلة من الناحية التربوية .

٢ - أما البحث الحالى فانه يركز على أهمية التربية الجهادية لدى الناشئة وتحديد دور المؤسسات التربوية المختلفة فى التربية الجهادية . وسوف أستفيد من هذه الدراسة عند دراستنا لمفهوم الجهاد وأهميته فى الإسلام إن شاء الله تعالى .

*** الدراسة الثانية :

منهج تربية المجاهدين فى المدرسة النبوية . (١)

واختار الباحث هذا الموضوع لأسباب منها :

١ - احساسه بهذا الموضوع جانبا تربويا .

٢ - قلة البحوث فى التربية العسكرية .

٣ - إن منهج تربية المجاهدين فى المدرسة النبوية منهج فريد .

* ويشمل البحث أربعة أبواب :

* نبذة مختصرة عن الدراسة : -

لقد تحدث الباحث فى مقدمة بحثه عن أنواع الجهاد وأهدافه ومشروعيته ، ثم تناول التربية الروحية والعقلية والجسمية والعسكرية والاجتماعية ، وذكر أن أساليب المدرسة النبوية غطت كل هذه النواحى .

---

(١) محمد سميح عبيد الله ، رسالة الماجستير المقدمة إلى قسم المناهج وطرق تدريس بكلية التربية جامعة أم القرى عام ١٤٠١ هـ بإشراف الدكتور عثمان أحمد محمد عبد الوهاب .

ثم بين أهم أساليب التربية النبوية بالتركيز على تربية المجاهدين بالوصية • ثم ناقش الباحث سبعة مواقف للشورى فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه، وأفرد فصلا للمنافقين وسمّاه بجهاد المنافقين ذكر فيه أساليب وأنواع العقوبات التى يجابهون

الله عليه وسلم وأصحابه •

وفى الختام تحدث عن النواحى المالية والفنية والإدارية وذلك فى القيادة العسكرية • وبين أيضا بعض أحكام الأسرى

* ويظهر الفرق بين هذه الدراسة ودراستنا هذه فيما يلى :

١ – إن الباحث رغم قوله أنه سيركز فى دراسته على الناحية التربوية الجهادية فإنه لم يركز على أساليب التربية الجهادية غير الوصية والشورى ، ثم ركز اهتمامه على النواحى المالية والفنية والادارية •

٢ – وأما بحثي هذا فيتركز إن شاء الله تعالى على دراسة الجهاد من الناحية التربوية واستنباط التربية الجهادية من منبعها الاصلي وبيان أهميتها لدى الناشئة وتحديد دور المؤسسات التربوية المختلفة •

** الدراسة الثالثة :

أهمية الجهاد فى نشر الدعوة الاسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه • (١)

* الهدف من البحث :

هو بيان أهمية الجهاد فى نشر الدعوة وبيان تحريف معنى الجهاد من قبل بعض الفرق ، وبيان وجوب تصحيحها •

---

(١) على بن نفيع العليانى : رسالة الدكتورة المقدمة إلى قسم العقيدة لكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى : عام ١٤٠٤ هـ ،والرسالة مطبوعه بدار طيبة • عام ١٤٠٥ هـ بإشراف الشيخ محمد قطب •

* نبذة مختصرة عن الدراسة :

تحدث الباحث عن منهج الدعوة إلى الله قبل تشريع الجهاد القتالى وبين آن الرعيل الأول تحمل أعباء الدعوة،ثم تحدث عن منهج الدعوة إلى الله تعالى بعد تشريع الجهاد القتالى مبينا تعريف الجهاد وحكمه ومراحل تشريعه وأهدافه وغايته ٠

ثم تكلم عن آثر الجهاد فى نشر الدعوة الاسلامية ذكر بعض الصور الجهادية للصحابة الكرام رضى الله تعالى عنهم وتحدث عن موقف تلاميذ الاستشراق والإستعمار من أحكام الجهاد ورد على شبههم ، وبين آن الجهاد فى الإسلام لايقتصر على جهاد الدفع وانما يشمل الدفع والهجوم معا ٠

ثمّ رد على الدعوة القومية ، والوطنية ، والإنسانية والسلام العالمى ٠

وختم بحثه ببيان أفكار بعض الفرق مثل المرجئه ، والصوفية ،والشيعية والجبرية ، والقاديانية والبهائية فى بعض آحكام الجهاد ورد عليهم وذكر آن هذه الفرق قد ضلت فى أحكام الجهاد وحرّفت معانيه الأساسية ٠

* وأما نتائج البحث فكانت :

١ ـ الواجب على الدعاة إلى الله تعالى اتّباع منهج الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

٢ ـ إن الإبتلاء سنة ربانية فى طريق الدعوة إلى الله تعالى ٠

٣ ـ إن الجهاد القتالى مرحلة حتمية من مراحل الدعوة إلى الله تعالى ٠

٤ ـ إن جهاد المرتدين عن الإسلام أولى من جهاد الكفار ٠

٥ ـ وجوب تصحيح معنى الجهاد ووجوب صيانة معانيه وأهدافه ٠

ويظهر الفرق بين هذه الدراسة ودراستنا هذه فيما يلى :

١ ـ لقد ركز الباحث على دراسة آهمية الجهاد فى نشر الدعوة الاسلامية واهتم بالرد على الفرق الضالة وعلى المستشرقين والمستعمرين فى بعض أحكام الجهاد ٠

٢ ـ وأما الدراسة الحالية فسوف تركز إن شاء الله تعالى على دراسة الجهاد من الناحية التربوية ، ودراسة وجوب غرس الروح الجهادية في الناشئة .وسوف أستفيد من هذه الدراسة عند بياننا لأهمية الجهاد إن شاء الله تعالى .

**** الدراسة الرابعة :

الجهاد في القرآن الكريم . (١)

* الهدف من الدراسة :

هو بيان ضعف المسلمين وضياع حقوقهم واغتصاب أوطانهم هو بسبب تركهم الجهاد في سبيل الله تعالي » وبيانه أنه لايمكن اكتساب القوة الا بالرجوع الى منهج الله وهو الجهاد في سبيل اللهتعالي .

* نبذه مختصرة عن الدراسة :

تحدث الباحث في مقدمة بحثه عن حكمة الجهاد وأنواعه مبينا أن الجهاد يشمل جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكفار والمنافقين .

ثم تكلم عن مراحل الجهاد قبل الهجرة وبعدها ورد على بعض شبه المستشرقين والمبشرين في أحكام الجهاد .

ثم ركز اهتمامه في بيان فضل الجهاد وبيان تركه والنتائج المترتبة على ذلك ثم تحدث عن عوامل النصر في الاسلام موضحا أهمية اعداد المقاتلين ، وتأسيس الأخوة بين الجنود واعداد العدة واختيار القواد الأكفاء . ثم ذكر بعض صفات المجاهدين مثل : الطاعة ، والاخلاص ، والتوكل على الله تعالى وذكر الله عز وجل ، والصبر ، وبين أن تطبيق هذه الصفات من عوامل النصر في سبيل اللهتعالي وختم بحثه ببيان تحريم الفرار يوم الزحف .

---

(١) ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني : رسالة الماجستير المقدمة الى كلية الشريعة قسم الكتاب والسنة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة عام ١٣٩٨هـ باشراف الدكتور / عبد العظيم أحمد الغباشي .

* وأما نتائج البحث فهي :

١ ـ إن ضعف المسلمين اليوم هو بسبب تركهم الجهاد فى سبيل الله تعالى

٢ ـ وجوب مجاهدة النفس والشيطان .

٣ ـ غاية الجهاد فى سبيل الله تعالى أولا للدفاع عن المسلمين ثم محو الشرك من الارض .

٤ ـ ان مقصود المستشرقين والمبشرين تنفير العالم من الجهاد .

٥ ـ إن الجهاد فى سبيل الله تعالى مصدر عز المسلمين .

٦ ـ إن طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من أسباب النصر .

ويظهر الفرق بين هذه الدراسة والدراسة الحالية والتى نحن بصددها الآن فيما يلى :

١ ـ إن الباحث اهتم بدراسة أهمية الجهاد وأنواعه وتحديد مراحله التشريعية وذكر أهم عوامل النصر فى سبيل الله تعالى ، ولم يدرس الموضوع من الناحية التربوية .

٢ ـ وأما الدراسة الحالية فسوف تركز اهتمامها ـ ان شاء الله تعالى ـ على دراسة الجهاد من الناحية التربوية . لغرسها فى الناشئة ، والقيام بتحديد دور المؤسسات التربوية المختلفة فى التربية الجهادية إن شاء الله تعالى .

الفصل الأول

مفهوم الجهـــــاد وأهميته فى الاســــلام

ويشتمل هذا الفصل علـــى :

١ ـ تعريف الجهـــاد فى الإســـلام ٠

٢ ـ حكم الجهاد فى الاســلام ٠

٣ ـ مراحل تشريع الجهاد فى الإسلام ٠

٤ ـ فضل الجهاد فى الإسلام ٠

٥ ـ أنواع الجهاد فى الإسلام ٠

٦ ـ أهداف الجهاد فى الإسلام ٠

٧ ـ تحريف معنى الجهاد فى الوقت الحاضـــر ٠

٨ ـ أبدية الجهاد وأنه ماض إلى يوم القيامة ٠

١ ـ تعريف الجهاد فى الإسلام

تعريف الجهاد :

١ ـ تعريفه لغة :

قال ابن منظور فى اللسان : " الجَهْد والجُهْد الطاقة ، وقيل : الجَهْد المشقة ، والجُهد الطاقة ، وقيل : المبالغة والغاية . وجاهد العدوّ مجاهدة وجهاداً : قاتله وجاهد فى سبيل الله . الجهاد محاربة الأعداء ، وهو المبالغة واستفراغ مافى الوسع والطاقة من قول أو فعل " (ج ١ ، ص ٧٠٨)

وقال الجوهرى فى الصّحاح (١٤٠٢ هـ) : " الجَهْد والجُهْد الطاقة . قال الفراء : الجُهد بالضم الطاقة ، والجَهد بالفتح الغاية . وجُهد الرجل فهو مجهود من المشقة . وجاهد فى سبيل الله مجاهدة وجهاداً والاجتهاد والتجاهد ، بذل الوسع والمجهود " (ج ٢ ، ص ٤٦٠) .

ويقول الفيروز آبادى فى القاموس(١٤٠٦ هـ) : " الجَهْد الطاقة ، والجُهْد المشقة ، والجهاد هو القتال مع الأعداء كالمجاهدة "(ص ٣٥١) .

وكما عرّفه الراغب فى المفردات (١٣٨١ هـ) : " الجَهد والجُهد الطاقة والمشقة ، وقيل : الجَهد بالفتح المشقة ، والجُهد بالضم الوسع . والإجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة . يقال : جهدْتُ رأيي وأجهدته أتعبْتُه بالفكر . الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع فى مدافعة العدو . والجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر ، ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس " (ص ١٠١) .

وجاء فى المعجم الوسيط " الجَهْد المشقة ، والجُهْد الوسع والطاقة " (ج ١ ، ص ١٤٢)

وخلاصة القول أن الجهاد هو مصدر للفعل الرباعى " جاهد " ، والأصل الثلاثى للكلمة هو " الجهد " بفتح الجيم أو ضمها ، وجمعها بمعان متقاربة تعنى بذل المشقة والطاقة اللازمتين فى قتال الأعداء .

٢ ـ تعريف الجهاد شرعا :

إذا نظرنا إلى تعريف الجهاد شرعا ، نجد أنه يدور عند أغلب فقهاء المذاهب الأربعة على أنه قتال الكفار .

ففي كتب الحنفية ، قال الكاسانى فى البدائع (١٣٩٤ هـ) : " وفى عرف الشرع يستعمل فى بذل الوسع والطاقة بالقتل فى سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان ، أو غير ذلك ، أو المبالغة فى ذلك " (جـ٧ ، ص٩٧)

كما قال ابن عابدين ـ وهو من فقهاء الحنفية ـ فى «حاشية رد المختار» "الجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله " (ج ٤ ، ص ١٢٠)

وعرّفه ابن الهمام فى «شرح فتح القدير» (١٣٨٩هـ) بأنه بذل الجهد فى القتال فى سبيل الله مباشرة أو معاونة بمال أو رأى أو تكثير سواد أو غير ذلك "(جـ ٥ ، ص ٤٣٤) .

وفى كتب الشافعية ، قال ابن حجر فى «الفتح» (١٣٧٨ هـ) : " الجهاد شرعا بذل الجهد فى قتال الكفار ، ويطلق أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق "(جـ ٦ ، ص ٣٤٣) .

وأما عند فقهاء المالكية فلقد قال سيدي أحمد الدردير فى «الشرح الصغير على أقرب المسالك»." الجهاد هو القتال فى سبيل الله تعالى " . (جـ ٢ ، ص ١٥٠) .

وقد عرّفه شيخ الاسلام ابن تيميّة وهو من الحنابلة ـ فى «مجموع الفتاوى» بقوله : " الجهاد حقيقته الإجتهاد فى حصول مايحبه الله تعالى من الايمان والعمل الصالح ومن دفع مايبغضه الله تعالى من الكفر والشرك والعصيان " جـ ١٠، ص ١٩١) .

ولقد عرّفه الشريف على الجرجانى فى «التعريفات» (١٤٠٣ هـ) بقوله " هو الدعاء إلى الدين الحق "(ص ٨٠)

وإذا نظرنا إلى هذه التعريفات كلها نجد أن تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أشمل تعريف للجهاد ، يشمل جهاد النفس من خلال امتثال أوامر الله تعالى ، واجتناب نواهيه ودعوة الناس الى دينه والقتال فى سبيله . ومن الجدير بالذكر أن هذا التعريف يشمل أيضا جهاد

الفساق والمجرمين والمحاربين وقطّاع الطريق الّذين يفسدون الأمن والاستقرار داخل المجتمع الإسلامى ٠

وقد يطلق الجهاد فى النصوص الشرعية على غير قتال الكفار ، ومن أمثلة ذلك :

١ - بـر الوالدين :

روى الإمام مسلم فى صحيحه (١٣٧٥ هـ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : أقبل رجل الى نبى صلى الله عليه وسلم فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ، أبتغى الأجر من الله تعالى ، فقال : "(هل لك من والديك أحد حي ؟) قال : نعم ، بل كلاهما قال : (فتبتغى الأجر من الله تعالى ؟) قال : نعم ، قال : (فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما) وفى رواية أخرى : " ففيهما فجاهد) كتاب البر والصلةرقم ٢٥٤٩)

٢ - الحـج :

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى الجهادفقال : (جهادكن الحج) ٠ وفى رواية أخرى : سأله نساءه عن الجهاد فقال : (نِعْم الجهاد الحج) كتاب الجهاد والسير ، رقم : ٢٧٢٠ - ٢٧٢١ ٠)

ويروى ابن ماجة فى سننه (١٤٠٣هـ) عن أم سلمة رضى الله عنها أنهاقالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الحج جهاد كل ضعيف) أبواب المناسك رقم ٢٩٢٤) ٠

٣ - جهاد النفس :

روى الإمام الترمذى فى « الجامع الصحيح » (١٣٩٨هـ) عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (٠٠ المجاهد من جاهد نفسه)(كتاب فضائل الجهاد رقم : ١٦٢١ ، حديث حسن صحيح ٠)

٤ ـ قول الحق عند سلطان جائر :

روى الترمذي فى الجامع الصحيح (١٣٩٨ هـ) عن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) كتاب الفتن رقم : ٢١٧٤ ، حديث حسن غريب من هذا الوجه .

ولكن لفظ الجهاد إذا أطلق فالمراد به بمعناه الخاص وهو دعوة الكفار إلى الاسلام وقتالهم ان لم يقبلوا الخضوع لحكمه ، ولاينصرف الى غيره إلا بقرينة داله عليه .

ويقول ابن رشد القاضي فى هذا الصدد فى المقدمات الممهدات (١٤٠٠ هـ): " جهاد السيف قتال المشركين على الدين ، فكل من أتعب نفسه فى ذات الله فهو جهاد فى سبيله إلا أن الجهاد فى سبيل الله تعالى إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا فى الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (ص ٣٦٩) .

ولقد سمّى النبى صلى الله عليه وسلم بر الوالدين بالجهاد لما فى ذلك من إنفاق النفقة عليهما ، والصبر على مايصدر منهما من أقوال وأحوال .
وكذلك الحج يقتضى الزاد والرحلة، وفيه يتعرض الحج على التعب والمشقة فى السفر ، والمعاشرة مع مرافقيه كما كان فى الغزو .

وأمّا من جاهد نفسه ، فإنه يقاتل أهواءه وشهواته ، ويحارب الشيطان اللعين ويصبر على طاعة الله تعالى ، واتباع أوامره واجتناب محارمه ، أما من يقول قول الحق عند سلطان جائر ظالم فاسق فإنه يعرض نفسه وماله وأهله وكل مايملكه للخطر ، فالتعذيب أو الحبس أو الهلاك .

ولاتخفى العلاقة الوثيقة بين بر الوالدين وجهاد النفس والحج وجهاد الشيطان وبين جهاد الكفار من بذل الجهد والمشقة والطاقة .

وبعد عرض هذا الموجز يمكن أن نعرف الجهاد بمعناه العام فى ضوء التعريفات السابقة، بأنه هو طاعة الله تبارك وتعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وحمل رسالة الاسلام وتبليغها للعالم ، مستخدما فى ذلك كل الطاقات : المادية والمعنوية فى ضوء حاجات العصر ، ومحاربة من يقف أمام ذلك ليكون الدين كله لله سبحانه وتعالى ، وهذا معناه أن الجهاد يشمل نشاط المسلم كله فى نشر الدين الإسلامى وتبليغ الدعوة الإسلامية إلى العالم والالتزام بهديه مادام يبتغى به وجه الله تبارك وتعالى .

وبعبارة أخرى فان الجهاد مصطلح يطلق على معالجات الإنسان لنفسه وأهوائه وغرائزه ومعالجته مجتمعه من الانحراف الخلقى والعقدي وحماية مقدساته ومبادئه لاصلاح المجتمع، وسيادة العدل والمساواة بين الناس ، ثم هو الجهد الذى يبذله الانسان فى تحرير الأمم والبلدان من عبادة غير الله تعالى ، وإرجاع البشر وإخضاعهم لعبادة الله تعالى لتكون كلمة الله هى العليا ، ومنهجه هو السائد ، وشريعته هى النافذة .

٢ ـ حكم الجهاد فى الاسلام :

يمكن النظر إلى حكم الجهاد فى الإسلام من زاويتين :

الزاوية الاولى : فى حالة الدعوة إلى الإسلام ، وهو مايعرف بجهاد الهجوم .
أما الزوية الثانية : ففي حالة الدفاع ، أو مايعرف باسم جهاد الدفاع .

والمقصود من جهاد الهجوم هو دعوة الكفار إلى الإسلام وقتالهم إن لم يقبلوا الخضوع والانقياد لحكم الاسلام .

وأما جهاد الدفاع : هو دفع عدوان الكافرين والمعتدين على بلد من البلدان الاسلامية ، أو على حق من حقوق المسلمين أو على جماعة من أفراد المسلمين .

ولا خلاف بين العلماء على أن جهاد الدفاع فرض عين على المسلمين كافة حتى يندفع شر الاعداء ، وهذا باجماع علماء المسلمين .

يقول السرخسي فى « المبسوط » – وهو من فقهاء الحنفية – :"فريضة الجهاد على نوعين : أحدهما عَيْن وهو ما إذا كان النفير عاما ، والآخر هو فرض على الكفاية ، إذا قام به البعض يسقط عن الباقين لحصول المقصود ، وهو كسر شوكة المشركين واعزاز الدين " (جـ ١٠ ، ص ٣) . والنفير العام هو أن يحتاج إلى جميع المسلمين لدفع شر الأعداء على بلاد المسلمين وأهله مثل ذلك إذا هجم الكفار على بلد اسلامى وجب على جميع المسلمين قتالهم وقد يكون النفير العام فى حالة الخوف من هجوم الكفار على المسلمين .

وقال ابن حزم فى المحلّى – وهو من الظاهرية – " ولا يجوز الجهاد إلا باذن الأبويين إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ، ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم مغيثا لهم " (جـ ٧ ، ص ٢٩٢) .

وخلاصة القول أن جهاد الدفاع فرض عيْن على كل مسلم حتى ينجلى عدوان الكافرين ويعز الدين ويقهر الشرك والمشركين .

ولقد استدل العلماء على ذلك بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فمنها قوله تعالى :* ياأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم أنفروا فى سبيل الله اثّاقلتم إلى الارض ، أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ، إلاّ تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولاتضروه شيئا والله على كل شئ قدير *
(التوبة / آية ٣٨ – ٣٩)

إن هذه الآيات الكريمة وأمثالها تدل دلالة صريحة قاطعة على أن الجهاد فى حالة النفير العام واجب على كل مسلم على حسب قدراتهم واستطاعاتهم على أن تكون كلمة الله هى العليا .

ومما يؤكد قول العلماء من السنة النبوية الشريفة : الحديث الذى رواه الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح : (لاهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونيّة ، وإذا استنفرتم فانفروا) (البخارى : كتاب الجهاد ، ٢٦٣١ ، ومسلم : كتاب الامارة ، رقم ١٨٦٣) .

وأما جهاد الهجوم فلقداختلف العلماء فى حكمه على ثلاثة أقوال :

القول الاول : أنه فرض كفاية ، وعلى هذا القول عامة المذاهب وجمهور العلماء ، قال ابن الهمام فى «شرح فتح القدير» (١٣٧٨ هـ) : " الجهاد فرض على الكفاية ، إذا قام به فريق من الناس يسقط عن الباقين ، فإن لم يقم به أحد أثم جميع الناس بتركه . " (جـ ٥ ، ص ٤٣٦) .

وهذا ابن رشد (الحفيد) – وهو من كبار فقهاء المالكية – فى «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» ينقل لنا إجماع العلماء على أن الجهاد فرض كفاية على الكفاية ، لافرض عين ، إلا عبد الله بن الحسن فانه قال أنه تطوع " (جـ ١ ، ص ٣٩٦) .

قال ابن قدامة – وهو من فقهاء الحنابلة – فى «المغنى» : " والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم يسقط عن الباقين ، ومعنى فرض الكفاية إن لم يقم به مَنْ يكفي أثم الناس كلهم ، وإن قام به من يكفي يسقط عن سائر الناس " (جـ ٩ ، ص ١٩٦) .

وجاء فى «المهذب» للامام الشيرازى – وهو من فقهاء الشافعية – " أن الجهاد فرض على الكفاية ، إذا قام به من فيه كفاية يسقط الفرض عن الباقين . " (جـ ٢ ، ص ٢٢٧) .

معنى ذلك أن المذاهب الأربعة اتفقت جميعا على أن الجهاد فى سبيل الله تعالى – طلبا وابتداءا – فرض على الكفاية ، ومعنى فرض على الكفاية إذا قام به طائفة من المؤمنين من فيهم كفاية يسقط الفرض عن الباقين ، وأما إذا لم تكن فى تلك الطائفة كفاية كاملة يأثم الجميع لتفريطهم فى فريضة الله تبارك وتعالى .

وإذا نظرنا إلى أحكام الجهاد السابقة نلاحظ أن الفقهاء رحمهم الله تعالى قد درسوا حكم الجهاد فى دار الاسلام ، وأن للمسلمين اماما يحمى بيضتهم وكرامتهم ، ويطبّق فيه أحكام الله تعالى وشرعه ، والمسلمون آمنون مطمئنون مستقرون ، ولم يخطر ببال هؤلاء العلماء – جزاهم الله

تعالى خيرا - أنه سيأتى زمان على الأمة الاسلامية - مثل الوقت الحاضر - تتفرق كلمتهم ، وتغتصب أرضهم وكرامتهم وحريتهم ، ويبدّل منهج الله تعالى مناهج الحادية فى معظم بقاع العالم الاسلامي سيصبح المسلمون كالقطيع بلا راع فى الليلة الشاتية ، وإن دماءهم أرخص الدّماء على وجه الارض . وقد يكون لهؤلاء العلماء والفقهاء العذر فى ذلك حيث أنهم نظروا إلى الجهاد فى ضوء ظروف العصور التي كانوا يعيشون فيها ، ولا ريب أن لكل عصر ، ظروفه ومشكلاته الخاصة به والّتى تختلف وفقا للأوضاع المحلية والدولية . وعليه فالجهاد فى حالة ما اذا لم يكن للمسلمين إمام ولا دار ، له حكم آخر ، وسوف نذكر ذلك عند الحديث عن المراحل التى مر بها الجهاد فى التشريع إن شاء الله تعالى .

٣ - مراحل تشريع الجهاد :

على الرغم من أن الرسالات السماوية جاءت من أجل إسعاد الفرد وهداية البشرية إلا أن الكثيرين قد وقفوا فى وجهها . ولذا كان لابد للرسل من صبر وحكمة واستعمال كل وسيلة ممكنة لإقناع الناس ، إلا أن الدعوة أحيانا قد تصل إلى مرحلة لا تنفع معها الكلمة مهما كانت واضحة جلية . ذلك لأن بعض الناس طبعت نفوسهم على الجدل بالباطل ، والمكابرة والعناد. كما أن بعض النفوس يمنعها الكبر عن اتّباع الحق ، وقد يكون البعض الآخر يخشى من ضياع مصالحه الشخصية اذا استجاب لدعوة الرسل الكرام ، ولايهمه المصالح العامة مهما كانت ولذا يلجأون الى الظلم والبطش . ولذلك لابد من اللجوء إلى استعمال القوة ، عندما لايكون هناك علاج سواها ، ومن المعروف أن آخر الدواء الكيّ .

وعليه فقد مرّ الجهاد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم بمراحل متعدّدة قبل أن يصل إلى حكمه النّهائي الّذى سبق ذكره ، ويمكن لنا ذكر هذه المراحل كالتالى :

المرحلة الأولى : مرحلة الإعداد والتربية :

وتتمثل هذه المرحلة العهد المكي حيث كان الجهاد فيها هو جهاد الدعوة إلى الله تبارك وتعالى بالحجة والبيان وتبليغ القرآن ، وجهاد النفس بتقويمها وتزكيتها وتطهيرها وإصلاحها . وكانت الدعوة بالحكمة والموعظة ، قال تعالى : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتى هى أحسن ﴾ (النحل ، آية ١٢٥) .

وكان الجهاد جهاد صبر ومصابرة على البأساء والضرّاء والشدة مع العفو والصفح الجميل ، والكف عن الانتقام والثأر ، قال تعالى :﴿ فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾ (المائدة / ١٣) ، قال تعالى : ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾(الحجر ، آية : ٨٥) فلقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه عن قتال المشركين فى هذه الفترة لأن الدعوة كانت وليدة عهد جديد ، وفى مرحلة النمو والتكوين ، وكان المسلمون غير مؤهلين للقتال لقلة عَددهم وعُددهم ، وكانوا قريبي عهد بالإيمان . والقتال فى مثل هذا الوسط قد يؤدي إلى الهلاك والابادة ، وقد يؤدى إلى القضاء على الرسالة بالكلية .

واقتضت حكمة الله تبارك وتعالى تأجيل القتال إلى وقت مناسب وحين ملائم ،وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يلقون أنواعا من العذاب والأذى والتنكيل ، وكان الوحى يتنزل بالأمر بالكف عن القتال وبالصبر على الشدائد وبالثبات على الايمان .

وهذا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فيما يرويه «النسائي» وأصحابه لمّا أتوْا النبى صلى الله عليه وسلم بمكة وقالوا : يارسول الله إنا كنّا فى عزّ ونحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنى أُمرت بالعفو فلا تقاتلوا " فلما حوّلهم الله تعالى إلى المدينة أُمروا بالقتال فكفّوا " (كتاب الجهاد/ ٣٠٨٦). فأنزل الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة

وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب ، قل متع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولاتظلمون فتيلا﴾

(النساء / ٧٧)

وهى المرحلة التى لم يكن حينها للنبى صلى الله عليه وسلم فى الأرض سلطان مادي بل كانت الجاهلية هى السائدة بسلطانها وحكمها .

والخلاصة أن هذه المرحلة كانت مرحلة التربية والتزكية للنبى صلى الله عليه وسلم ولأصحابه ، والدعوة إلى التوحيد بالحجة والبيان والصمود أمام الأذى والمحنة ، والانضباط الكامل تحت قيادة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد استمرت هذه المرحلة طوال ثلاثة عشر عاما مدة اقامة النبى صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة حتى أذن الله تعالى لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

ونخلص من ذلك أيضا إلى أن أولى مراحل الجهاد هى تزكية النفس وتدريبها على تحمل المشاق والصعاب ، وطاعة الله تعالى،حتى اذا أصبحت قادرة على المواجهة متسلحة بسلاح الايمان انتقل الفرد إلى المرحلة الثانية وهى القتال ، أى أن القتال يسبقه إعداد وتهيئة للفرد حتى يؤدى إلى نتائج مرجوة .يؤيد هذا ان الذين بايعوا بيعة العقبة الثانية قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم لو شئت لملنا على أهل مني بأسيافنا . فقال : لم أومر بذلك .

المرحلة الثانية : الاذان بالقتال :

وقد بدأت هذه المرحلة بعد أن هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة حيث بدأ صلى الله عليه وسلم بتأسيس الدولة الاسلامية وآنذاك أذن الله سبحانه وتعالى للمسلمين بقتال الكفار الذين أخرجوهم من ديارهم بغير حق . حيث يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ أُذن للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أُخرجوا من ديٰرهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ...﴾(الحج / ٣٩) .

والجهاد فى هذه المرحلة لم يكن فرضا، حيث جعل الله سبحانه وتعالى أمر الدفاع عن النفس متروكا لقدرة المسلمين وامكاناتهم ، وذلك حتى يتكامل إعدادهم بشكل كاف .

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى فى ذلك فى زاد المعاد (١٤٠٧ هـ) بعد أن تحدث عن هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة المنورة وبعد استقرارهم فيها : " فأذن لهم حينئذ فى القتال ، ولم يفرضه عليهم ، فقال تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ ج ٣ص ٧٠

ويرى بعض العلماء أن الاذن بالقتال كان فى أواخر العهد المكي وأن الهجرة جاءت بعد نزول آيات الإذن بالقتال ، ويقول ذلك ابن اسحق في السيرة (١٤٠٨ هـ) : " فلما أذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فى الحرب وتابعه هذا الحي من الأنصار على الاسلام والنصرة له ولمن اتبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة ... فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه فى الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة..،ويقول أيضا فى موضع آخر : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يوءذن له فى الحرب ، ولم تحلل له الدماء " (ج ٢ ، ص ١٠٨) .

والمفهوم من سياق كلام ابن اسحق أن الاذن بالقتال جاء فى فترة مابين بيعة العقبة وهجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ولكن القول الراجح والمشهور بين العلماء أن الاذن بالقتال جاء فى المدينة المنورة بعد هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وروى ابن كثير فى التفسير (١٤٠٦ هـ) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن آية الاذن بالقتال نزلت فى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين أخرجوا من مكة ، وقال مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف :"هذه أول آية نزلت فى الجهاد". (ج ٣ ، ص ٢٣٥) .

ومهما كان الحال سواء أكان الاذن بالقتال قبل الهجرة أو بعدها فان الاذن بالقتال ماجاء إلا بعد مرحلة الخطر ، وبعد أن قويت الشوكة واشتد الجناح .

ونستدل من ذلك على أن المرحلة الثانية كانت بمثابة السماح للمسلمين بقتال الذين يقاتلونهم ، وقد يرجع ذلك إلى أن المسلمين فى هذه اللحظة لم يكونوا قد بلغوا من الكثرة والقوة مايمكنهم من الخروج لقتال كل أعداء الدين ، وبالتالي اقتصر الأمر على الإذن بالقتال إما لصد هجوم الأعداء أو لحماية النفس أو غير ذلك مما يستدعى الموقف .

المرحلة الثالثة : فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط :

كان النبى صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين – بعد الاذن بالقتال – من حين الى آخر دون فرض ، حتى فرض الله سبحانه وتعالى عليهم قتال من قاتلهم دون من لم يقاتلهم . قال الله جل شأنه : ﴿ وقتلوا فى سبيل الله الذين يقتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ،ولاتقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه ، فان قتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ﴾ البقرة / ١٩٠ – ١٩١ .

وفى ذلك يقول ابن القيم فى « زاد المعاد » (١٤٠٧ هـ) بعد أن تحدث عن الاذن بالقتال : " ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم ، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان محرما ، ثم مأذونا به ، ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأمورا به لجميع المشركين ، إما فرض عين على أحد القولين ، أو فرض كفاية على المشهور "
(ج ٣ ، ص ٧١)

وعلى هذا فقد كان القتال فرضا عليهم فى حالة بدء الكفار بقتالهم ومحرما عليهم بالنسبة لمن سالمهم ولم يقاتلهم .

ومما يؤكد ذلك ماروا‌ه الامام البيهقي رحمه الله تعالى فى «الدلائل» (١٤٠٥ هـ) : عن محمد بن نصر أنه قال : وكانوا فى أول ما أذن الله تعالى لهم فى القتال لم يؤمروا بأن يبتدئوا المشركين كافة بالقتال بل إنما أُمروا أن يقاتلوا من قاتلهم خاصة ، ومن ظلمهم وأخرجهم من ديارهم . فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة، وحولها من عبدة الاوثان وأهل الكتاب جماعات لم يقاتل أحدا منهم ولم يتعرض لهم بحرب ، وكان يتعرض لقريش خاصة ويقصدهم وذلك ان الله تعالى انما أمرهم بقتال الذين ظلموهم وأخرجوهم من ديارهم وكان المشركون أيضا بالمدينة من أهل الكتاب وعبدة الأوثان يؤذونه وأصحابه، فندبهم الله عز وجل إلى الصبر على أذاهم والعفو عنهم ، فقال : ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور ﴾(ج ٥ ، ص ٥٨٠ ، والآية : آل عمران / ١٨٦) .

إن هذه مرحلة ثالثة من مراحل تشريع الجهاد ، فالحرب فى هذه المرحلة إذاً حرب دفاعية وليست هجومية ، والقتال فيها إنما هو للدفاع عن النفس ولصد هجمات المشركين ودفع اعتداءاتهم وغاراتهم فقط .

المرحلة الرابعة : جهاد غير المسلمين كافة ، وذلك على اختلاف أجناسهم وأديانهم وعليه استقر الحكم النهائي للجهاد الاسلامي ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴾ (التوبة / ٥) .

يقول ابن كثير فى التفسير : " وهذه الآية الكريمة هى آية السيف التى قال فيها الضحاك : إنها نسخت كل عهد بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين أحد من المشركين ، وكل عقد وكل مدة. " (ج ٢ ، ص ٣٥٠)

وهذه الآية الكريمة فى المشركين ، وأما قتال أهل الكتاب فقد قال الله تعالى :﴿ قٰتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ماحرّم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى

يعطوا الجزية عن يد وهم صٰغرون ﴾ (التوبة / ٢٩) . فلقد خيّر الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب بين قبول الإسلام وبين دفع الجزية وأما المشركين لايقبل منهم إلا الاسلام أو السيف .

وليس هناك خلاف بين العلماء على أن حكم الجهاد قد استقر فى النهاية على قتال جميع الكفار ، ولكنهم اختلفوا فى وقوع النسخ فى حكم الجهاد (بمعنى هل المرحلة الأخيرة ناسخة لما قبلها من المراحل أم لا ؟

قال ابن العربي فى أحكام القرآن (١٣٨٧ هـ) : " قوله تعالى : ﴿ فاذا انسلخ الأشهر الحرم ... ﴾ الآية ناسخة لمائةوأربع عشرة آية " (جـ ١ ، ص ٢٠١)

ويروي الإمام القرطبي فى الجامع (١٣٨٧ هـ) عن الحسين بن الفضل قوله : نسخت آية السيف كل آية فى القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على أذى الاعداء " (جـ ٨ ، ص ٧٣) .

وقال سيد قطب رحمه الله تعالى فى الظلال (١٤٠٦ هـ) بعد تحقيق الموضوع : " إن تلك الأحكام المرحلية ليست منسوخة بحيث لايجوز العمل بها فى أى ظرف من ظروف الأمة الاسلامية بعد نزول الإحكام الأخيرة فى سورة التوبة . ذلك أن الحركة والواقع الذى تواجهه فى شتى الظروف والأمكنة والأزمنة هى التى تحدد الأحكام وهو أنسب لملاخذ به فى ظروف من الظروف فى زمان من الأزمنة فى مكان من الأمكنة ،مع عدم نسيان الأحكام الأخيرة التى يجب أن يصار اليها ، متى أصبحت الأمة المسلمة فى الحال التى تمكنها من تنفيذ هذه الأحكام ، كما كان حالها عند نزول سورة التوبة ، ومابعد ذلك أيام الفتوحات الاسلامية التى قامت على أساس من هذه الاحكام الأخيرة النهائية سواء فى معاملة المشركين أو أهل الكتاب " (جـ ٣ ، ص ١٤٣٨) .

واذانظرنا إلى مراحل تشريع الجهاد فى القرآن الكريم وفى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الكفار فاننا نرى أن هناك تدرجا ، بحيث أن الله تبارك وتعالى لم يأذن فى القتال إلا بعد فترة من البعثة وبعد أن تأسست الدولة الاسلامية تحت قيادة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة .

ومتى أصبح للمسلمين دار واحدة وإمام واحد يطبق فيها منهج الله تبارك وتعالى عقيدة وشريعة، وعندهم قدرة كافية للجهاد فحينئذ يجب عليهم جهاد غير المسلمين كافة خارج حدود البلاد الاسلامية حتى يكون الدين كله لله تبارك وتعالى ، وإلا عليهم أن يأخذوا بحكم أى مرحلة منها اذا كانت ظروفهم متشابهة مع ظروف تلك تلك المراحل التي سبق ذكرها وتحقيق المرحلة الأخيرة وهى : جهاد غير المسلمين كافة على أختلاف أديانهم وأجناسهم

ولذلك لايجوز للمسلمين أن يقفوا عند مرحلة من هذه المراحل مع القدرة على تحقيق المرحلة التى تليها ، لأن العبرة بالمرحلة الاخيرة التى وصلت اليها الحركة الجهادية فى الإسلام .

والخلاصة كما قال ابن القيم رحمه الله فى «زاد المعاد» (١٤٠٧ هـ) : " أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب وإما باللسان ، وإما بالمال ، وأما باليد ، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الانواع " (ج ٣ ، ص ٧٢) . وذلك على قدر استطاعته وفق شروطه وظروفه .

٤ ـ فضل الجهاد فى سبيل الله تعالى :

يعتبر الجهاد قاعدة أساسية من قواعد الاسلام الخالدة ، بل هو عموده وذروة سنامه ، ولقد روى الترمذي عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (.. رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة ، وذروة كفاحه الجهاد ...) (كتاب الايمان ، رقم ٢٦١٦ . حديث صحيح) .

وهو الطريق الوحيد لانقاذ البشرية جميعا من سلطة القهر والاستبداد ، ولازالة الحواجز والعوائق التى تعوق بينهم وبين نعمة الإسلام الحنيف ولايمكن اظهار الاسلام عقيدة وشريعة إلا بالجهاد فى سبيله سبحانه وتعالى

يقول الجصّاص رحمه الله تعالى فى «أحكام القرآن» (١٣٩٩ هـ) فى بيان أهمية الجهاد : " وليس بعد الايمان بالله ورسوله فرض آكد ولا أولى بالايجاب من الجهاد وذلك أنه بالجهاد يمكن إظهار الاسلام وأداء الفرائض ، وفى ترك الجهاد غلبة العدو ودروس الدين ، وذهاب الاسلام " (ج ٣ ، ص ١١٥)

أنظر الى تلك الأهمية العظمى للجهاد ، إذ لاقيام للاسلام إلا بـــه ، ولا حق حياة للمسلم بايمانه إلا بالجهاد فى سبيل الله تعالى . كيـــف يعيش الموءمن مع كرامته وأصالته إذا كان دينه وعرضه وماله وكل كيانــه مهددًا،بل منتهكامن قبل الأعداء ؟

وكيف يطبق منهج الله تعالى فى الأرض اذا كان الحكم بأيدى الطغاة والمجرمين ؟.ونظرا لأهمية الجهاد ومكانته فى الاسلام عنى الكثيرون مـــن علماء الأمة الاسلامية بدراسته بحثا وتصنيفا ، فترى المحدثين رحمهم اللـه تعالى فى موءلفاتهم القيمة ومدوناتهم النفيسة قد خصصوا بابا مستقـــلا للجهاد ، كما أن بعض العلماء أفردوا الجهاد فى موءلف خاص مستقل ، مثل: «كتاب الجهاد» للامام عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ . (١) وكتاب «أحكام الجهاد وفضائله» للأمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ (٢) وغيرهما كثيـــر ، ولله الحمد .

و مما يظهر في فضل الجهاد فى الاسلام :

١ ـ سمـــوّ الهـــدف :

إن الهدف الاصلى للجهاد هو اعلاء كلمة الله تبارك وتعالى . فالجهاد الإسلامى مقرون بالاصطلاح ـ فى سبيل الله ـ كلما ذكر فى كتاب الله تعالـى أو فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للتأكيد على تحقيق هذا الشرط ، متى خرج عنه ، خرج عن صفته الاسلامية وعن كونه فى سبيل الله ، وأصبـــح كسائر الحروب التى يشنها الناس أو الدول بعضهم ضد بعض ، إما للكســب المادي أو التوسع الدولي أو الإنتقام الشخصي ، أو للسيطرة والاستعـــلاء

---

(١) طبع الكتاب بتحقيق الدكتور نزيه حماد (جدة : دار المطبوعـــات الحديثة عام ١٤٠٣ هـ) .

(٢) طبع الكتاب بتحقيق الدكتور نزيه حمـــاد ، (جـــده : مكتبةدار الوفاء عام ١٤٠٦ هـ) .

والقهر والإذلال إلى غير ذلك من الأهداف الوضيعة ، ولتحقيق هذه الأهداف يستخدمون كل الوسائل الممكنة بدون ضابط انساني أو سلوك أخلاقي سوى أنهم يعتقدون أن الحق والحياة للأقوى وأن الغاية تبرر الوسيلة .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ الذين آمنوا يقتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقتلون فى سبيل الطغوت ، فقتلوا أولياء الشيطن إن كيد الشيطن كان ضعيفا ﴾ (النساء / ٧٦) إن هدف الجهاد فى الاسلام بيّن واضح جلىّ وهو الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وأما اهداف الكفار من القتال فمتعددة غامضة وقد عبّر عنه القرآن الكريم بالطاغوت ، والطاغوت هو كل مايعبد من دون الله تبارك وتعالى .

أما الهدف من الجهاد الاسلامى فقد أوضحه النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البخارى ، عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله، الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليُذكر ، والرجل يقاتل ليُرى مكانه ، فمن فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله "(حديث سبق تخريجه فى ص ٧) . فتبين من ذلك أن الله سبحانه وتعالى لايقبل من الجهاد إلا ماكان خالصًا لوجهه الكريم وابتغاء مرضاته لايشوبه شىء من الأغراض الدنيوية والنفسية ، أو الطائفية أو القومية ..

فالإسلام يصرّ على تحرير الناس من عبادة كل ماسوى الله تعالى الى عبادة الله وحده ، والكفر يصرّ على إخراج الناس من النور إلى ظلمات الشرك والجهل وشتان مابين الهدفين !

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وقتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾ الأنفال / ٣٩ . وهذا أسمى هدف ، لأنه هدف اسلامي انسانى عالمي .

وهذا سيد قطب رحمه الله تعالى يعلق على الهدف الأساسى للجهاد فى «الظلال» (١٤٠٦ هـ) إذ يقول :

" فليقاتل - فى سبيل الله - فالاسلام لايعرف قتالا إلا فى هذا السبيل،لا يعرف القتال للغنيمة ، ولا للسيطرة ولا للمجد الشخصي أو القومى ٠انه لا يقاتل للاستيلاء على الارض ، ولا لاستيلاء على السكان ٠٠ ولا يقاتل ليجد الخامات للصناعات والاسواق للمنتجات ، أو لرؤوس الأموال يستثمرها فى المستعمرات ، وشبه المستعمرات ٠ أنه لايقاتل لمجد شخصى أو بيت أو طبقة ، ولا لمجد دولة أو أمة ولا لمجد جنس إنما يقاتل فى سبيل الله ، لاعلاء كلمة الله تعالى فى الأرض ولتمكين منهجه من تعريف الحياة ، ولتمتيع البشرية بخيرات هذا المنهج ، وعدله المطلق بين الناس، مع ترك كل فرد حرا فى اختيار العقيدة التى يقتنع بها فى ظل هذا المنهج الربانى الانسانى العالمى العام " ٠

(ج ٢ ، ص ٧٠٧)

لقد اتضح مما سبق ان الهدف من الجهاد فى الاسلام هدف سام ربانى يستحق كل التضحية فى سبيله بالنفس والمال وكل شىء ٠

٢ - تجارة رابحة ، فوز عظيم ، ونعيم مقيم :

إن الجهاد فى سبيل الله تعالى تجارة رأسمالها الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد بالاموال والأنفس ، وربحها المغفرة من الله سبحانه وتعالى ، والخلود فى جنات النعيم ، قال الله تعالى : ﴿ يٰأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجٰرة تنجيكم من عذاب أليم ٠ تؤمنون بالله ورسوله وتجٰهدون فى سبيل الله بأمولكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ٠ يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنّٰت تجري من تحتها الأنهٰر ومسٰكن طيبة فى جنّٰت عدن ذلك الفوز العظيم ٠ وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾ (الصف / ١٠ - ١٣)

فالتاجر فى الدنيا مهما ربح، فإن ربحه محدود وفان ، إضافة الى ذلك أن ذلك الرّبح غير مضمون فى كل مرة ، يربح أحيانا ، ويخسر أحيانا أخرى ٠وأما الإتّجار مع الله سبحانه وتعالى فإن ربحه عظيم ذلك لأنه

مضمون من قبل الخالق جل شأنه وعظم أمره ووسعت رحمته وعطاؤه . وهو صفقة بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾

(التوبة / ١١١)

ومن رحمة الله تبارك وتعالى ولطفه بعباده أن جعل لهذه الصفقة عِوَضًا وهو الجنة وإلا فهو سبحانه وتعالى مالك الأنفس والأموال وصاحب كل شىء ثم ان هذا العوض موعود من الله الذى لايخلف وعده ، حقا انه لصفقة رابحة وفوز عظيم ، ونعيم لاينفد فى جنات النعيم .

٣ ـ الجهاد فى سبيل الله تعالى من أفضل الأعمال بعد الايمان بالله عزوجل:

لقد كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حريصين جدا على معرفة أفضل الاعمال التي تقرّبهم إلى الله تعالى وترضي ربهم عنهم ، ولذلك كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فيجيبهم النبى صلى الله عليه وسلم بإجابات مختلفة تتناسب مع ظروف السائلين وأهمية الموقف وقت السؤال . روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أفضل ؟ قال : " إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : " الجهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال : " حج مبرور "(البخارى كتاب الايمان /٢٦ ، مسلم : كتاب الايمان رقم : ٨٣) .

فقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم الجهاد فى هذا الحديث فى الدرجة الثانية بعد الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . وجاء الحج فى المقام الثالث بعد الايمان بالله ورسوله وبعد الجهاد فى سبيل الله تعالى .

وهـذا يدل على أهمية الجهاد فى سبيل اللـه تعالى وفضله العظيم ، لأن اقامة جميع الشعائر الدينية متوقفة عليه ولايمكن تطبيق منهج الله تبارك وتعالى فى الأرض بدون القيام لفريضة الله الجهاد فى سبيل الله تعالى حق القيام .

ومما هو جدير بالذكر أن الطريق الذى كان يسلكه المسلمون إلى مكة المكرمة لإداء فريضة الحج والعمرة كان مغلقا من قبل المشركين ، ولكن بالجهاد فى سبيل الله استطاع المسلمون أن يهزموا الكفار وأن يعيدوا فتح الطريق إلى بيت الله الحرام ، وبهذا تجاوزوا العقبات وتغلبوا على الصعاب بفضل الجهاد فى سبيل الله تعالى .

ولقد روى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب الى الله تعالى ؟ قال " الصلاة على وقتها " ، قلت ثم أى ؟ قال : بر الوالدين ، قلت ثم أى ؟ قال : " الجهاد فى سبيل الله " فسكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني " (كتاب الجهاد / ٢٦٣٠) .

فلقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد فى هذا الحديث فى المرتبة الثالثة بعد الصلاة وبر الوالدين . لأن الصلاة عماد الدين ، ولقد خلق الله الانس والجن لعبادته ﴿ وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ (الذاريات / ٥٦) .

فعبادة الله تبارك وتعالى هى الغاية من خلق الله سبحانه وتعالى الانس والجن وجميع المخلوقات .

ان بر الوالدين من أعظم القربات إلى خالق الكون والعباد ،لان الوالدين سببان لوجود الانسان فى هذه الحياة الدنيا .

كما سبق وقلنا أن أجوبة النبى صلى الله عليه وسلم كانت تختلف من شخص إلى آخر على حسب أهمية الموضوع وتقدير أحوال السائلين من أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، وبغض النظر عن الترتيب فإن الجهاد فى سبيل الله تعالى من أفضل الأعمال وأعظم القربات الى خالق جميع الموجودات .

وقد يصبح الجهاد أوجب الواجبات فيما اذا استباح الكفار بيت الله الحرام وحالوا بين المسلمين وبين أداء فريضة الحج .

٤ ـ الجهاد فى سبيل الله تعالى وعمارة المساجد وخدمة أهلها :

إن للمسجد مكانة عظيمة فى الاسلام ، وأول عمل قام به النبى صلى الله عليه وسلم بعد ماهاجر إلى المدينة المنورة إقامة المسجد ، لأنه ضرورى من ضرورات الدين الاسلامي • فهو مكان العبادة والذكر والدعاء ، قال تعالى : ﴿ فى بيوتٍ أذن اللّه أنْ تُرفع ويُذكر فيها اسْمه يُسبّح لهُ فيها بالغدوّ والآصال رجال لاتلهيهم تجرة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكوة ﴾ (النور: ٣٦ ، ٣٧)

والسمجد الحرام هو البيت الاول الذي وضع للناس وهو قبلة المسلمين يتجهون اليه بصلاتهم ، فهو خير مساجد الأرض على الإطلاق • قال تعالى : ﴿ إنّ أول بيتٍ وُضع للنّاس للّذي ببكة مُباركًا وهدىً للْعالمين ﴾ آل عمران/٩٦

وقال تعالى : ﴿ قدْ نرى تقلّب وجْهك في السّماء فلنولّينّك قبلةً ترضها فولّ وجهك شطر الْمسجد الحرام ، وحيثُ ماكنتم فولّوا وُجوهكم شطْره ﴾ (البقرة / ١٤٤)

والصلاة فى المسجد الحرام أفضل بكثير من غيره من المساجد •

ولقد روى الشيخان عن أبى هريرة رض الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (صلاة فى مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) (البخارى : كتاب التطوع رقم : ١١٣٣ ، مسلم : كتاب الحج ، رقم : ١٣٩٤) •

وفى رواية أخرى عند ابن ماجه : (وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه) (أبواب اقامة الصلاة رقم : ١٤٠٤٠ ، قال البوصري فى "المصباح" : اسناده صحيح ج ١ ، ص ٢٥٠) •

ولكن رغم هذا الفضل العظيم للمسجد الحرام فان عمارته وسقاية الحجاج فيه لايساوى الجهاد فى سبيل الله تعالى ، لانه لولا الجهاد مابنيت المساجد وعمرت ولاتستطيع أن تؤدى واجبها كما ينبغى ، إنما يعمر مساجد الله صفوة خلقه من عباده المؤمنين الذين يجاهدون لإعلاء كلمته وشأنه •

يروي الإمام مسلم رحمه الله تعالى أن ثلاثة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اختلفوا عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فضل الجهاد وعمارة المسجد وسقاية الحجاج أيهم أفضل ؟ فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(مسلم : كتاب الامارة ، رقم ١٨٧٩ ، والآية : التوبة/١٩)٠

إن الله تبارك وتعالى ردّ عليهم مزاعمهم وأظهر بجلاء ووضوح فضل الجهاد فى سبيل الله تعالى على عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجّاج فيه ٠

وكيف يساوى هذه الأعمال الجهاد فى سبيل الله تعالى فهو عموده وذروة سنامه وكفاحه وهو الطريق الوحيد لحماية المظلومين والمستضعفين ، ولإعلاء كلمة الله فى الأرض ٠

وقد حكم ميزان الله تعالى بعدم التسوية بين الجهاد وغيره من الأعمال ﴿ لايستوون عند الله ﴾ وميزان الله هو الميزان الحق وتقديره هو التقدير العدل لأن الأمر كله له جل جلاله ٠

إن المجاهد فى سبيل الله تعالى يضحّي بأهله ووطنه وماله ونفسه لنشر الدين الاسلامى ، فكيف يساوى هذا العمل الجليل والهدف النبيل بمجرد عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجاج ؟ وفوق ذلك كله ليسوا أهلا لذلك بسبب شركهم ، إنما أهله المؤمنون المجاهدون فى سبيله وهم يستحقون كل خير ٠

٥ ـ الجزاء التفصيلي على أعمال الجهاد :

لم يترك الإسلام عملا من أعمال الجهاد صغيرا أو كبيرا إلاّ أحصاه مقرونا بحسن الجزاء عليه،وفى ذلك أوضح الدلالة على أن الله تبارك وتعالى يكافىء المجاهد فى سبيله على أعماله الجهادية كافة مكافأة تبلغ من ذروة الكرم، مقاما يغري جميع المجاهدين بالإتيان بالمزيد من أعمال الجهاد مهما كبرت أو صغرت ٠

قال الله تبارك وتعالى ﴿ .. ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولايطئون موطئا يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح ، إن الله لايضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولايقطعون واديا إلا كتب لهم ، ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون ﴾(التوبة / ١٢٠ – ١٢١)

لو وقفنا وقفة تأمل فى هذه الآيات فاننا نجد مجموعة متكاملة من سبعة أعمال تتفاوت فى القيمة الجهادية مابين :

١ ـ احتمال كافة انواع العطش فى أثناء الجهاد فى سبيل الله تعالى .

٢ ـ مقاومة لجميع أشكال التعب أو النصب التى تنتاب المجاهد .

٣ ـ الصبر على آلام الجوع التى تعذب الجسد .

٤ ـ الهبوط فى أرض العدو بما يغيظه ويثقل عليه ويشعره بذل الهزيمة .

٥ ـ إصابة العدو إصابة موءثرة تضعف مقاومته .

٦ ـ النفقة على الجهاد مهما كبرت أو صغرت . لما لها من أهمية عظيمة وضرورة قصوى في الإعداد والإستعداد .

٧ ـ كل خطوة يخطوها المجاهد فى سبيل الله تعالى ليقطع واديا من الأودية بعزيمة تامة .

إن الجزاء التفصيلي لايقتصر على أعمال المجاهد فقط وإنما يشمل جميع أعمال فرسه من شبع وري حتى روثه وبوله .

روى البخاري فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من احتبس فرسا فى سبيل الله ، إيمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة "
(كتاب الجهاد / ٢٦٩٨)

لانه لايحبسه إلا لله تعالى ، ولايطعمه إلا لله عز وجل ولايبتغى الأجر منه الا من الله تعالى . وهذا من فيض رحمته وغزارة لطفه واحسانه سبحانه وتعالى .

٦ ـ فضل الانفاق فى سبيل الله تعالى :

إن الجهاد يحتاج إلى المال كما يحتاج إلى الرجال ، ولايتم الجهاد إلا بتوفير العَدد والعُدد . واذا نظرنا إلى كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد أن الاموال والأنفس قرينان فى سياق الجهاد فى سبيل الله تعالى ، فهما ركنان أساسيان لاينفصل أحدهما عن الآخر وكل واحد منهما متوقّف على الآخر، وكان المجاهدون من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يجهّزون أنفسهم للقتال فى سبيل الله تعالى على حسب إمكاناتهم المادية ، ولم تكن هناك رواتب يحصلون عليها قادة وجندا ، وإنما كان المجاهد المؤمن يعد آلة حربه وراحلته وزاده فى منزله تطوعا .

وكان هناك مجاهدون فقراء يرغبون فى الجهاد ، ولكن ليس عندهم القدرة المادية الكافية التى تتيح لهم الفرص فى الالتحاق بمسيرة الجهاد فى سبيل الله تعالى ، يجيئون إلى القائد الأعظم النبى صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن ييسر لهم سُبل الجهاد حتى يشاركوا فى أداء الواجب المقدس ، وحتى لاتفوتهم هذه الفرصة الغالية . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يجهّزهم حسب الامكانات المتوفرة آنذاك فإذا لم يجد صلى الله عليه وسلم مايجهّزهم تولّوا وأعينهم تفيض من الدّمع كما حكى عنهم الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (التوبة / ٩٢) وإضافة إلى ذلك كان أغنياء الصحابة رضوان الله عليهم يجهزون المعدمين من المسلمين فى الجهاد حسب قدراتهم المالية ، وكان هؤلاء الأفاضل يتسابقون إلى تنفيذ أمر الله تعالى وأمر حبيبه صلى الله عليه وسلم فى الإنفاق ، وكان بينهم تنافس شديد فى الإنفاق فى سبيل الله تعالى .

هناك قصة مشهورة دارت بين عمر بن الخطاب وأبى بكر الصديق رضى الله عنهما - فيما يرويه الترمذى - تدل على شدة تنافس الصحابة رضى الله عنهم فى الإنفاق ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدّق ووافق ذلك منى مالا ، فقلت اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته ،فجئتُ بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ماأبقيت لأهلك ؟ " قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ماعنده ، فقال : " ياأبا بكر ماأبقيت لأهلك ؟ " قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، فقلت : لا أسبقه إلى شئ ابدا) كتاب المناقب رقم : ٣٦٧٥،حديث حسن صحيح . وتأمل هذا العطاء والبذل والتضحية بالمال فى سبيل الله تعالى إذْ ينفق أبو بكر الصديق رضى الله عنه كل ماله ولايترك لأهله شيئا ولا غرابة فى ذلك لأنه الصديق ، وهي العقيدة الراسخة فى القلوب والبلوغ إلى الذروة فى الايثار والتضحية فى سبيل الله تعالى . وهذه العقيدة واليقين تعمل المستحيل إذ صدقت ورسخت فى أعماق الأفئدة والقلوب .

ولقد روى الترمذى موقف عثمان بن عفان رضى الله عنه فى غزوة تبوك والمسمّى بغزوة العسرة وهو مثل يحتذى بهفلقد جاء رضى الله عنه بألف دينار وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلّبها فى حجره ويقول : " ماضرّ عثمان ماعمل بعد اليوم مرتين "(كتاب المناقب رقم ٣٧٠١ ، حديث حسن غريب من هذا الوجه) . وبذلك استحق رضى الله عنه دعاء النبى صلى الله عليه وسلم واستحق كل خير ، إن هذامايصنعه الإيمان الجازم والإدراك باهمية الإنفاق وفضله فى إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى .

والنصوص الواردة فى الإنفاق كثيرة لاتحصى فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

اماالنصوص الآمرة بالإنفاق أو بطريقة الحثّ والتحريض عليه أو بطريقة الذّم والعتاب لمن قعد عنه وتركه بدون عذر شرعى ، وسنذكر بعض هذه النصوص بالترتيب على سبيل المثال لا الحصر إن شاء الله تعالى .

أولا : النصوص الآمرة بالإنفاق :

قال تعالى : ﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (التوبة / ٤١).

فأنت ترى كيف قدم الله تبارك وتعالى الأموال على الأنفس في سياق الجهاد ، لأن الجهاد بالانفس متوقف على الجهاد بالأموال ، وأن المؤمن الذي لايستطيع أن يقدم ماله في سبيل الله فكيف يقدم أعز مايملكه نفسه في سبيل الله ؟ وإن في ذلك لعبرة لمن تدبر آيات الله تبارك وتعالى واطلع على حِكَمه وأسراره .

وهذا رسولنا الكريم محمد أفضل المجاهدين وأكرمهم صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالجهاد بكل وسعنا، قال عليه الصلاة والسلام في حديث رواه - النسائي وأبو داود عن أنس رضي الله عنه : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم)(النسائي : كتاب الجهاد رقم ٣٠٩٦ ، أبو داود رقم ٢٥٠٤). وهذا يشمل جهاد المشركين بالعَدَد والعُدد وبمعنى آخر بالرجال والأموال ، وكما يشمل الجهاد التعليمي والثقافي وهذا مايشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم (وألسنتكم) . وسيأتي الحديث عنه قريبا في أنواع الجهاد ان شاء الله تعالى .

ثانيا : النصوص الواردة الآمرة بالانفاق بطريقة الحث والتحريض عليه :

من طبيعة النفس البشرية أنها مفطورة على حب الخير والثواب وعلى بغض الشر والعقاب . ومن حكمة الله تبارك وتعالى - وهو خالق النفس البشرية ويعلم كنهها - أن استخدم كل الطرق والوسائل الملائمة لهداية الناس ، ولذلك جاءت نصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بطريقة تحث على الانفاق في سبيل الله ، ومنها : قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ﴾ (الصف / ١٠) .

ثالثا : النصوص الواردة في العتاب لمن ترك الإنفاق في سبيل الله تعالى وقعد عنه :

هناك نصوصا كثيرة وردت توبيخا على ترك الإنفاق في سبيل الله والجهاد فيه ومنها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ • إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التوبة / ٣٨ - ٣٩) •

وهذا توبيخ من الله تبارك وتعالى على ترك الجهاد والإنفاق في سبيله، وعتاب لمن آثر الحياة الدنيا وشهواتها الفانية بالقعود عن الجهاد والانفاق له على الحياة الباقية • وقوله تعالى : ﴿ •• يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم •• ﴾ تهديد شديدووعيد مؤكد في ترك الجهاد والإنفاق له ، حقا إنه لوعيد شديد تقشعر منه القلوب والأبدان، ولابد للمسلم أن يعيه حق الوعي وألا يجعل نفسه عرضة لهلاك الله تبارك وتعالى وعذابه الأليم وذلك بعدم انضمامه إلى مسيرة الجهاد وبذل النفس والمال وكل ثمين •

وروى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أنه قال : جاء رجل بناقة مخطومة فقال : هذه في سبيل الله • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة)(كتاب الامارة رقم : ١٨٩٢) •

انظر كيف يتضاعف أجر النفقة في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف، ولا غرابة في ذلك لأنها تصرف لتحقيق أهداف سامية وغايات نبيلة ألا وهي إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض وتحقيق العبودية لله تعالى على مستوى البشرية جمعاء • وإذا سمع المجاهد هذا العطاء الجزيل والكرم الوفير فهل يبخل في الانفاق في سبيل الله تعالى ؟

بل أغرب من ذلك أن مجرد إعانة الغازي فى سبيل الله تعالى بمركوب وغيره وخلافته فى أهله بخير فهو غزو ، يحصل صاحبها مثل أجر الغازي وهو لايذوق متاعب السفر ولا مشقات المعركة بل مطمئن فى أهله ومنزله بعيشة رغدة ، إن ذلك من عظيم رحمته ولطفه سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين الصادقين فى نياتهم وأعمالهم •

ولقد روى الشيخان عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من جهّز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلفه فى اهله بخير فقد غزا) (البخارى : كتاب الجهاد ، ٢٦٨٨ ومسلم الامارة / ١٨٩٥)، وهل اقتصرت رحمة الله تعالى وكرمه على الغازي والمنفق فقط ؟ لا ، بل شملت الدّال على الخير والإنفاق والارشاد له ، روى مسلم عن أبى سعيد الأنصارى رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنّي أبدِع بي فأحملْني ، فقال : " ماعندى " ، فقال رجل : يارسول الله • أنا أدلّه على من يحمله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من دل على خير فله مثل أجر فاعله ") (كتاب الامارة رقم : ١٨٩٣) •

وتبين مما سبق أن كل مجهود فى سبيل الله تعالى من المشاركة الفعلية للجهاد ، واعانة المجاهدين بأية وسيلة ، وخلافة أهل المجاهدين بخير والدلالة على طرق الخير يعتبر من الجهاد الاسلامي ويثاب عليه فاعلوه لان هدف كل واحد منهم هو الإشتراك بأى وسيلة كانت فى مسيرة الجهاد المقدس وبطبيعة الحال فلا عجب هناك فى الاشتراك فى الثواب ، لأن الجزاء من جنس العمل •

٧ ـ فضل الرباط فى سبيل الله تعالى :

والمقصود من الرباط هنا مرابطة الغزو فى نحور العدو وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين • والرباط ضرورى لبقاء الأمة فى أمن واستقرار وهو ضرورى لتحقيق فريضة الله تعالى الجهاد •

إلى آخر الزمان ، لذلك فقد حثّ النبى صلى الله عليه وسلم المؤمنين على المرابطة مبيّنا فضلها وأهميّتها . روى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن سلمان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتّان) كتاب الامارة / ١٩١٣ . وجاء فى رواية البخارى عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وماعليها ..)(كتاب الجهاد / ٢٧٣٥).

والرباط خير من الدنيا وماعليها ، لأن صلاح الدنيا وفسادها متوقف على نشر الدين الاسلامي فى العالم بالجهاد فى سبيل الله تعالى وبالرباط فى مواقع الجهاد .

نعمْ أن الرباط خير من صيام شهر وقيامه ، لأنه لولا الجهاد فى سبيل الله تعالى لما تمكن المؤمن من إقامة شعائر الله تبارك وتعالى وعبادته فى أرض الله عز وجل .

يروى ابن كثير فى التفسير عن عبد الله بن المبارك (١) الإمام المجاهد رحمه الله تعالى أنه كان مرابطا بطرسوس (٢) سنة سبع وسبعين ومائة وأرسل إلى الفضيل بن عياض عابد الحرمين الشريفين (٣) رسالة فيها هذه الأبيات

---

(١) هو أبو عبد الرحمن ، الحافظ ، شيخ الاسلام المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات ، وجمع الحديث والفقه والعربيّة وأيام الناس ، مات بهيت (على الفرات) سنة ١٨١ هـ منصرفا من غزو الروم (خير الدين الزركلى) الأعلام ، ط ٦ ج ٤ ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٤) ص ١١٥

(٢) مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم (ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج ٤ (بيروت : صادر ١٤٠٤ هـ) ص ٢٨ . وتقع الآن فى حدود تركيا والتابعة لمحافظة آضنة (الباحث) .
ADANA

(٣) هو أبو على شيخ الحرم المكي ، من أكابر العبّاد الصلحاء ، كان ثقة فى الحديث أخذ عنه الإمام الشافعى ، ولد فى سمرقند ثم سكن مكة وتوفى بها سنة ١٨٧ هـ (الزركلى ، الأعلام ، ج ٥ ، ص ١٥٣) .

ياعابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك فى العبادة تلعب
من كان يخضب خدّه بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضّب
أو كان يتعب خيله فى باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لايكذب
لايستوى غبار خيل الله فى	أنف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لايكذب

فلما قرآها الفضيل ذرفت عيناه ، ثم قال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحنى . (ج ١ ، ص ٤٥٧) .

فلا عجب من قول ابن مبارك رحمه الله تعالى لأنه ذاق حلاوة الجهاد فى سبيل الله تعالى والمرابطة فى الحدود والكفاح مع أعداء الله تعالى .

وهل يستوى من جاهد فى سبيل الله تعالى بنفسه وماله ، ومن انعزل فى مكان للعبادة ؟ طبعا لا . لأن المجاهد يبذل جهده لإنقاذ البشريّة من الظلمات إلى النور ، وأما المنعزل فى زاوية من الزوايا لايبذل جهده إلا لإنقاذ نفسه فقط . وشتان مابين الهدفين !

لاشك أن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فهموا الاسلام حق الفهم وطبّقوه فى حياتهم العملية ومزجوا بين العبادة والجهاد ، كانوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ، ولنا فى سيرتهم أسوة حسنة ، رضى الله عنهم أجمعين .

٨ ـ صدق النية فى الجهاد كفعله :

من دلائل فضل المولى تبارك وتعالى وعظيم لطفه وكرمه : أنه أتاح للمجاهد فى سبيله أن ينال ثواب الجهاد إذا صحت عليه نيته واخلاصه ، فاذا صدقت نية المسلم فى الجهاد وابتغى له أسبابه ثم عاقه عن الجهاد عائق فإن الله تبارك وتعالى يهبه ثواب المجاهد فضلا منه وتفضّلا . وبذلك يستوي

المجاهد وغيره فى الثواب ، لأن النية الصادقة هى الأصل الصحيح فى استحقاق الثواب ورضى الرب .

قال تعالى ﴿ .. وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء / ١٠٠) .

فهل هناك حفز للمؤمن على الجهاد أقوى من ذلك ؟ وأنه ينال ثواب الجهاد وهذا يتوقف على مدى صدق نيته . وأغرب من ذلك : أن مجرد طلب الشهادة من الله تعالى بصدق واخلاص مع الاستعداد العملى للقيام بمطالبها وتحمل عواقبها ، يمنح المجاهد درجة الشهيد . وفى ذلك روى مسلم رحمه الله عن سهل بن حنيف رضى الله عنه عن أبيه عن جده، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه " (كتاب الامارة رقم ١٩٠٩) .

نعم وإن مات على فراشه ، لأن الأعمال بالنيات ، والمرء يجازى على حسب نيّته .

ولقد جاء فى حديث رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر اليه)(كتاب الامارة ، رقم ١٩٠٧) .

٩ ـ الموت فى سبيل الله حياة :

الإسلام يربّى المؤمن على أن الموت فى سبيل الله تعالى حياة .. حياة دائمة خالدة ، بل إن روح الشهيد لتنتقل إلى رياض الجنة لتنعم فيها بعيشة ناعمة لسعيها راضية ، ولهذا فمن ابتغى الحياة الخالدة السرمدية فى الجنة فعليه ان يطلبها تحت ظلال السيوف أو غيرها من أدوات القتال الحديثة .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ

عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(آل عمران /١٦٩).

وهكذا اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن تبقى أرواح الشهداء حية بعد مفارقتها لأجسادهم ، وأن يتفضل المولى العلى القدير عليهم بمختلف أنواع الرزق تكريما لهم وإعظاما لتضحياتهم ، ذلك من وقت استشهادهم الى وقت بعثهم " فكأنّ حياة الدنيا دائمة متجددة لهم وهم عنها راحلون .

وإذا عرف المقاتل المؤمن أنه سيظل حيًّا بالشهادة ، فهل يُخيفه الموت والشهادة فى سبيل الله تعالى ؟

وحين يعلم أن الاستشهاد فى سبيل الله تعالى سوف يضمن له مقعد صدق عند مليك مقتدر فلماذا يتردد فى طلب الموت ؟

روى الامام مسلم رحمه الله تعالى فى صحيحه عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿ ولاتحسبن الذين قتلوا ...) فقال : (أرواحهم فى جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى الى تلك القناديل ...)(كتاب الامارة ، رقم ١٨٨٧).

ويستفاد من النصين القرآنى والنبوى :

* أن حياة الشهداء حياة محققة مؤكدة لا مجازية ولا وهمية ، .

* وأنها حياة واقعية يمارس فيها الشهداء ما أنعم الله عليهم من ثمرات الجنة .

* وأن الشهداء فى الجنة يرغبون إبلاغ إخوانهم بما هم فيه من نعيم مقيم حتى يزدادوا فى الجهاد رغبة ، وحتى يحرصوا على الفوز فى الدنيا بالشهادة لايتمنى أحد أن يرجع إلى حياة الدنيا بعد دخوله الجنة إلا الشهيد لأنه ذاق حلاوة إيمانه وثمرة جهوده بنعيم لايقاس أبدا بملذات الدنيا

روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ماعلى الأرض من شىء

إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)
(البخارى : كتاب الجهاد ، رقم ٢٦٦٢ ، مسلم : كتاب الامارة رقم : ١٨٧٧)

وهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وهو سيد ولد آدم ، أفضل الأنبياء والرسل ، صاحب المقام المحمود والحوض المورود والشفاعة العظمى يتمنى أن يقتل فى سبيل الله مرات ومرات .

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تضمن الله لمن خرج فى سبيله ، لايُخرجه إلا جهاد فى سبيلي وايمانا بى، وتصديقا برسلي فهو علىّ ضامن أن أُدخله الجنة أوأرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه ، نائلا مانال من أجر أو غنيمة . والذى نفس محمد بيده . مامن كَلْم يُكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلم، لونه لون دم وريحه مسك . والذى نفس محمد بيده . لولا أن يشقّ على المسلمين ماقعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا . ولكن لا أجد سعة فأحملهم . ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى . والذى نفس محمد بيده . لوددت أنى أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل) . (كتاب الامارة / ١٨٧٦) . ان هذه بشارة سارة من المولى تبارك وتعالى للمجاهد الصادق المخلص بضمان الدنيا والآخرة ،وأما ضمان الدنيا هو النصر والغلبة على الأعداء والتمكين فى الارض ونيل الأجر والغنيمة ، وأما ضمان الآخرة فهو الامان من عذاب القبر والخلود فى روضات الجنة وله فيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر .

وحين يسمع المؤمن هذا الوعد المطلق من الله الوهاب هل يُخيفه الموت فى سبيل الله تعالى ؟ فما الذى يمنعه عن إراقة دمه فى أشرف الوان الموت ؟ لأن خاتمه الحياة هى الموت لا محالة ، فواجب المسلم أن يتخير لنفسه أشرف أنواع الموت ، وأن تكون هذه النهاية مرتبطة بأعظم الأجر والثواب من الكريم الوهاب .

إن الشهيد يبعث يوم القيامة وإن جرحه يسيل دما . لونه لون دم ولكن ريحه ريح مسك يغبطه الناس ويتعجبون منه ، وفوق ذلك كله أن أهله

وأقاربه بانتظاره لينالوا من شفاعته كما جاء فى حديث رواه الترمذى وأبو داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته " الترمذى : كتاب فضائل الجهاد ، رقم ١٦٦٣ ، أبو داود ، كتاب الجهاد رقم : ٢٥٢٢ .

٥ ـ أنواع الجهاد فى الإسلام :

وإذا نظرنا إلى النصوص الواردة فى كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد أن أعداء المؤمن بصفة خاصة ، وأعداء الدعوة الاسلامية والأمة المسلمة بصفة عامة تنحصر فى خمسة اعداء رئيسية ألا وهى النفس البشرية بشهواتها وأهوائها والشيطان اللعين ، والكفار والمنافقين ، وفئة الفاسقين والظالمين ، ويشترك هؤلاء الأعداء فيما بينهم على محاربة عباد الرحمن على تعطيل مسيرة الدعوة الاسلامية .

ولقد أشار ابن قيم الجوزية إلى هؤلاء الأعداء فى زاد المعاد وبين عظم خطرهم على المؤمن وأشار إلى ضرورة جهادهم ومحاربتهم .(ج ٣ ، ص ٧٠٥) .

وكما أشار اليهم الامام القرطبى رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَجَٰهِدُوا فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ قال : هو اشارة إلى امتثال جميع ما أمر الله به والإنتهاء عن كل مانهى الله عنه أى جاهدوا أنفسكم فى طاعة الله تعالى وردّها عن الهوى ، وجاهدوا الشيطان فى ردّ وسوسته ، والظلمة والكافرين فى ردّ كفرهم . (ج ١٢ ، ص ٩٩) .

ويقول الرّاغب فى المفردات : " أن الجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر ، ومجاهدة الشيطان ، ومجاهدة النفس " ص ١٠١ .

وبعد عرض آراء بعض العلماء فى أنواع الجهاد يمكن لنا تصنيف الجهاد كالآتى :

١ ـ جهاد النفس ٠

٢ ـ جهاد الشيطان ٠

٣ ـ جهاد المنافقين ٠

٤ ـ جهاد الكفار ٠

وسوف نحاول من خلال الصفحات التالية أن نتعرف على كل نوع من أنواع الجهاد بشيء من التفصيل وفقا للترتيب السابق إن شاء الله تعالى ٠

(١) جهاد النفس :

إن الله تبارك وتعالى خلق النفس البشرية ، وهو أعلم بها منها ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ الملك / ١٤ ، وزودها سبحانه وتعالى باستعدادات متساوية للخير والشر ٠ وارشدها سبلها : صلاحها وتقواها حيث قال جل شأنه : ﴿ ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ (الشمس ، ٧ ـ ١٠)٠

قال ابن كثير رحمه الله في التفسير : « أى خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة ، فأرشدها الى فجورها وتقواها ٠ قال ابن عباس رضى الله عنهما : بين لها الخير والشر ٠
قد افلح من زكى نفسه بطاعة الله تعالى وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل »٠(جـ ٤ ، ص ٥٥٧)٠ وأما طبيعة النفس البشرية فلقد أشار إليها سيد قطب فى الظلال :

" بأنها مزدوجة ، مزدوجة الإستعداد ،مزدوجة الإتجاه ، والإنسان مزود باستعدادات متساوية للخير والشر ، والهدى والضلال وأنه قادر على التمييز وتوجيه نفسه إلى الخير والشر سواء ، وأن هذه القدرة كامنة فى كيانه ، كامنة فى صميمه فى صورة استعداد ٠ أن وظيفة الرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إيقاظ هذه القدرات وتوجيهها هنا

أو هناك ، إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة، قوة واعية مدركة موجهة فى ذات الإنسان ، هى التى تناط بها التبعة، فمن استخدم هذه القوة فى تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير فيها وتغليبه على استعداد الشر ، فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب " (ج ٦ ، ص ٣٩١٧) .

وهذا تشخيص رائع للنفس البشرية، ووظيفة التربية هى توجيه استعداد الخير وتنميته وتغليبه على استعداد الشر ، وبذلك يمكن للتخلص من تسلط قوى الشر الّتى تهدد النفس البشرية باستمرار، وبالتالى تزكية النفس البشرية وتطهيرها وتهذيبها بالتعرف على كل عيوبها وأمراضها ومن ثم علاجها للوصول إلى الفلاح * قد افلح من زكها ، وقد خاب من دسها * .

وبذلك تظهر أهمية جهاد النفس للفرد المسلم لانقيادها على طاعة الله تبارك وتعالى وامتثال أوامره واجتناب نواهيه . وحين فقد المسلم جهاد نفسه وأهمله فقد شخصيته الإسلامية .

وأما جهاد النفس فقد أشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى عن فضاله بن عبيد رض الله عنه " المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله ، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه "(كتاب فضائل الجهاد ١٦٢١ ، حديث حسن صحيح)، فأنه مقدم على جهاد العدو .

وفى ذلك يقول ابن القيم فى زاد المعاد : " إن جهاد النفس مقدّم على جهاد الأعداء فى الخارج ، وأصل له ، فإنه مالم يجاهد نفسه أولا ، لم يمكنه جهاده عدوه ، فكيف يمكنه جهاد عدوّه ، وعدوّه الذى بين جنبه قاهر له ، متسلط عليه لم يجاهد ولم يحاربه فى الله ، بل لايمكنه الخروج إلى عدوه ، حتى يجاهد نفسه على الخروج " (ج ٣ ص ٦) .

ولذلك كان الجهاد قبل الإذن بالقتال جهاد النفس : بتقويمها ، وتزكيتها وتطهيرها وإصلاحها، وكان الجهاد جهاد صبر ومصابرة وتضحية حتى تبقى النفس

آمنة مطمئنة ، قوية الايمان ، راسخة اليقين •

وفى ذلك يرى سيدقطب أيضا أن المسلم قبل أن ينطلق للجهاد فى المعركة يكون قد خاض معركة الجهاد الأكبر فى نفسه مع هواه وشهواته ، مع مطامعه ورغباته ، مع مصالحه ومصالح عشيرته وقومه ، ومع كل دافع إلا العبودية لله تعالى وتحقيق سلطانه فى الارض وطرد سلطان الطواغيت المغتصبين لسلطان الله تبارك وتعالى • (ج ٣ ، ص ١٤٤١) •

حقا أن تضحية النفس والمال والوقوف أمام الأعداء ، تتطلب إيمانا راسخا فى القلوب ويقينا صادقا فى الصدور •

إذا ماهى مراتب جهاد النفس ؟ وكيف نجاهد أنفسنا ؟ وماهى الخطوات التى نسلكها فى خلال عملية التزكية ؟

يرى ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى فى الفتح (١٣٧٨ هـ) أن جهاد النفس يمر بمراحل ثلاث :

المرحلة الاولى : تعلم أمور الدين ، والثانية العمل بها ، والثالثة تعليمها • (ج ٦ ، ص ٣٤٣ •

بتعبير آخر أولا : العلم والعمل ثم التعليم •

بينما يرى ابن القيم رحمه الله تعالى أن جهاد النفس أربع مراتب : قال فى زاد المعاد :

المرحلة الاولى : جهادها على تعلم الهدى ودين الحق ، والثانية : جهادها على العمل به بعد علمه والثالثة : جهادها على الدعوة اليه وتعليمه من لايعلمه والرابعة: جهادها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله تعالى وأذى الخلق) (ج ٣ ، ص ١٠) •

ولاتختلف وجهة نظر ابن حجر عن وجهة نظر ابن القيم فى تقسيم مراحل جهاد النفس وهما يشتركان فى مراحل ثلاث فى هذه العملية وهى :

١ ـ تعلم أمور الدين •   ٢ ـ العمل بمقتضاها •   ٣ ـ نشره وتعليمه ،

ووجوب استكمال هذه المراتب كلها ليصير العبد من الربانيين .

وفى ضوء التصنيفات السابقة يمكن لنا أن نستنتج أن جهاد النفس يمر بمرحلتين رئيسيتين :

الاولى : جهاد داخلى وهو جهاد الفرد بنفسه على تعلم أمور الدين ثم العمل بها .

والثانية : تعليمه ونشره على الآخرين .

إذاً هناك مظهران لجهاد النفس : مظهر دينى ، ومظهر اجتماعى ، وكلا المظهرين يكمل بعضه الآخر فى صورة عملية بحيث لاينفصلان أبدا .

والخلاصة أن الله تبارك وتعالى خلق النفس البشرية وأرشدها إلى طريق الخير والشر بإرسال الرسل الكرام وإنزال الكتب السماوية ، وخيّرها بين أن يسلك أحد هذين الطريقين ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد / ١٠) ، وأمر عباده بتزكيتها وتطهيرها بحملها على طاعة الله تبارك وتعالى حتى تكون آمنة راضية مرضية ومن دساها فقد خاب وخسر . وأن جهاد النفس مقدم على جهاد العدو ومصاحب معه ، ولاينفك عنه بحال من الأحوال .

٢ ـ جهاد الشيطان :

أن من فضل الله تبارك وتعالى على عباده، أن عرفهم على أعدائهم وأساليب الوقاية منهم ، وطرق مجاهدتهم ، ومن هؤلاء الأعداء الشيطان اللّعين : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾(فاطر : ٦) وقد ذكر الشيطان فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كثيرا ، تحذيرا من عداوته وحثا على معارضته وجهاده ، وأمرنا الله عز وجل ألاّ نتّبع خطواته ، لأنه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(البقرة /١٦٩) .

إن للشيطان منافذ يدخل منها إلى قلب الانسان ، واذا استطاع المؤمن أن يتعرّف على هذه المنافذ وسدّها فقد قطع الطّريق على هذا العدو .

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ الاسراء /٦٥ . وعلى رأس هذه المنافذ الهوى والشهوات ، والهوى هو ميل النفس إلى الشهوة ، فمن امتلأ قلبه بها فقد أتاح للشيطان فرصة الدخول والسيطرة على قلبه ، ومن ثم الاستيلاء عليه ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾ الجاثية / ٢٣ فعمل الشيطان هو الوسوسة والتزيين وإلقاء الأماني وذلك من أجل صرف الانسان عن أمر ربه وطاعة خالقه جل وعلا .

﴿ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ (النحل/٦٣)

والشيطان يريد إيقاع العبد في عقبة من العقبات ، بعضها اصعب من بعض ولاينزل من عقبة إلى مادونها الا اذا عجز عن الظفر به فيها .

وقد أشار ابن القيم رحمه الله تعالى الى تلك العقبات في « مدارج السالكين » (١٤٠٣ هـ) وهي :

١ ــ عقبة الكفر بالله تعالى وبدينه ولقائه .

٢ ــ عقبة البدعة . ٣ ــ عقبة الكبائر . ٤ ــ عقبة الصغائر

٥ ــ عقبة المباحات . ٦ ــ عقبة الاعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات . " (ج ١ ، ص ٢٤٥) .

معنى ذلك أن الشيطان اللعين يتدرج في الإغواء ، إن أولى المراحل التي يحاول الشيطان من خلالها إغواء الانسان والإيقاع به في المهالك هو الكفر بالله تعالى وبدينه لأنه إذا أبعد الانسان عن الله تعالى وهديه أمكن بعد ذلك أن يفعل به مايريد . ومن هنا كانت أولى درجات الغواية وأهمها البعد عن الطريق السوي، ألا وهو طريق الحق سبحانه وتعالى . وإن عجز اللعين عن إغواء العبد في العقبة الأولى ينتقل إلى العقبة الثانية والثالثة .. حتى يفسد نيته وإخلاصه ويحبط عمله بأية وسيلة ، وفي نهاية الأمر يؤديه إلى النار وبذلك يرتضي عدو الله ، لأنه حصل مقصوده ونال على مايريد . ولكن جهاده لايتم إلا بمعرفة أهدافه وأساليبه ومنافذه إلى قلوب العباد وإذا تعرف العبد إلى هذه ، أمكنه بعد ذلك مقاومته ومعارضته ومن ثم جهاده إن شاء الله تعالى . ولاشك أن أولى مراحل جهاده أن يكون لدى المؤمن العزم على جهاده ، ثم الإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى

ومراقبته جل وعلا ، لأن الذكر يوقظ القلب من الغفلة ويُبعد الشيطان ،ومن ينسى ذكر الله تعالى يصبح للشيطان قرينا ﴿ومن يَعْشُ عن ذكر الرّحمن نُقيّض له شيطانًا فهو له قرين﴾ الزخرف / ٣٦ وعلى الانسان أن يتوب إلى الله توبة نصوحا ويستغفره ، ويستعيذ به من الشيطان فى كل أوقاته ، ويطلب من الله تعالى العون والسداد . ومن كان حريصا على نيل رضوان الله تعالى والتخلص من كيْد الشيطان فليعبدْ ربه وليجاهدْ نفسه وشيطانه ، ومن دخل هذا المضمار بحق فإن الله تبارك وتعالى سوف يفتح له كل خير ﴿وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

(العنكبوت / ٦٩)

ان هذا وعد من الله تبارك وتعالى ، والله سبحانه وتعالى لايخلف وعده .

٣ ـ جهاد المنافقين :

المنافقون هم الذين أظهروا الايمان وأبطنوا الكفر ، فهم أشد خطرا على الإسلام والمسلمين من غيرهم من الكفار ، وذلك لوجودهم فى قلب الأمة الاسلامية والمجتمع الاسلامى ، ولأجل ذلك أمر الله تعالى بجهادهم مع الكفار حيث قال جل شأنه : ﴿يَٰأَيُّهَا النَّبِيُّ جَٰهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة / ٧٣) .

إن النفاق لم يظهر بمكة المكرمة ، لأن الكفار كانوا أقوياء وأعزاء وكان بمقدرتهم النيل من أهل الاسلام، وقد فعلوه ، ولم تكن هناك ضرورة أو حاجة لأن يتظاهروا بالإسلام . ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة أقيمت الدولة الاسلامية وأصبح للمؤمنين قوة ومنعة وعزة وكرامة، فحينئذ تظاهروا بالإسلام وأبطنوا بالكفر ، خوفا من عز الاسلام وأهله، وطمْعا لمتاع الدنيا الفانية من جهة ، عداوةً وبُغضا للاسلام والمسلمين من جهة أخرى،ولكن الله سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة الذى يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور كشف أستارهم و فضحهم وذكر صفاتهم الذميمة وأعلم نواياهم الخبيثة وجعلهم فى الدرك الأسفل من النار ﴿إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء / ١٤٥) . وقد

أمر الله سبحانه وتعالى نبيّه أن لايصلي على أحدمنهم قد مات ، وأن لايقوم على قبره وأن لايستغفر لهم ، وأن لايخرج معه أحدا للقتال منهم وذلك بعد غزوة تبوك .

ومن أهم خصائص المنافقين وصفاتهم : الكذب ، والخيانة والفجور .. ولقد روى الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان) البخارى كتاب الايمان رقم : ٣٣) مسلم كتاب الايمان رقم : ٥٩) . هذه بعض صفاتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمّا القرآن الكريم ففيه سورة بكاملها تتحدث عن المنافقين ، وكما توجد فيه آيات عديدة تكشف عن ستائرهم وتذكر صفاتهم وتحذر المؤمنين عن تعاملهم . ومن هذه الصفات : المخادعة والكسل فى القيام للعبادات ، لأنهم لايقومون بها خالصة لله تعالى بل للرياء والسمعة ، قال تعالى :
﴿ إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء / ١٤٢).

٢ ـ الصدّ عن سبيل الله تعالى بكل وسيلة ﴿ اتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عن سبيل الله .. ﴾ المنافقون /٢ . لأنه الهدف الاول والغرض الأساسى لديهم قاتلهم الله تعالى .

٣ ـ الفرح لخذلان المؤمنين والحزن لنصرهم : ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ (التوبة / ٥٠) ولاغرابة فى ذلك لأنهم أولياء الكفار ، ومن الطبيعى أن يوالوهم ويعادوا المسلمين، والمرء مع من أحب ، ويقول الله تعالى فى ذلك ﴿ بَشِّرِ الْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ (النساء / ١٣٨) . وهذه بعض صفاتهم وغيرها كثير . فاذا كانت هذه صفاتهم فإن أمرهم خطير، وشأنهم عظيم وكم ضررهم فادحا فى المجتمع الاسلامى ؟ وخاصة فى أوقات الشدة والمحن، وفى مواطن الجهاد، والقتال ، فينبغى الحذر كل الحذر

من هذه الفئة الضّارة السّامّة على الإسلام والمجتمع الاسلامي .

وأما كيفية معاملة النبى صلى الله عليه وسلم للمنافقين فقد لخّصها ابن تيميّة رحمه الله تعالى فى «الصارم المسلول» (١٣٧٩ هـ) كالآتى :
« كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسمع من الكفار والمنافقين فى أول الاسلام أذى كثيرا، وكان يصبر عليهم ، لأن إقامة الحدود عليهم كان يفضي إلى فتنة عظيمة ومفسدة أعظم من مفسدة الصبر على كلماتهم . فلما فتح الله تعالى مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا، وأنزل الله تعالى بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم ، أضمروا النفاق ، فلم يكن يسمع من أحد من المنافقين بعد غزوة تبوك كلمة سوء وماتوا بغيظهم وهذا يفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحتمل من الكفار والمنافقين قبل نزول براءة مالم يكن يحتمل منهم بعد ذلك ، كما كان يحتمل من الكفار من أذى وهو بمكة مالم يكن يحتمل بدار الهجرة والنصرة » . (ص ٢٢٣) .

وإذا نظرنا إلى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم مع المنافقين، نرى أن هناك تدرجا فى معاملتهم على حسب التطورات التى طرأت على الدعوة الاسلامية ، ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة .

بعد ذكر بعض صفاتهم وبعد بيان كيفية معاملة النبى صلى الله عليه وسلم للمنافقين يجدر بنا أن نتعرض لكيفية مواجهة كيدهم ، وإبطال أثرهم فى المجتمع الاسلامي أو على الاقل تخفيف أثرهم على الإسلام والمسلمين .

لقد ذكر محمد نعيم ياسين طائفة من الأساليب والوسائل النافعة فى مواجهتهم فى كتابه الجهاد (١٤٠١ هـ) وصنّفها فى طائفتين :
الاولى : الأساليب الوقائية . والثانية : الاساليب العلاجية .

ومن الاساليب الوقائية : معرفتهم ودراسة صفاتهم ، وترك موالاتهم ومقاطعتهم ووضعهم فى موضع الشك والريبة فى أقوالهم وأعمالهم ، الحيلولة بينهم وبين المراكز الخطيرة، صيانة لصفات المسلم من التنازع والتدابر وحسن الظّن بالإخوة المؤمنين ، والاحتياط والحذر منهم عند العزم على

اتّخاذ إجراءات مهمة والقيام بأعمال خطيرة ، وأما الاساليب العلاجية فتتركز فى : تذكيرهم عذاب الله تعالى إذا لم يتوبوا، وتذكيرهم أن الله تعالى مطلع على سرائرهم وعلانتهم ، عدم التساهل معهم والغلظة عليهم فى معاملتهم وزجرهم بشدة وإظهار عدم الرضى منهم ٠

وأما من العقوبات المعنوية لهم ، عدم الاستغفار ، وعدم الصلاة على موتاهم ورد نفقاتهم وعدم قبولها ٠ (ص ١٤٧ – ١٥٩) ٠

وإذا نظرنا الى الاساليب السابقة لمواجهة كيد المنافقين نلاحظ أن مصنفها قد ذكر الاساليب العامة التى يمكن تطبيقها فى دولة اسلامية أو فى أى مجتمع اسلامى لايقام فيه شرع الله تعالى ، ولاشك أن جهاد المنافقين وأساليب مواجهتهم يختلف من زمان إلى زمان وفى مكان إلى مكان على حسب الظروف والشروط ، وهذا جلى واضح فى كيفية معاملة النبى صلى الله عليه وسلم للمنافقين قبل غزوة تبوك وبعدها وقبل نزول براءة وبعدها٠

كما سبق من تلخيص ابن تيمية رحمه الله تعالى ٠

وقد اختلف العلماء فى الجهاد والغلظة على المنافقين أتكون بالسيف أم فى المعاملة والمواجهة وكشف سرائرهم للأنظار ؟. أن هناك ثلاثة آراء روى ابن كثير فى « التفسير » : الأول : يجاهدون بالسيف إذا أظهروا النفاق ، وروى هذا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعة أسياف : سيف للمشركين ، سيف للكفار أهل الكتاب ، وسيف للمنافقين ، وسيف للبغاة) وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : وهذا يقتضى أنهم يجاهدون بالسيف إذا أظهروا النفاق ٠

الثانى : يجاهدون باللسان والحجة والبيان ، روى هذا عن ابن عباس والضحاك وابن مسعود رضى الله عنهم أجمعين ٠

الثالث : جهادهم باقامة الحدود عليهم ، روى ذلك عن الحسين وقتادة ومجاهد وقال ابن كثير : ولا منافاة بين هذه الاقوال ، لأنه تارة يوءاخذهم بهذا وتارة بهذا بحسب الأحوال ٠ (ج ٢ ، ص ٣٨٥) ٠

واذا نظرنا الى هذه الآراء ، ادركنا ان جهادهم بالسيف واقامة الحدود عليهم لايتحقق الا بعد قيام دولة الاسلام .

والخلاصة أن النفاق مرض خبيث ، فهو خطر على الاسلام والمجتمع الاسلامي ، ولا يخلو أي مجتمع اسلامي في أي وقت من الأوقات من هذا الوباء الذي يظهر عند ضعف المسلمين ويزداد نشاطا ويختفي عند عزة المسلمين وقوتهم ولايمكن استئصاله نهائيا لانه يظهر ويختفي ويتجدد على حسب ظروف المسلمين وأحوالهم فلا حلّ هناك إلا باتباع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين بالتعرف على صفاتهم وتحركاتهم ومراقبتهم من قبل الأمة الاسلامية واتخاذ الموقف المناسب وفقا للظروف السائدة .

٤ ـ جهاد الكفار :

لقد أعلم الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عن موقف الكفار ونوايا هم من الاسلام والمسلمين ﴿ .. وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة / ٢١٧)

هو موقف العدود والإعراض والشر والفساد والمكر والمقاتلة حتى نتّبع ملتهم ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ... ﴾ (البقرة/١٢٠) ويُنفقون أموالهم ويستخدمون كل طاقاتهم وجهودهم ليصدّوا النّاس عن سبيل الله تعالى عدوانا وظلما ، بغيا وحسدا .

لقد جاهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكفار من حيث بُعث إلى أن لقى ربه عز وجل ، واستعمل لهدايتهم وإرشادهم كل الطرق الممكنة والوسائل الملائمة ، لقد رأينا بعضها عند حديثنا عن مراحل تشريع الجهاد، واستقر الحكم النهائي على قتالهم ومحاربتهم بالتفصيل الآتي ، كما ذكره الامام القرطبي في "الجامع" (ج ٨ ، ص ١١٠ ـ ١١٦) :

١ ـ يخير المشركون بين الدّخول في الإسلام وبين السيف ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ

واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم * (التوبة /٥) .

٢ ـ يخير أهل الكتاب من اليهود والنصارى بين أمور ثلاث : إما الدخول في الإسلام أو الدخول في ذمة المسلمين مع دفع الجزية أو السيف .

قال تعالى : * قتلوا الذين لايؤمنون بالله وباليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صغرون *(التوبة / ٢٩) .

وأما كيفية جهاد الكفار لقد تحدثنا عنه بشيء من التفصيل عند بياننا لحكم الجهاد ومراحل تشريعه وفضله وسوف نتناوله أيضا عند حديثنا عن أهداف الجهاد وعند دراستنا لسورة الانفال إن شاء الله تعالى .

ويتضح مما سبق أن أنواع الجهاد في مجموعها متكاملة ومترابطة فيما بينها، ولايعني ماتقدم من التقسيم أن بعضها منفصل عن بعض . لقد جاءت آيات كريمة وأحاديث شريفة تأمر بكل نوع منها وتوضح منها مايرمي لتحقيق هدف واحد وهو تحقيق العبودية لله تعالى على مستوى الافراد والجماعات والأمم ، ومن ثم العالم .

٦ ـ أهداف الجهاد في الاسلام :

لقد شرع الله سبحانه وتعالى الجهاد لأهداف سامية ومقاصد نبيلة كلها خير وبركة ، وكلها عدل ورحمة ، إن هذه الأهداف منبثقة من الغاية الاساسية التي خلق الله تعالى الخلق لأجلها وهي تحقيق العبودية لله تعالى وحده لاشريك له * وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون *(الذاريات / ٥٦).

إن الهدف الرئيسي هو إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى في الأرض . قال تعالى لبيان هذا الهدف : * وقتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير *(الأنفال / ٣٩).

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ أى يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان (ج ١ ، ص ٢٣٤) .

ولقد جاء الإسلام ليكون إعلانا عاما لتحرير الانسان فى الارض من عبودية العباد الى عبودية رب العباد، ومن العبودية لهواه وشهواته إلى عبودية رب العالمين . وهذا لايتحقق إلا باظهار دينه واعلاء كلمته تبارك وتعالى .

وقد أوضح النبى صلى الله عليه وسلم هذا الهدف الاساسى من الجهاد فى حديث جامع شامل رواه أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرجل : الرجل يقاتل للمغنم والرّجل يقاتل للذّكر ، والرجل يقاتل ليُرى مكانه فمن فى سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله)(حديث سبق تخريجه) .

والمؤمن لايجاهد لغرض دنيوى أو كسب مادّى أو لغرض نفسى ، فلقد ردّ النبى صلى الله عليه وسلم كل هذه الأغراض التافهة ، ووجه الأنظار إلى هدف سامى وغاية عليا وهو إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى .

ثم إن الجهاد الاسلامي مقرون باصطلاح - فى سبيل الله - كلما ذُكر فى كتاب الله تعالى أو فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومتى خرج عن هذا القيد ، أصبح كحروب الناس ، وفَقَدَ هويّته الشرع ، فلا يُسمّى فى سبيل الله تعالى ، بل يسمى فى سبيل الطاغوت .

ومن هذا الهدف العام للجهاد يمكن أن نستنبط عدة أهداف فرعية تتمثّل فى :

١ - إقامة منهج الله تعالى فى الارض عقيدة وشريعة .

٢ - تبليغ دعوة الاسلام إلى العالم .

٣ - دفع عدوان الكافرين وحماية المظلومين والمستضعفين .

٤ - ابتلاء المؤمنين ونيل الشهادة فى سبيل الله تعالى .

٥ ـ الحصول على الغنيمة والفئ ٠

والآن نتحدث بشئ من التفصيل عن هذه الأهداف الفرعية للجهاد الاسلامي ٠

١ ـ إقامة منهج الله تعالى فى الارض :

ومن أهداف الجهاد فى سبيل الله تعالى إقامة منهج الله تبارك وتعالى فى الأرض والحكم بما أنزل الله تبارك وتعالى ، بتحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عقيدة وشريعة على مستوى الأفراد والجماعات وبمعنى آخر إقامة الدولة الاسلامية بحذافيرها ٠ إن الاسلام منهج حياة ، فلقد أنزل الله تعالى كتابه ليكون للناس دستورا إلهيا ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ (النساء/١٠٥) ٠ وإن الحكم بغير ما أنزل الله تعالى كفر ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ المائدة /٤٤ ٠

فالدين الذي ارتضاه الله عز وجل للبشرية لم ينزله للعقيدة أو العبادة فقط ، ولا بيانا للأداب والاخلاق والفضائل فحسب ، ولا بيانا للأنظمة والشرائع فقط ، ولكنه يشمل ذلك كله إنه عقيدة ، عبادة ، وأخلاق ، ونظام ٠٠ إنه دين ودولة يقيم شئون الدنيا كلها على أساس من الدين ، ويتخذ من الدين سندا للدولة ٠

ويرتبط الدين بالدولة فى الاسلام ارتباطا كبيرا ، ارتباط القاعدة بالبناء فالدين أساس الدولة وموجهها ولايمكن تصور دولة اسلامية بلا دين كما لايمكن تصور الدين الاسلامى بلا دولة ٠

وقد سبق أن ذكرنا عند حديثنا عن مراحل تشريع الجهاد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يباشر الجهاد إلا بعد الهجرة بعد أن قام بتأسيس الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة وبعد أن بدأ بتطبيق منهج الله تبارك وتعالى عقيدة وشريعة لأنه لايمكن أبدا نشر الدين الاسلامى ، ولا التمكن من حماية المظلومين والمستضعفين فى الأرض إلا بقوة الدولة وبرجال آمنوا و نشئوا

فى ظلّ منهج الله تبارك وتعالى .

ويقول المودودى رحمه الله تعالى فى « الجهاد فى الاسلام » :

" إن الاسلام ليس بمجرد مجموعة من العقيدة الكلامية ، وجملة المناسك والشعائر كما يفهم من معنى الدين فى هذه الأيام بل الحق أنه نظام شامل ، يريد أن يقضي على سائر النّظم الباطلة الجائزة الجارية فى العالم ويقطع دابرها ويستبدل بها نظاما صالحا ومنهجا معتدلا يرى أنه خير للانسانية من النظم الاخرى ، وأن فيه نجاة للجنس البشرى من أدواء الشر والطغيان " (ص ٢٨) .

حقا إنه لنظام شامل يشمل الحياة كلها ، وتحقيق هذا النظام هو أولى مرحلة من مراحل الجهاد الاسلامى وأول هدف من أهدافه .

فالاسلام من حيث الاساس يرفض كل حركة غايتها إقامة أية نظم شرقية أو غربية ، لايقوم على منهج الله تعالى ، لأن أنظمة الكفر مهما اختلف أسماءها وتنوعت أشكالها فإنها ترمى فى النهاية إلى القضاء على منهج الله تبارك وتعالى ، وإقامة منهج البشر بدل منهج الخالق تبارك وتعالى ، ولذلك فإن الاسلام اعتبر الكفر ملة واحدة فى جميع أنواعه وصوره على مدى العصور والامكنة والأزمنة .

٢ ـ تبليغ الدعوة الاسلام إلى العالم :

إن الاسلام دين عالمى ، لقد بعث الله تبارك وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لهداية البشرية جميعا وجعله خاتم النبيين وأنزل القرآن الكريم -وهو آخر الكتب السماوية - لإرشاد الناس إلى الحق والهدى وليخرجهم من ظلمات الشرك والكفر والعصيان الى نور الهدى والايمان .

وقال تعالى مخاطبا نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سبأ : ٢٨) .

وأمر نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم بتبليغ الدعوة إلى الناس أجمعين ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ، وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ .. ﴾ (المائدة / ٦٧) . وكما هو معروف لم يكن طريق الدعوة الاسلامية سهلا هيّنا ، فمن الطبيعي ألا تجد استجابة سريعة من قبل الناس ، والقرآن الكريم يقص علينا مالاقاه الرسول عليه الصلاة والسلام بصفة خاصة والرسل الكرام بصفة عامة من معارضة وأذى من قبل أعدائهم .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار فى بداية الأمر بالحجة والبيان والحكمة والموعظة الحسنة ، وأمر بالعفو والصفح والصبر وأنذر عشيرته الاقربين وقومه وتحمّل فى سبيل الدعوة أنواعا من الأذى .

فما كان موقف الكفار من هذه الدعوة ؟ هو موقف الإعراض والعناد والمكر والفساد والوقوف أمام الحق وصد الناس عن دين الله تعالى .

ولقد أعلم الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم عن موقف الكفار ونواياهم السيئة ومقاصدهم الخبيثة بأنهم لايزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا ، وفى ذلك ينفقون أموالهم ويستخدمون كل امكاناتهم المادّية منها والمعنوية ليصدّوا الناس عن دين الله تعالى .

فاذا كان هذا موقفهم من الدعوة الاسلامية ، لابد بالمقابل من موقف مناسب للحال ، حتى ينشر دين الله تعالى فى الارض .

والموقف الذى اختاره الله تعالى هو خير موقف ، أنه لابد من دعم الدعوة ورجالها ، ولابد من إزالة الحواجز والموانع ولابد من مقاومتهم بالسيف بعد مقاومتهم باللسان والحجة والبيان .

إذاً الجهاد مرحلة حتمية من مراحل الدعوة الاسلامية لابد منه .
إن الاسلام لايعد القتال غاية فى ذاته وإنما يعدّه وسيلة لتحقق الغاية العظمى من الجهاد .

إن الذى يعنيه هذا النص القرآنى .. ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ هو إزالة الحواجز المادية والمعنوية المتمثلة فى سلطان الطواغيت وامكانية إيصال الدعوة إلى كافة الناس مهما غلا الثمن .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوضح لنا ذلك الهدف من الجهاد في حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله، فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه ، وحسابه على الله)(البخاري : كتاب الجهاد / ٢٧٨٦ ، مسلم : كتاب الايمان / ٢١)٠

وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه الشيخان لعلي رضي الله عنه يوم خيبر بعد أن أعطاه الراية (٠٠ انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النعم)(البخاري : كتاب الجهاد / ٢٧٨٣ ، مسلم : كتاب فضائل الصحابة / ٢٤٠٧) ٠

تبين من ذلك أن الغرض الاساسي للجهاد هو دعوة الناس إلى الاسلام فإذا قبلوا عصموا من المجاهدين دماءهم وأموالهم ، ويصبحون أفرادا في المجتمع الاسلامي فلهم مالهم من حقوق وعليهم ماعليهم من واجبات ٠

وذكر ابن كثير في «البداية» (١٩٧٤م) أن رستم قائد الفرس ظن أن المسلمين جاءوا للحصول على متاع الدنيا ونعيمها ولذلك يحاربون ، فما كان أن فوجيء بجواب ربعي بن عامر مبعوث سعد بن أبي وقاص قبل وقعة القادسية ، وذلك بعد أن سأله رستم : ماجاء بكم ؟ قال ربعي : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام)(جـ ٢ ، ص ٣٩) ٠

وهذا دليل واضح لايقبل الشك على أن الهدف من الجهاد الاسلامي هو تنوير الناس بنور الايمان وتخليصهم من أيدي الغاصبين لحريتهم وكرامتهم وكيانهم وإطلاقهم أحرارا يعيشون آمنين مطمئنين على أنفسهم وأموالهم في ظل عدل الاسلام متمتعين بنعمه الجزيلة وحقوقه الشاملة وبذلك اكتسبت حركة الجهاد بتحريرها للانسان صفتها العالمية لانها لم تضيق رسالتها على العرب بصفة خاصة وانما اتجهت إلى الانسان كله بصفته الانسانية مهما كان نوعه أو سلالته كما لم تضيق رسالتها على أرض العرب وحدها وإنما اتسعت مجالاتها لتشمل

الأرض كلها، وان الشواهد التاريخية لحركة الجهاد لتوءكد تلك الحقيقة فالمجاهدون الأوائل نشروا الاسلام بالبيان والسنان وأزالوا الحواجز والعوائق أمام الدعوة الاسلامية .

٣ ـ دفع عدوان الكافرين وحماية المظلومين والمستضعفين :

إن الاسلام دين العزة والكرامة ، لايقرّ لأهله الذل والاستسلام والاستكانة ، لان العزة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللموءمنين جميعا ولايرضي لاهله السكوت على اعتداء المعتدين وظلم الظالمين بل يأمر أهله أن يقابلوا الإعتداء بالمثل ولايتركوا المعتدين دون جزاء يفعلون للاسلام وأهله مايريدون قال تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة / ١٩٤) .

ولذلك أذن الله سبحانه وتعالى للموءمنين بالقتال لانهم ظلموا ، وأخرجوا من ديارهم وحرّموا من أموالهم ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج / ٣٩) .

وقد سبق وأن ذكرنا فى حكم الجهاد ان الدفاع فى مواجهة أى هجوم عدوانى على المسلمين هو فرض موءكد لايجوز تركه بحال من الاحوال .

ولايقتصر الجهاد فى الاسلام على دفع الاذى عن المسلمين ورد عدوان المعتدين فى مركزه فقط ، بل إنه شرع لدفع الظلم والعدوان أينما وقع وبأى شكل وقع . لأن الموءمنين إخوة وإنهم فى توادّهم وتراحمهم كالجسد الواحد ، يحسون بآلام اخوانهم ويشاركونهم فى حل مشاكلهم وقضاياهم .

وهذه فئة قليلة من الموءمنين فى مكة عذبوا وأوذوا بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يتيسر لهم سبل الهجرة وهم راغبون ، ولقد أنكر الله سبحانه وتعالى على المسلمين عدم انقاذهم المستضعفين والمظلومين من إخوانهم وهم محصورون ، قال تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ

يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وأجعل لنا من لدنك وليًا واجعل لنا من لدنك نصيرًا * (النساء / ٧٥). وكيف ترتاح نفوس المؤمنين وتغمض لهم جفن وهم يعلمون بأن اخوانهم فى الله يعانون أشد المحنة والفتنة ، الفتنة فى العقيدة والدين ؟ والحق أن انقاذ المظلومين والمستضعفين من أيدى الظالمين من مقتضيات الإيمان والأخوة الإسلامية وإنه من صلب الجهاد الاسلامى وجوهره. وقد أوجب فقهاء الاسلام على الامة الاسلامية كلها أن يخلصوا المرأة المسلمة اذا أسرها أعداء الله .

ويقول ابن عابدين فى الحاشية ـ وهو من فقهاء الحنفية " مسلمة سبيت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها من الأسر .. " (ج ٦ ، ص ١٢٦٠) لأن المؤمنين أمة واحدة. وانتهاك حرمات مؤمن واحد هو انتهاك حرمات المؤمنين مهما كان لونه وعرقه وبلده الذى يسكن فيه، لان العبرة بالعقيدة والدين لا باللون والجاه والمال والبلدان.

والخلاصة أن دفع عدوان الكافرين وحماية المظلومين واجب دينى وأنه من أهداف الجهاد الاسلامى ، ومن ملازمات الأخوة الايمانية .

٤ ـ ابتلاء المؤمنين ونيل الشهادة فى سبيل الله تعالى :

إن الابتلاء سنة الله تعالى فى خلقه سواء فى ذلك مؤمنهم وكافرهم لان الدنيا دار ابتلاء * وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرًا * وهذا عام فى جميع الخلق . (الفرقان / ٢٠)

واذا كان الإبتلاء سنة الله تعالى فى الناس كافة فإن أصحاب الرسالات السماوية خاصة أشد تعرضا لأنواع الابتلاء ويقول تعالى * وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين * (الفرقان / ٣١). ولقد روى الترمذى ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى الناس أشد بلاء ؟ فقال : " الانبياء ، ثم الامثل فالامثل ، يبتلى الرجل حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وماعليه خطيئة)(كتاب الزهد / ٢٣٩٨ ، حديث حسن صحيح).

لأن الانبياء هم صفوة خلق الله تعالى وجاءوا ليخلصوا الناس من هواهم وشهواتهم وضلالاتهم،وفى المقابل فهم يتعرضون إلى الرفض والإنكار ويصابون بالابتلاء ، وكان صبرهم أعظم وأكمل فى ذلك الإختبار والامتحان .

وإذا كان هذا حال الانبياء عامة فنبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضل الأنبياء والرسل ـ كان أكثر تعرضا لأذى قومه . وكان عليه الصلاة والسلام فى القمّة من الصبر والنجاح فى الابتلاء ، وكان الصحابة رضى الله عنهم أكثر تعرضا للبلاء من بين أُمم الانبياء السابقين . وكيف لا ؟ انهم خير أمة أخرجت للناس ، تربوْا بمدرسة النبى صلى الله عليه وسلم ، رضى الله عنهم وأرضاهم . يقول تعالى فى الابتلاء ﴿ أَلَمٓ . أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾(العنكبوت / ١ ـ ٣).

إن الصحابة رضى الله عنهم لم يتركوا،بل فتنوا فى سبيل الله تعالى أشد البلاء حتى شكوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . روى البخارى عن خباب بن الأرت رضى الله عنه أنه قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وهو متوسّد بردةً له فى ظلّ الكعبة ، فقلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ؟ قال : " كان الرجل فيمنْ قبلكم يُحفر له فى الارض فيُجعل فيه ، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق با ثنين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ، مادون لحمه من عظم أو عصب ومايصده ذلك عن دينه .والله ليتمنّ هذا الامر ، حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون)(كتاب المناقب/٣٤١٦).

إن الله تبارك وتعالى اقتضت حكمته أنه لابد من امتحان النفوس ليخرج صادقها من كاذبها وصحيحها من سقيمها وليمحص الذين آمنوا ويمحق الكفار ويتخذ من المؤمن شهداء أخلاء ، حيث قال تعالى ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾(آل عمران / ١٤٠).

وقد ابْتلى دعاة الإسلام فى كل عصر وفى كل زمان،ويستمر ابتلاءهم مادام هناك حق وباطل والصراع القائم بين أهل الكفر والإيمان والذى

لابد منه - إلى أن يرث الله الارض ومن عليها ، وهذا سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا .

وقد تختلف أشكال الإبتلاء والامتحان من عصر إلى عصر ، ومن زمان الى زمان أو من شخص إلى شخص ، ولكن الأشكال مهما اختلفت وتنوعت فإن الجوهر والاصل هو النجاح والفلاح لكسب رضى الرحمن .

٥ - الحصول على الغنيمة والفىء :

وليس الحصول على الغنيمة من الاهداف الأصلية للجهاد وإنما من الأهداف الثانوية، لأن الهدف الاصلى للجهاد هو اعلاء كلمة الله تبارك وتعالى ، وأن أهداف الجهاد كلها معنوية ،ومن قال ان الغرض الاساسى فى الجهاد هو الحصول على المادة فقط فهذا مردود فى الشريعة الاسلامية. والمؤمن الصادق لايقاتل الا للهولايسالم إلا لله تبارك وتعالى .

ولكن الله تبارك وتعالى أحلّ الغنائم لهذه الأمة المحمدية، وكانت محرمة على الأمم السابقة . وهذه من رحمة الله تبارك وتعالى واحسانه وتفضله على هذه الامةالتي هيخيرأمة أخرجت للناس والتي جعلها الله أمة وسطا حيث قال تعالى : ﴿ فكلوا مما غنمتم حلا طيّبا ﴾(الانفال / ٦٩). ان الله تبارك وتعالى جعلهاطيبة طاهرة للمؤمنين، وقال عليه الصلاة والسلام فى حديث متفق عليه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (..وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلى..)(البخارى : كتاب التيمم / ٣٢٨ ، مسلم : المساجد ٥٢١). وأن هذه من خصائص النبى صلى الله عليه وسلم وأمته .

كما سبق وأن تحدثنا أن الجهاد يحتاج إلى المال كما يحتاج إلى الرجال. والكافرون ينفقون أموالهم ليصدوا الناس عن سبيل الله تعالى فمن الطبيعي الإستيلاء على أموالهم وإمكاناتهم المادّية لكسر شوكتهم وتعجيزهم ماليًّا وعسكريًا ، وفوق ذلك كله فأن الكافرين لايرحمون المؤمنين . ولايتورعون عن اغتنام اموالهم اذا تغلبوا عليهم ، واغتصاب ثرواتهم وخيراتهم

كلما وجدوا فرصة إلى ذلك كما فعلوا بمكة وغيرها.
ثم إن الاستيلاء على أموال العدو يعتبر ضربة اقتصادية لهم وهذه من أهم المؤثرات التى تكسر معنويات الأعداء، وتعمل على فشلهم . ولاشك إن المؤمنين أحق بالتمتع بنعيم الدنيا ومتاعها لانهم عباد الله حقا، يجاهدون لاعلاء كلمته ونشر دينه، وينفقون أموالهم فى سبيل الله تعالى . وهذا وعد النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزته التى تحققت حيث قال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه " إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذى نفسي بيده، لتنفقنّ كنوزهما فى سبيل الله "(كتاب الفتن / ٢٩١٨).
لقد تحقق وعد النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزته .

وروى البيهقى فى «الدلائل» أن النبى صلى الله عليه وسلم قال حين خروجه لعير قريش قبل معركة بدر الكبرى بعد أن نظر إلى أصحابه (اللهم إنهم حفاة فاحملهم ، اللهم إنهم عراة فاكسهم ، اللهم إنهم جياع فاشبعهم، ففتح الله لهم يوم بدر فانقلبوا ومامنهم رجل إلا وقد رجع بجمل أوجملين واكتسوا أو شبعوا)(ج ٣ ص ٣٨) .

وهذا يدل على جواز الخروج إلى الغزو للحصول على المادة، لان النبى صلى الله عليه وسلم دعا بذلك ولقد أجاب الله تبارك وتعالى دعاء حبيبه محمد عليه الصلاة والسلام .

ويقول الامام القرطبي رحمه الله تعالي فى «الجامع» فى هذا الصدد.
" ودلّ خروج النبى صلى الله عليه وسلم ليلقى العير على جواز النفير للغنيمة لأنها كسب حلال "(ج ٧ ، ص ٣٧٦).

ولاغرابة فى ذلك فإن عير أبى سفيان قد وصلت إلى مكة سالمة وأنفقت لتجهيز جيش قريش لمحاربة الاسلام، فمن الطبيعى الاستيلاء عليها وإنفاقها فى سبيل الله تبارك وتعالى .

وخلاصة القول، أن الحصول على المادة، من الاهداف الثانوية للجهاد .

وليست من الأهداف الاساسية، وانها أيضا من الاهداف التابعة التى تسهل الطريق إلى وصول الغاية الأساسية للجهاد وهو إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى ونشر دينه. والقتال للحصول على المادة فقط هو قتال للدنيا لا الآخرة وهو قتال الكافرين والمستعمرين لجلب خيرات الآخرين ، وغصب أراضيهم وامتصاص دماءهم، والاسلام لايرضى القتال إلا فى اطاره الشرعى الديني ولم يبحه الا لهدف سام وربانى مع التقيد بشروطه الانسانية وآدابه القيمة وأخذ الغنيمة لاينقص من شأن الاسلام ، ولايضعه فى قفص الاتهام بعد أن صرح الكتاب والسنة بجواز أخذ الغنيمة وانها حلال طيب .

واتضح فيما سبق ان الهدف الرئيسى للجهاد هو إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى وهذا لايتحقق إلا بإقامة منهج الله تبارك وتعالى فى الأرض ونشر الدعوة الإسلامية الى كافّة الناس بدعم أهلها وحماية المظلومين والمستضعفين من المؤمنين . ومتى خرجت هذه الجهود عن دائرة (فى سبيل الله) فقدت فقدت هويّتها الإسلامية ولاتسمى بعدئذ في سبيل الله تعالي .

ان للجهاد الاسلامى ثمرات طيبة وفوائد عظيمة ، وهى تحقيق الأهداف التى سبق ذكر بعضها ، كما فى تركه أضرار جسيمة وخسائر فادحة وهى خسارة الدنيا والآخرة ، وبمعنى آخر تطبيق الجهاد يحقّق السعادتين : سعادة الدنيا بالعز والكرامة وسعادة الآخرة برضى الرحمن والفوز بالجنة ونعيمها . ان ترك الجهاد خسارة الدنيا بالذل والهوان وخسارة الآخرة بسخط الرحمن وقد جمع هذه المعانى كلها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يرويه ابو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلّط الله عليكم ذلاّ لاينزعه حتى ترجعوا الى دينكم "(كتاب البيوع / ٣٤٦٢).

ولقد تحققت معجزة النبى صلى الله عليه وسلم طوال التاريخ ، والتاريخ يحدثنا بوضوح أن المسلمين كانوا فى عز وكرامة مدة قيامهم بفريضة الجهاد فى سبيل الله ، أصبحوا قادة العالم وساسة الدنيا بعد أن كانوا رعاة الابل. ومتى تركوا الجهاد فى سبيل الله تعالى جعل الله تعالى

بأسهم بينهم بالحروب والفتن الداخلية إضافة إلى استعبادهم واستعمارهم من قبل أعدائهم .

هل تريد مثالا واقعيا على هذا ؟ أنظر للاسلام وأهله فى الوقت الراهن ترى مايغنيك عن النظر فى التاريخ .

وهذا ابو بكر الصديق رضى الله عنه الخليفة الراشد ثانى أثنين في الغار يوءكد أهمية تطبيق الجهاد فى سبيل الله فى أول خطبة ألقاها بعد توليه مهام أمور المسلمين حيث قال : فيما يذكر ابن كثير فى «البداية» (..لايدع قوم الجهاد فى سبيل الله تعالى إلا ضربهم بالذل..) (ج ٥ ، ص ٢٤٨).

ولذلك ان أول عمل قام به بعد توليه إنفاذ جيش أسامة رضى الله عنه وحروب الردة والفتوحات المستمرة .

إن جميع الأضرار التى تنشأ من القعود عن الجهاد قد شملتها كلمة واحدة فى القرآن الكريم . وهى (الفتنة) . قال تعالى فى سياق الهجرة والجهاد ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (الانفال / ٧٣).

وقال المودودى رحمه الله تعالى فى كتابه : «شريعة الاسلام فى الجهاد» (١٤٠٦ هـ) " وماورد فى القرآن الكريم من تفصيل عن هذا اللفظ ـ يعنى الفتنة ـ يمكن اجماله فيما يلى :

١ ـ ظلم الضعفاء وسلب حقوقهم المشروعة وإيذاءهم .

٢ ـ الضغط على الحق بالقهر والاستبداد ومنع الناس من قبول الحق .

٣ ـ القتال فى سبيل الباطل والقتل وسفك الدماء فى أغراض غير مشروعة .

٤ ـ غلبة أهل الباطل وسيطرتهم على أهل الحق . (ص ٧٩ ـ ٨٠) .

والحق أن أضرار تركه والقعود عنه كثيرة لاتحصى ، كما أن ثمرته وفوائده كثيرة لاتحصى منها مانعلم وندركها ، ومنها لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى .

٧ ـ تحريف معنى الجهاد فى الوقت الحاضر :

إن أعداء الله من النصارى واليهود وغيرهم من الملحدين يريـــدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ليصدوا الناس عن دين الله تعالى ، ولأجل ذلك يسعون بكل وسيلة لتحريف وتشويه المصطلحات والمعانى الاسلاميـــة، ليخرجوها عن مدلولها الشرعى والأساسى إلى معان توافق وتساعد أغراضهـم الخبيثة .

ومن هذه المصطلحات مصطلح الجهاد فى سبيل الله تعالى . ولقد سلكوا لذلك مسالك ماكرة جعلت كثيرا من أبناء المسلمين الغافلين يسهمون فـى ذلك التحريف والتشويه إسهاما كبيرا، ومنها :

١ ـ دعوى بأن الإسلام انتشر بقوة السيف والقهر والجبروت ، وكان المسلمون متوحشين ، وأن تاريخ الاسلام كان سلسلة من المذابح والحروب وسفـك الدماء ...

يقول المودودى رحمه الله تعالى فى كتابه " الجهاد فى سبيل اللـه " موضحا تصوير أعداء الاسلام لمعنى الجهاد : " لقد جرت عادة الإفرنج أن يعبروا عن كلمة الجهاد بالحروب المقدسة إذا أرادوا ترجمتها بلغاتهم ، وقد فسروها تفسيرا منكرا وتفننوا فيه وألبسوها ثوبا فضفاضا من المعانى المموهـة الملفقة، وقد بلغ الامر فى ذلك أن أصبحت كلمة الجهاد عندهم عبارة عـن شراسة الطبع والخلق والهمجية وسفك الدماء " ص ٦٠٥ .

لاشك أن هذه فرية باطلة ودعوى كاذبة تحمل فى طياتها العداوة والحقد للاسلام ومعانيه، وأصحاب هذه الدعاوى يهجمون على الاسلام عامة وعلى الجهـاد خاصة بغرض التبرير أن الاسلام انتشر بالسيف بينما المسيحية انتشرت بالمحبة والمودة والسلام .

إن أمثال هؤلاء لاحاجة فى الرد على دعواهم الكاذبة التى لاتستنـد إلى أى دليل، لان آيات الجهاد فى القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلـى الله عليه وسلم وغزواته العملية التطبيقية وعمل خلفائه من بعده وعمـل التابعين تدفع مثل هذه الدعاوى .

وقد رأينا عند حديثنا عن مراحل تشريع الجهاد أن الاسلام انتشر بالحجة والبيان ، بالحكمة والقرآن ، وأكبر مثال على ذلك إسلام الانصار . وفي خارج الجزيرة العربية لقد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم الطرق السلمية في نشر الدعوة الاسلامية ممثلة في هذه الطرق في الكتب التي بعث بها إلى قادة العالم والتي يرويها الشيخان والبيهقي في الدلائل مثل: قيصر الروم وكسرى فارس ، مقوقس مصر والنجاشي ملك الحبشة . (البخاري كتاب التفسير / ٤٢٧٨ ، مسلم :كتاب الجهاد / ١٧٧٣ - ١٧٧٤ ، الدلائل ج٤ ص٣٩٣) يدعوهم إلى دين الله تعالى بالحجة والبيان وحسن الكلام .

وعلى ذلك جرت سنة الخلفاء الراشدين مع أهل البلاد المفتوحة مع احترام حريتهم الدينية وحقوقهم المدنية التي يتمتعون بها وقد حافظوا على تلك الحرية بعهودهم ومواثيقهم التي أعطوهم اياها ويقول في ذلك عثمان جمعة ضميرة في «منهج الاسلام في الحرب والسلم» (١٤٠٢ هـ): «والتاريخ يحدثنا أن المسلمين فتحوا البلاد بأخلاقهم وحسن معاملتهم قبل أن يفتحوها بسيوفهم ، وأن أكثر المناطق التي انتشر فيها الاسلام إنما انتشر عن طريق التجار الذين نصبوا أنفسهم دعاة للاسلام في تلك البلاد . وهذا كان له الأثر في انتشار الاسلام في الصين والهند والشرق الاقصى وأفريقيا وغيرها من البلاد» . (ص ١٣٩) .

كما قلت لاحاجة في الرد على مثل هذه الدعاوى وان كان لابد منه فهنا ليس محله .

٢ - دعوى بأن الجهاد في الاسلام دفاعي فقط غير هجومي :

لاشك أن أعداء الله تعالى يحرصون كل الحرص على قتل الروح الجهادية في نفوس المؤمنين ويخافون من عودة المسلمين إلى دينهم ومن ثم تحيا فريضة الجهاد ويعود المؤمنون لاستئصال جذور الشرك والضلال ويعيدون للاسلام مكانته وعزته ، ولذلك يحرصون كل الحرص أن ينالوا من مفهوم الجهاد في كل وسيلة إما بانكاره مطلقا أو نسخه أو التناقض أو بقصر مفهومه على الدفاع فقط . ونحن المسلمين نحمد الله تعالى أننا نتعلم ديننا

من مصادره الأصلية ومن علماء المسلمين ، ونستغنى كل الاستغناء عن الشرك والكفر، ولا نحتاج إلى تعليماتهم وإلى الاعتذار عن هذه الدعاوى الباطلة وإلى تسويد الصفحات البيضاء فى الرد على أكاذيبهم، والذين يدعون بأن الجهاد فى الاسلام دفاعى فقط طائفتان :

١ ـ طائفة المستشرقين وأمثال هؤلاء لانحتاج فى الرد عليهم كما قلنا .

٢ ـ بعض المؤمنين الذين أرادوا الاعتذار عن تهم الكافرين ، فقالوا أن الاسلام ليس دين سيف ولا قتال وانما هو دين السلام وانما القتال فى الاسلام ضرورى للدفاع عن النفس والوطن وبذلك زعموا أنهم يدافعون عن الاسلام ـ فى رأيهم ـ والحقيقة أنهم أتوا بتحريف جديد يقضى على أهداف الجهاد فى الاسلام كليا ، (١) ولاشك أن هذه الطائفة متحمسون لدينهم قالوا هذا عن حسن قصد ولكنهم أخطئوا فى تصورهم للجهاد وذلك لعدم معرفتهم واطلاعهم على حقيقة معنى الجهاد وأهدافه وبواعثه وغاياته .

إن هذه الفئة احتجوا فى ذلك بالنصوص المرحلية من القرآن الكريم وهى المرحلة الثالثة من مراحل التشريع الجهاد ـ والتى سبق ذكرها ـ واعتبروا أن هذه المرحلة هى الأصل فى الجهاد وأهملوا نصوص المرحلة الاخيرة والنهائية وقد سبق أن ذكرنا أن العبرة بآخر المراحل التى وصلت اليها الحركة الجهادية لا بأولها ولا بأوسطها هذا من جهة .

ومن جهة أخرى أن هؤلاء يقيسون الجهاد الاسلامى على حروب الناس فى الأهداف والغايات ، وهذا أمر خطير وقياس باطل شتّان مابين الجهاد الاسلامى والحروب الالحادية . والجهاد فى الاسلام يختلف كل الاختلاف فى أهدافه وغاياته وبواعثه وطريقته وآدابه السامية .

---

(١) ينظر لمعرفة هذه الاقوال : كامل سلامة الدقس ، آيات الجهاد فى القرآن الكريم ط ١ (الكويت : دار البيان ، ١٣٩٢ هـ) ص ١٠٥ .
ـ وعلى بن نفيع العليانى أهمية الجهاد فى نشر الدعوة الاسلامية ، ط ١ ، (الرياض : دار طيبة ١٤٠٥ هـ) ص ٣٢٥ .

والحق أن إطلاق لفظ القتال الدفاعي أو الهجومي لا ينطبق تماما على الجهاد الاسلامي . وإن هذه المصطلحات مصطلحات حديثة ظهرت في الغرب تحمل في طيّاتها نوعا من الظلم والعداوة ، لأنها تعكس وجهة نظرهم للحرب بنظرة مادّية محضة . يقول في ذلك وهبة الزحيلي في «آثار الحرب في الفقه الاسلامي» (١٤٠٣ هـ) : «ولايوصف الجهاد بأنه هجومي لأن الهجوم يعني الظلم ، والجهاد عدل في الواقع ، ولا مجرد دفاع عن حدود الوطن والمصالح . لأن الاسلام لايؤمن بحدود وطن قوميّ». (ص ١٢٤) .

كما يقول محمد محمد ابراهيم زغروت في «مجلة التوعية الاسلامية في الحج» (العدد الرابع ١٤٠٨هـ) : «ان لفظة الجهاد عربية اسلامية قد اختارها الوحي الالّهي ، ولا تقوى آية لغة على ترجمتها ترجمة صحيحة ، ولاغرابة في ذلك فإن العسكرية الاسلامية منذ العصر النبوي إلى نهاية الخلافة الاسلامية قد عرفت قيمة هذا اللفظ ومدى تأثيرها العقدي على قلوب وعقول رجالها المحاربين لذا كان هذا اللفظ " الجهاد " طوال العصور الاسلامية يطلق على كافة المؤسسات العسكرية وفروعها المختلفة في جميع البلاد الاسلامية آنذاك». (ص ٥٠) .

وخلاصة القول : أن الجهاد الاسلامي لفظة عربية إسلامية لها مدلولها الشرعي ومعناها الاسلامي يحمل في طياته الرحمة والعدل . و ان كان لابد من تقسيمه فإنه دفاعي وهجومي بالتصور الاسلامي ، لأن الجهاد كما سبق وأن قلنا ـ يختلف تماما في أهدافه وبواعثه وغاياته وآدابه وأحكامه وكيانه كله عن حروب الناس .

إنه دفاعي يدفع عدوان الكافرين ويحمي المظلومين والمستضعفين من المؤمنين أينما كانوا دون النظر إلى الحدود الضيّقة المحددة .

وانه هجومي لا ظلم فيه ، ولا اعتداء فيه على الصبيان والشيوخ والنساء ، ولاعدوانية فيه ، بل هي كلمة تقطر منها الرحمة والعدل .

٨ ـ أبدية الجهاد وأنه ماض إلى يوم القيامه :

شرع الله تعالى الجهاد لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد . ولقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يوجد في الأرض الحق والباطل والإيمان والكفر ، فالإسلام يصرّ على تحرير الناس من عبادة كل ماسوى الله عز وجل إلى عبادة خالقهم ورازقهم ، ومقابل ذلك أن الكفر يصرّ على بقاء كفره ، قال الله تبارك وتعالى ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة / ٢٥٧) .

ولقد أعلم الله سبحانه وتعالى عن نوايا الكفار وموقفهم من الاسلام وأهله وهو موقف الإعراض والعناد والكفر (... وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ البقرة /٢١٧ .

ومادام هناك إيمان وكفر ، وموقف الكفار من الإسلام هو الإعراض والقتال فان وهذا يقتضي أبدية الجهاد إلى يوم الميعاد .

ثم إن طبيعة أهداف الجهاد تقتضى أبديته واستمراريته ، كما سبق وأن قلنا أن الهدف الأساسى هو اعلاء كلمة الله تبارك وتعالى فى الارض . ولايجوز للمسلمين ان يقعدوا غن الجهاد إلا إذا تحققت أهداف الجهاد بكاملها وذلك إلى أن تقوم الساعة بإذن الله تعالى .

وكما أن عالمية الدين الاسلامى تقتضى أبديته بحيث أن الإسلام جاء للناس كافة ، والنبى صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا ، وأن الله تعالى لن يقبل دينا غير الاسلام وأن الدين عنده هو الإسلام الذى ارتضاه لعباده وأكمله وأتمّ عليهم نِعَمَهُ .

إن أهل الشرك والكفر والضلال لا يسمحون للدّعاة إلى الله تعالى بأن يبلغوا دين الله تعالى إلى الناس فى كل زمان ومكان ولايتركون -

الناس يسمعون إلى دعاة الاسلام . وأكبر مثال على هذا الصراع القائم الذى دار بين الرسل الكرام عليهم السلام وبين أقوامهم عامة وبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقومه بصفة خاصة ، فلابد من موقف مناسب لإبلاغ الدعوة وأداء الأمانة وإيصال الرسالة، وهو موقف القوة باعتبارها وسيلة لا الغاية ، لأن الغاية هى نشر الدين وتبليغه إلى الناس كما سبق ذكرها .

ولقد رد النبى صلى الله عليه وسلم على من ظن أن الجهاد قد توقف، جاء فى حديث رواه النسائى عن سلمه بن نفيل الكندى رضى الله عنه أنه قال : كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل : يارسول الله أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا لا جهاد ، وقد وضعت الحرب أوزارها ـ فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه وقال : " كذبوا ، الآن جاء القتال ولاتزال من أمتى أمة يقاتلون على الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة وحتى يأتى وعد الله والخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة "(كتاب الخيل / ٣٥٦١).

وهذا ابن الهمام ينقل لنا إجماع الامة المحمدية على أبدية الجهاد، وكيف لايكون هناك إجماع بعد بيان الله تعالى فى كتابه صراحة وفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمله واضحة ؟ إذ قال ابن الهمام فى شرح فتح القدير (ولاشك إن إجماع الأمة أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة لم ينسخ فلا يتصور نسخه بعد النبى صلى الله عليه وسلم (جـ ٥ ، ص ٤٣٨) .

ولقد استنبط الإمام البخارى رحمه الله تعالى من حديث عروة البارقى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة : الأجر والمغنم " استنبط منه أبدية الجهاد إلى يوم القيامة ولذلك بوّب له بقوله (باب الجهاد ماض مع

البرّ والفاجر)(كتاب الجهاد / ٢٦٩٧). ولم يترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الايام الجهاد فى سبيل الله تعالى، جاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاهدوا فى حياته صلى الله عليه وسلم . واستمرت لفتوحات الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين والخلافة الاموية والعباسية والسلاجقة الأتراك . والخلافة العثمانية حتى وصل الإسلام إلى القارة الهندية شرقا والأندلس غربا ، والى أواسط أوربا شمالا . ولمّا ضعف المسلمون فى إيمانهم وعملهم وقعدوا عن الجهاد فى سبيل الله تعالى أصبحوا نهبا لأعداء الإسلام . وتمزقوا كل ممزّق .

ولكن لاتزال طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ظاهرين على الحق ،لايخافون لومة لائم لايضرهم من خذلهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها . ولقد أشرقت الشمس بنورها الجديد على الأمة الاسلامية تبشر بخير وعدا من الله تعالى ووعدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن أوفي بعهده ووعده من الله تعالي ومن رسوله صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثاني :

مفهوم التربية الجهادية وأهميتها

ويشتمل هذا الفصل على

١ ـ مفهوم التربية الجهادية .

٢ ـ أهمية التربية الجهادية للفرد والأمة .

٣ ـ نماذج وصور حية تطبيقية للتربية الجهادية من سير الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

١ – مفهوم التربية الجهادية :

إذا تتبعنا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نجد أن النبى صلى الله عليه وسلم ربّى الصحابة الكرام فى بداية الدعوة على ترسيخ العقيدة الاسلامية وتثبيتها فى النفوس ، وبعد الدعوة إلى العقيدة الاسلامية الصحيحة جاء بالدعوة إلى تزكية النفس وتنقيتها من شوائب الشرك والجاهلية ، والإنحرافات الضالة وذلك بالتزام الفضائل ومكارم الأخلاق والإبتعاد عن الرذائل وسوء الأخلاق. وإذا تدبّرنا القرآن المكى نجده مليئا بالحث على مكارم الأخلاق ، وبالنهى عن الرذائل والفواحش وسوء الاخلاق . وكان النبى صلى الله عليه وسلم القدوة فى ذلك وكان غاية فى الخُلُق ، يقول تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (القلم / ٥) .

ثم فرض الله تعالى العبادات مثل الصلاة والزكاة والصوم لتزكية النفس المؤمنة تزكية ربانية ، فان النفس البشرية إذا لم تتطهر من أدرانها وتتصل بخالقها لاتقوم بالتكاليف الشاقة الملقاة عليها ، والعبادة تعطى الروح دفعا قويا إلى القيام بما تؤمر به ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن العبادة وسيلة التقرب الى الله تعالى وهى الإتصال مع الله تعالى وكما أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتدفع الفرد المسلم إلى الجادة المستقيم ﴿ وأقم الصلوة إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ (العنكبوت / ٤٥) .

وبجانب العبادات لقد أمر الله تعالى بالذكر والتسبيح لإحياء القلوب ، وبتلاوة القرآن الكريم تقوية لنفوسهم وتغذية لأرواحهم والتفكير فى عظمة الله تعالى ليتدبروا ويتفكروا فى الموجودات والكائنات .

واستمرت هذه التربية الالهية طوال العهد المكى ، ولم يتجاوزها القرآن الكريم إلى شئ من التفريعات المتعلقة بنظام الحياة إلا بعد –

أن علم الله تعالى أن الايمان قد استقر استقرارا متينا ثابتا في قلوب المؤمنين .

وكان الجهاد في العهد المكي-كما سبق عند حديثنا عن مراحل تشريع الجهاد – جهاد الدعوة إلى الاسلام بتقريبه إلى العقول والافهام وتحبيبه إلى القلوب والصدور ، وترسيخه في النفوس والضمائر وذلك عن طريق الحجة والبيان والحكمة والموعظة الحسنة ، مع الصبر على الاذى والصفح عن العدوان ، دون إشهار السيف .

ولقد اقتضت حكمة الله تعالى تأجيل القتال الى وقت مناسب ، وذلك في العهد المدني حين صار للمسلمين قوة وقيادة ونظام .

كان النبي صلى الله عليه وسلم طوال هذه الفترة من بداية الدعوة الاسلامية يغرس الاعتزاز بالعقيدة الاسلامية في نفوس من أسلم من الصحابة والشعور بعلوّها على كل الأديان ،وإن الواحد منهم إذا أسلم ففي اليوم التالي ينطلق لدعوة الناس إلى الاسلام ، دون خوف أو ملل ولايخاف في الله لومة لائم .

وكان الصحابة رضي الله عنهم يعتزون بعقيدتهم ودينهم وكانوا يتحملون كل مكروه في سبيلها ويستعذبون الموت في نشرها ، وكانوا يعتبرون نفسهم جنود الحق ومجاهدين في سبيل الله أينما كانوا،في كل الظروف والملابسات،كانت حياتهم كلها جهادا في سبيل الله تعالى، لأن تعاليم القرآن الكريم غيّرت حياتهم كلها تغييرا كليا ، تغييرا جذريا ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد صيّر حياة المسلم كلها جهادا ، وهو صلى الله عليه وسلم كان رائدا في ذلك ، في أقواله ، وأفعاله وهو كان إمام المجاهدين في سبيل الله تعالى .

يقول فى ذلك ابن القيم في كتابه " زاد الميعاد " :

" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذروة العليا منه " أى الجهاد " واستولى على أنواعه كلها ، فجاهد فى الله حق جهاده ، بالقلب ، والجنان ، والدعوة والبيان والسيف والسنان ، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد ، بقلبه ولسانه ، ويده ... وأمره الله تعالى بالجهاد من حين مبعثه ، وقال ﴿ .. وجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان / ٥٢) ، فانه كمل مراتب الجهاد ، وجاهد فى الله حق جهاده وشرع الجهاد من حين بعث إلى أن توفاه الله تعالى " (جـ ٣ ، ص ٥ - ١٢) .

وقد قام النبى صلى الله عليه وسلم بهذه المهمة خير قيام وضرب لهم أروع الأمثال من معانى التضحية والفداء ، وكان صلى الله عليه وسلم يستعرض الجيوش وينظم الصفوف يقف وسط المعارك يقاتل إلى جانب أصحابه يشاطرهم الأذى ويشاركهم الآلام ويتمنى أن لايغيب عن مشهد ولاتفوته وقعة .

وهذا النبى العابد الذى كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه والذى كان فى كثير من الأحيان يواصل الصيام ، هو المجاهد الذى لم يتراجع فى غزوة قط ، إذ تراجع الأبطال وفر الصناديد ولم يتزحزح عن موقفه إذ لم يثبت الفرسان . ويروى مسلم عن البراء رضى الله عنه قوله : " كنا والله إذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذى به يعني النبى صلى الله عليه وسلم)(كتاب الجهاد والسير / ١٧٧٦) .

كل هذا كان له أعمق الأثر فى نفوس صحابته رضى الله عنهم فنهجوا منهجه وتحملوا فى سبيل عقيدتهم ودعوتهم الإسلام كل الاذى والمشقات فلم يهنوا ، ولم يحزنوا ولم يملوا ولم يلينوا .

ومن هذه المدرسة النبوية ظهرت مواقف الابطال وكانت مصارع الشهداء .

ومنها استمد الصحابة قوتهم وصبرهم ، ومنها انبعثت أسمى معانى الفداء والحقة وأقوى بواعث التسابق فى التضحية فى سبيل الله تعالى . ان هذه المدرسة كانت مدرسة الجهاد ، وأن هذه الأمة تربت بالجهاد ولدت بالجهاد ، عاشت بالجهاد ، وماتت بالجهاد ، عزت بالجهاد وقويت بالجهاد ، ولقد أسست الحضارات بالجهاد ، أن الجهاد هو قوة هذه الأمة وروحها وبه يتجدد كيانها .

والنبى صلى الله عليه وسلم يفارق هذه الحياة وهو فى آخر لحظة من عمره الشريف يأمر بتجهيز جيش أسامة للجهاد فى سبيل الله تعالى، وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته كلها فى الجهاد ، فى ساحات القتال ، من غزوة إلى غزوة مع أصحابه الكرام ،وكانت جميع الغزوات التى اشترك فيها النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا وعشرين غزوة وكانت بعوثه وسراياه ثمانيا وثلاثين فيما يروى ابن اسحق فى السيرة (جـ ٤ ، ص ٢٥٥) .

وإذا نظرنا إلى سيرة خلفاءه الراشدين من بعده صلى الله عليه وسلم نشاهد نفس الموقف ونفس المنهج الذى نهجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجهاد فى سبيل الله تعالى ، واستمرت الفتوحات الاسلامية شرقا وغربا فى عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم حتى انتشر الإسلام فى بقعة كبيرة من العالم .

وبعد عرض هذا الموجز يمكن للباحث أن يعرف التربية الجهادية كمفهوم بأنها (تنشئة الفرد المسلم على الاعتزاز بعقيدته ودينه والعمل به ، والدعوة اليه ، وبذل الجهد على نشره ، وأن يكون مسلحا دائما بالصبر والثبات ، والعزيمة وروح الفداء والتضحية فى سبيل الله تعالى وأن يكون مستعدا للجهاد المستمر بكل ما أوتى من امكانات مادية أومعنوية مراعيا فى ذلك متطلبات العصر الذى يعيش فيه وملتزما بالأحكام الشرعية الجهادية وذلك لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى) .

ويمكن لنا أن نعرفها باختصار بأنها تربية المجاهدين فى الوقت الحاضر وبعبارة أخرى إعادة روح الجهاد إلى نفوس المؤمنين أو إيقاظ الروح الجهادية لدى الأفراد المؤمنين .

ولقد قلت فى التعريف : تربية الفرد المسلم ، ولم أقل تربية الأفراد أو الأمة ، لأننا إذا أحسنا تربية الفرد ويؤدى بنا ذلك الى حسن تربية الأفراد والأمة، فالأمة هى عبارة عن مجموع أفراد المجتمع .

ثم إن الاسلام جهاد دائم مستمر فى الارض ، جهاد لتكون كلمة الله هى العليا ، جهاد يشترك فيه كل أفراد الأمة ، كل فى دوره ووظيفته، أن الطفل الذى ينشأ اليوم فهو رجل الغد وكذلك المرأة ، فينبغى إعدادهم وتأهيلهم للجهاد منذ اللحظات الاولى من حياتهم ، منذ نعومة أظفارهم ، لأنهم سيتحملون المسئولية فى مستقبل حياتهم .

والمسئولية الكبرى التى يضع الاسلام الإنسان فيها هى اقامة شرع الله تعالى فى الأرض وهذه لاتتحقق إلا بالجهاد فى سبيل الله تعالى .

يقول فى ذلك محمد قطب فى منهج التربية الاسلامية (١٤٠٤ هـ) :
" إن هذه المسئولية لاتنحصر فى جانب واحد .. لاتنحصر فى القتال كما يبدو الامر لأول وهلة ، إنما القتال هو جانب واحد من جوانبها المتعددة ،ولو كان الامر أمر قتال فحسب فقد كان يكفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يربى جيشا من المقاتلين الشجعان ولا زيادة . وما أصغره من هدف لو انحصر فيه الامر كله ... إنما القتال أمر عارض يعرض فى الطريق لا هو أول الطريق ولا آخر الطريق . إنما أول الطريق هو بناء النفس الانسانية على المنهج الحق " (جـ ٢ ، ص ٣٣٨) .

ثم لابد وأن يعرف الجميع إن هذا الدين لم يصل الينا عفوا صفوا ، وانما وصل الينا بعد التضحيات بالأوطان ، بالأموال ، بالدماء بالأشلاء وبالمنهج التي بذلها الجيل الاول رضوان الله عليهم وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلذلك لابد من اعداد الأجيال على هذا المنهج ، حتى يدركوا تمام الإدراك طبيعة هذا الدين والتضحيات التى بذلت فى سبيله والجهود التى قدمت فى نشره ، والمعاناة التى لقى أصحابه فى دعوة الناس إليه .

ولذلك فلابد من تربية الأجيال المسلمة منذ مولدهم على أن يكونوا أصحاب رسالة وأصحاب قضيّة ، تسعى دائما وراءها بعزم وحزم دون ملل أو كلل، وان هذه التربية كما سبق وأن قلنا لاتحصل في فراغ ، وإنما تحصل باتباع منهج التربية الاسلامية فى اعداد المجاهدين وباتباع المنهج النبوية الشريفة .

وأعنى بالتربية الجهادية تلك التربية التى تجعل صاحبها مجاهدا فى سبيل الله تعالى ، تحرك مشاعره ، وعواطفه ، وجدانه ، تقوى عزائمه تنمى روحه وتغذيه ، تخلصه من الخوف والجبن واليأس والكسل تحليه بالشجاعة والصبر والثبات وروح الفداء والتضحية ، وتجعله منكرا لذاته فى سبيل الجماعة ، تنمى فيه شعور العزة والكرامة وخلق البذل والعطاء وحب الاستشهاد وتزرع فيه معانى الجندية المسلمة من الطاعة والنظام وتنمى روح الأخوة والتعاون والتساند والتواصى بالخير والتواصى بالحق .

ولست أقصد من ذلك تربية كل أفراد الأمة لكى يكونوا جنودا أو ضبّاطا فى الجيش ، إذ أن التربية الجهادية تختلف فى مفهومها عن التربية العسكرية وإن كانت التربية العسكرية تشكل جزءا كبيرا من التربية الجهادية . ووجه الاختلاف بينهما أن التربية العسكرية تكون قاصرة على نطاق معين من أفراد المجتمع وهم العسكريون . أما التربية الجهادية فالمقصود منها تربية كل أفراد الأمة رجالا ونساءا وشيوخا بغض النّظر عن المهن أو التخصصات التى ينتمون اليها .

إن التربية الجهادية ، تربية جيل متمسك بعقيدته ودينه يعى مفهوم الجهاد فى سبيل الله تعالى ، ويعمل بموجبه مهما كان مكانته ،

أو عمله ، ويسعى لنشر دينه ، ويتحمل الأذى فى سبيله .

لان نشر الدين الاسلامي ودعوة الناس ليس مقصورا على أحد من أفراد الأمة، ولا توجد فى الاسلام الرّهبنة ولاتوجد هناك طبقة رجال الدين ،وطبقة رجال العلم .. الخ وإنما المسئولية مسئولية الأمة بكل أفرادها مسئولية جماعية لا فردية . فالواجب على كل فرد من أفراد الامة أن يعمل ويجاهد بقدر طاقته واستطاعته على حسب امكاناته وموقفه فى المجتمع ولايستغنى أحد مهما كان فى المجتمع الاسلامى عن الجهاد فى سبيل الله تعالى فى وقت من الأوقات وفى مكان من الأمكنة .

ويقول فى ذلك ابن قيّم الجوزية فى «زاد المعاد» : " والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عيْن إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال ، وإما باليد ، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع ، (ج ٣ ، ص ٧٣)

إن مفهوم ذلك ان هذه التربية ضرورية لكل مسلم فى المجتمع الاسلامى لان الجهاد فرض على المسلمين جميعا ، وتتأكد هذه الفرضية عند الحاجة إلى الجهاد فى سبيل الله تعالى ولاشك إن الجهاد لايتم إلا بالتربية .

والتربية لاتتحقق مصادفة ولا عفوا وانما تتحقق عن طريق المؤسسات التربوية المختلفة وعن طريق وسائلها المتعددة والأساليب المتبعة فى ذلك ، ولاشك أن من بين هذه المؤسسات الأسرة ، والأسرة هى أول مدرسة تربوية للناشىء تستمر دورها طوال الحياة وبجانب الأسرة المسجد . والمسجد عامل مهم فى التربية ،لأنه ملتقى المسلمين فى اليوم خمس مرات على الأقل ولقد أدى رسالته تربويا وتعليميا فى العصور الاسلامية المزدهرة وكان له الأثر الكبير لإعادة الروح الجهادية إلى قلوب المؤمنين .

وأما المدرسة وهى عامل أساس ومؤسسة أصلية للتربية والتعليم ، وذلك من حيث المرحلة والتنظيم ومن حيث ماتقدّمه من شتى أنواع العلم ،

والمعرفة من قبل أفراد أعدوا خصيصا للقيام بهذه العملية وأعدوا خصيصا لتحقيق الأهداف التى أنشئت من أجلها المدارس ٠

وسوف يكون التركيز فى هذا البحث ان شاء الله تعالى علىواجب الاسرة والمدرسة بكل مراحلها فى التربية الجهادية ٠

وأما وسائل الاعلام فهي تقوم بواجب هام ومؤثر فى حياة الناس اليوم ولذا فمن واجب المسلمين الاستفادة من هذه الوسائل الاعلامية المختلفة ٠

ولاشك إن التربية والتعليم لاتتم من جهة واحدة وفى مؤسسة واحدة بل تتم فى جميع هذه المؤسسات وغيرها ، ولذلك لابد من تعاون وتنسيق بين هذه المؤسسات حتى تتم التربية والتعليم بانتظام ٠

وسوف يدرس الباحث واجب تلك المؤسسات التربوية فى التربية الجهادية فى الفصل الرابع من هذا البحث ان شاء الله تعالى ٠

٢ ـ أهمية التربية الجهادية للفرد والأمة :

إن التربية الجهادية ضرورية للفرد والجماعة ، للدنيا والآخرة وإن سعادة الدنيا والآخرة متوقفة عليها ، وأما بالنسبة للفرد :

(١) إنها من مقتضيات الايمان ، ومن علاماته على الصدق والاخلاص ، وكذلك هى وقاية للايمان من الضعف والضياع والموت ، وهى مقياس الايمان اذا قال الفرد " لااله الا الله محمد رسول الله "يلتزم بمقتضاها، ومن مقتضاها تحقيق هذا اللفظ فى نفسه وفى نفوس الناس جميعا وهذا يقتضى الدعوة إليه والجهاد فى سبيله ٠ ومن يدخل إلى دائرة الاسلام بالاقرار بالشهادتين يلتزم بالدعوة إليها وهذه من مقتضياتها ومستلزماتها ٠

٢ ـ ان الجهاد يزرع فى نفس الفرد الصبر والثقة والقوة والاعتزاز بالله تعالى وجميع القيم العليا • والجهاد يحتاج إلى الصبر والثقة بالنفس وبجميع أنواع القوة ، والفرد الذى ينشأ على تربية جهادية يتحلى بأعلى مراتب الصبر والثبات فى كل المواطن • ويثق بنفسه ويعتمد عليه ، فلا يركن إلى الضعف والوهن والعجز ولا يشعر بالنقص لانه من أفراد خير أمة أخرجت للناس ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وبذلك يعتز ويفتخر • لان مصدر فخره واعتزازه هو سعيه لهداية الناس جميعا وتحريرهم من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد • وهذا عمل إنسانى نبيل ولاشك ان الفرد الذى يهمه هداية الناس جميعا على وجه الارض أكثر من أى هدف آخر يكون سعيدا فى منتهى السعادة والسرور والبهجة والغبطة •

٣ ـ إن الجهاد يجعل الفرد يستعلى على الدنيا ، وذلك بعدم مبالاته بها وبعدم اتّخاذها هدفا أساسيا وأصيلا فى الحياة، إنما يتّخذها مزرعة لآخرته ، وجسرا موصلا إليها ، وكذلك لايستمسك بالحياة الدنيا كأنه مخلد فيها حتى يشتغل بزينتها ويغتر بزخرفتها ، وإنما يتواضع فيها ، ويسعى لكسب آخرته بعمله وجهده ونيّته وإخلاصه •

وإذا نشأ الفرد على هذه المفاهيم السامية ، فإنه لايخاف على ذهاب زينة الحياة الدنيا ونعيمها ، لأن الله تعالى أعدّ له ـ جزاء على جهاده وفدائه وتضحيته فى سبيل الله ـ نعيما لاينفذ وزينة باقية •

وأما بالنسبة للمجتمع والأمة فان الجهاد :

١ ـ يحقق تلاحم الأمة أمام أعدائها • لأن النصر على أعداء الله لايتحقق الا بتوحيد الصفوف وجمع الكلمة والتعاون والتساند بين أفراد الأمة ، ولاشك أن افتراق الكلمة وتمزق الصفوف يؤدى إلى الهلاك والذّل والدّمار ، إن أكبر دليل على أن الجهاد فى سبيل الله تعالى يوحد صفوف المسلمين ويؤدى إلى تلاحم أفراد الامة أمام أعدائها هو موقف-

الأنصار والمجاهدين ، إذ كانوا فى منتهى الفرقة والعـداوة وبالجهاد فى سبيل الله تعالى لقد أصبحوا يدا واحدا أمام أعدائهم ، والتاريخ الاسلامى خير شاهد على هذا ، متى تمسك الناس بفريضة الله الجهاد فى سبيل الله تعالى جعل الله عز وجل الرحمة والمودة فى قلوبهم وازال من بينهم كل اسباب التفرقة والبغض والعداوة •

إن من الوحدة يتولد البأس والقوة ومن الاختلاف والتفرقة يتولـد العجز والضعف والهوان •

ولا غرابة فى ذلك لأن المجاهدين لايهمهم إلا الجهاد فى سبيل الله تعالى ، لأنه القاسم المشترك بين المؤمنين جميعا على اختلاف اجناسهم وألوانهم •

٢ ـ والجهاد يحفظ الأمة من الذل والمهانة ويجعلها ذات مهابة أمام خصومها •

أن الامة التى تريد أن يسجل لها البقاء على وجه الارض ، وأن تعيش معززا مكرّما ، لابد لها أن تجاهد فى سبيل عقيدتها • والأمة التى لاتقدر أن تدافع عن عقيدتها لايحق لها حق البقاء •

والجهاد يحفظ الامة من الضعف والعجز والذل والمهانة تحت سيطرة الأعداء واحتلال المحتلين والغاصبين والمستعمرين •

وبالجهاد فى سبيل الله تعالى جعل المؤمنين أعزاء بعد أن كانوا أذلاء والتاريخ الاسلامى يخبرنا عن هذه الحقيقة وهى أن المسلمين متى قاموا بالجهاد فى سبيل الله تعالى أصبحوا أعزاء أقوياء شرفاء وأذاقوا أعداء الاسلام كل أنواع الذل والمهانة وبمقابل ذلك متى تركوا الجهاد وأخلدوا إلى الأرض جعل الله بأسهم بينهم ، وعاشوا ذليلين تحت حكم الأعداء •

والامة القوية فى إيمانها وقوتها تكون مرهوبة الجوانب ولا تيجرأ -

أحد على النيل منها بحال من الاحوال ، لأن القوة تكون رادعة ، ولقد نشاهد هذه الحقيقة بكل وضوح فى الوقت الحاضر أن الدول الصغيرة والضعيفة كلها تدور حول فلك الدول العظمى لتنال رضاها !.. وهذا غنيّ عن ضرب الامثلة لمن كان له أدنى بصيرة .

٣ ـ الجهاد يدفع الأمة للإعداد والقوة . لأن الجهاد هو الواجب الأول لهذه الامة وهو يحتاج للإعداد فى الرجال والوسائل . وهذا يدفع المؤمنين إلى العمل الجاد المخلص لتحقيق الأعداد الكامل من كل الجوانب . ولايمكن الحصول على النتائج المرغوبة الا اذا أخذنا بالأسباب واتخذنا التدابير اللازمة والضرورية . والجهاد مؤسسة بكاملها وان تشغيل هذه المؤسسة يحتاج إلى علوم شتى ومهارات عديدة ، وتخصصات مختلفة ، لأن الإعداد العسكرى أصبح اليوم أمرا متشابكا ، وذلك بتنوع الوحدات وتشعب التخصصات . وللقيام بهذه الأعمال يتطلب جهدا متواصلا لاينقطع وعزائم لاتفتر من قبل الأفراد والدول .

والأمة الاسلامية فى أشد الحاجة إلى القيام بهذه المهمات لتحقيق رسالتها على أكمل وجه . ولابد وعليها تتفوق فى هذا المجال على الآخرين .

٤ ـ الجهاد أقوى وسيلة لتحرير الناس من الظلم والقهر والإستبداد وتأديب الطواغيت الجبابرة . إن سلطة الظالمين وسلاح الفاسقين والمجرمين لاتسمح للناس الخروج عن سيطرتهم وحكمهم ، لأن إطلاق الناس أحرارا يهدد سلطانهم ويذهب قوتهم ويضيّع مصالحهم ، ولذلك يحاولون فى كل مرة على قضاء من يخرج عليهم بكل وسيلة ولايتحرون وجهة الحق والصواب فى ذلك ابدا .

والجهاد خير وسيلة لتحرير الشعوب المستضعفة والتى تعانى أنواعا من الظلم والقهر تحت وطأة الطواغيت والمستبدين . لأن الإسلام يدعو الناس الى اعتناق الاسلام وان رفضوا وأبوا الخيار الثانى وهو إعلان الخضوع لحكمه ، فان أبوا أيضا فحينئذ يقاتلون لا لإكراههم على الاسلام ولكن

ليعيشوا فى ظل الاسلام وحكمه حالة كونهم أحرارا فى معتقداتهم وممارسة شعائر دينهم وهل فوق ذلك عدل ورحمة ؟

إن تربية الأمة تربية جهادية تحقق هذه الأعمال الخيرية والانسانية كلها فى أحسن شكل وأتم صورة ، تعود فائدتها على نفسها وعلى جميع الناس على وجه الأرض . تبقى هذه الأمة المحمدية مرهوبة الجوانب أمام خصومها ومن يتربص بها الدوائر ، وينشر دين الله عز وجل فى كل بقاع الارض وتفرض التعليمات والنظم والقوانين على من تريد وكيف ماتريد ، دون الرجوع إلى حصول الاذن من الهيئات الأمم الكافرة ، ولاتقدم الشكاوى والأعذار على أعداء الله ، ولاتستنكر العدوان على الاسلام والمسلمين بشدة ! فى وسائلها الإعلامية ، وإنما تقدر مصيرها بنفسها .

ثم إن التربية الجهادية تؤمن لأفراد الامة الاستقلالية والحرية فى مجال الاقتصاد والسياسة ، أى توفر للأمة الاستقلال الاقتصادي والسياسي بحيث أن الجهاد يوفر موارد مالية كثيرة فى خزانة الدولة ، من الغنائم والفئ ، والخراج وغيرها ... ولقد أدركنا هذه الحقيقة تمام الإدراك فى عصر النبوة وعصر خلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين وفى دولة الأموية فى الأندلس ، إذ ملئت خزانة المسلمين بالأموال الطائلة التى ساعدت على تحسين ظروف المسلمين اقتصاديا وكذلك الوضع المالى للدولة الاسلامية الذى نأى بقوته على الضغوط الاقتصادية . وأما الاستقلال السياسى فليس أقل أهمية من الاستقلال الاقتصادي في حياة الدول والأمم والشعوب . إن الدولة القوية سياسيا واقتصاديا يكون لها وزن وثقل فى المجتمع الدولي ، وإن أمثال ذلك مشاهد فى الأعيان فى هذا العصر لاينكرها أحد .

ولقد تغيرت الأحوال فى هذا العصر إذ أصبحت الحرب حربا باردة في مجال السياسة والاقتصاد والتعليم والثقافة . واليوم تحارب العقائد والأفكار والاقلام والنظم قبل أن تحارب الأسلحة .

فكم من بلد اسلامي اليوم تحرر عسكريا ولم يتحرر فكريا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا . إن التربية الجهادية ضرورية لتحرير البلاد الاسلامية تحريرا حقيقيا، وتحرير أفكار الناس وعقولهم من الإستغراب والتغريب واطلاقهم أحرارا بالمعنى الحقيقى .

ثم ان هذه الأمة مسئولة عند الله تعالى عن تبليغ الدعوة الاسلامية الى الناس كافة لأن هذه الامة خير أمة أخرجت للناس ، ولم تكسب هذه الصفة إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سواء كان داخل المجتمع الاسلامى أو خارجه . قال تعالى : ﴿ كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللَّه .. ﴾ آل عمران . والجهاد أعلى فروع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كما سبق بيانه – ولايتم هذا الأمر إلا بالجهاد فى سبيل الله تعالى .

يقول ابن تيمية رحمه الله فى "مجموع الفتاوى" : " فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذى أمرنا به " (ج ٢٨ ، ص ١٢٦) .

وان الأمة متى تركت هذه المهمة العظمى أو أهملت فيها فحينئذ لاتوصف بالخيرية، وتفقد ميزتها الأساسية وهويتها الأصلية وهى السيادة والقيادة والخيرية على وجه الأرض . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن ترك هذه التربية ومن ثم ترك فريضة الجهاد يترتب عليه العقوبات والعذاب دنيويا وأخرويا ، أما فى الدنيا بظهور الاختلافات والانقسامات والفتن والحروب الداخلية والصراعات الحزبية وذلك داخل المجتمع الاسلامي بحيث تتفرق الأمة ، لايبقى لها حول ولاقوة ، باستيلاء الكفار بلاد المسلمين عسكريا ، اقتصاديا ، ثقافيا ، سياسيا ،لاتبقى لها وزن فى المجتمع الدولى ، تكون مهددة للضياع .

واليه أشارت الآية الكريمة ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبكُم عَذَابًا أَلِيمًا وَيَستَبدِل قَومًا غَيرَكُم وَلَاتَضُرُّوهُ شَيئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير ﴾(التوبة /٣٩) .

ويقول أيضا ابن تيميه فى «مجموع الفتاوى» عند تفسير هذه الآية الكريمة : " فاذا ترك الناس الجهاد فى سبيل الله فقد يبتليهم بان يوقع بينهم العداوة حتى تقع بينهم الفتنة كما هو فى الواقع فان الناس إذا اشتغلوا فى سبيل الله جمع الله قلوبهم وألف بينهم وجعل بأسهم على عدو الله وعدوهم، وإذا لم ينفروا فى سبيل الله عذبهم بأن يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض " (ج ٥ ، ص ٤٤) .

حقا أن الجهاد يوحد الصفوف ويوحد الكلمة ويجمع الشمل يجمعهم تحت راية واحدة وهدف واحد، فلا جهاد مع الفرقة والتنازع والاختلاف، والذى يستعرض تاريخ المسلمين أن الامة الاسلامية متى رفعت راية الجهاد فى سبيل الله توحدت صفوفها واتحدت قلوبها ، ومتى قعدت عن الجهاد جعل الله بأسهم بينهم بالاشتغال مع الفرعيات والجزئيات التى لاتسمن ولاتغنى من جوع .

خلاصة القول أن للتربية الجهادية أهمية بالنسبة للفرد حفاظا على عقيدته وايمانه ، وحفاظا على بقاءه وحياته فى عزة وكرامة وضمانا لكسب الآخرة .

والتربية الجهادية مهمة وضرورية لتكوين الأمة واستمراريتها ولوحدتها وتماسكها وجمع كلمتها وتبليغ الدعوة الاسلامية إلى جميع الناس .

٣ ـ نماذج وصور حية تطبيقية للتربية الجهادية من سيرة الصحابة الكـــــرام (رضى الله عنهم أجمعين) ٠

سعد بن الربيع رضى الله عنه

الشهيد الإيثارى

وهذا الصحابى الجليل سعد بن الربيع رضى الله عنه من نقباء بيعة العقبة الثانية الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب ، وهو من شهداء أُحد الابرار، يقدم لنا مثالا رائعا فى الأخوة الايمانية والايثار والتضحية بالمال والنفس فى سبيل الله تعالى .

يروى البخارى عن أنس رضى الله عنه أنه قال : قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الانصارى ، وعند الانصارى امرأتان ، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله ، فقال : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلّوني على السوق فأتى السوق ، فربح شيئا من أقط وشيئا من سمن فرآه النبى صلى الله بعد أيام وعليه وَضَرٌ من صُفْرة ، فقال : (مَهْيَمْ ياعبد الرحمن) فقال : تزوجت أنصارية ، قال : (فما سقت إليها) قال : وزن نواة من ذهب قال : (أَوْلِمْ ولو بشاة) .(كتاب النكاح ، رقم ٤٧٨٥).

أرأيت مثالا أروع فى التضحية فى سبيل الله تعالى من هذا المثال ؟ إن هذا الصحابى الجليل يقدّم نصف ماله لأخيه فى الله ويتنازل عن أحدى زوجتيه لأخيه إيثارا منه له فى سبيل الله تعالى .

وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يرفض ذلك ويقول : " بارك الله لك فى أهلك ومالك دلونى على سوق المدينة " . فقد كان تاجرا من أغنى تجار قريش ، ولكن قريشا عدت على ماله حين هاجر إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولم يشهد التاريخ مثالا واقعيا فى الإيثار والتضحية والفداء بمثل هذا المثال . وهذا مثاله فى تضحية بالمال ، وأمّا مثاله فى تضحية النفوس بمحبة الرسول ؟

يروى الامام مالك فى الموطأ وابن اسحق فى السيرة وعبد الله بن المبارك فى كتاب الجهاد : لمّا فرغ الناس يوم أُحُد لقتلاهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من رجل ينظر لي مافعل سعد بن الربيع ؟ فى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ " فقال رجل من الانصار : أنا أنظر لك يارسول الله مافعل سعد ، فنظر فوجده جريحا فى القتلى وبه رمق قال : قلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الاموات ؟ قال : أنا فى الاموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما يجزى نبيا عن أمته ، وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : أنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عين تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات ، قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت : ان سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص الى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عين تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات ، قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره . السيرة : (ج ٢ ، ص ٥٧) ، (الموطأ : كتاب الجهاد ، رقم : ٤١ ، كتاب الجهاد ، ص ١٠٥) .

إن هذا الصحابى الجليل وهو فى آخر لحظة من عمره وهو جريح فى ساحة القتال يوصى بأمرين : الأمر الأول المتعلق بحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والثانى المتعلق بوصيّة قومه لنصرة دينه بنصرة النبى صلى الله عليه وسلم، لاشك إن هذا الموقف من آثار التربية الجهاديّة للمؤمنين الذين تربوا فى مدرسة المصطفى صلى الله عليه وسلم تربية استقرت فى النفوس والقلوب .

ويروى ابن هشام أن رجلا دخل على أبى بكر الصديق ، وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشفها ويقبّلها ، فقال الرجل : من هذه ؟ قال : هذه بنت رجل خير منى سعد بن الربيع ، وكان أحد النقباء

يوم العقبة ، وشهد بدرا ، واستشهد يوم أُحد " (ج ٢ ، ص ٥٨) .

إن هذا الصحابى الكريم لم يجمع هذه الفضائل فى نفسه إلا نتيجة جهاده فى سبيل الله تعالى ، وأنه أُعد إعدادا حتى وصل إلى هذه المرحلة التى سبق ذكرها فى حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

ولاشك أن الايمان إذا استقر فى القلوب يفعل المستحيل ويفعل الغرائب والأعاجيب كما فعل بسعد بن الربيع رضى الله عنه ، كان من نتاج المدرسة الجهادية ومن ثمراتها الطيبة ، لقد مضى ... مضى الشهيد الإيثارى إلى الآخرة آثرا الرسول فى الحياة والممات بعد أن أدى خدمات جليلة فى درب الجهاد .

ويمكن لنا أن نستنتج من قصة هذا الصحابى الجليل :

١ ـ أن الأخوة الدينية والايمانية أقوى من آية أخوة أخرى .

٢ ـ فضل الإيثار بالنفس والمال وكذلك التضحية والفداء فى سبيل الله تعالى .

٣ ـ محبة الرسول صلى الله عليه وسلم عند أصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

وإن غرس هذه المفاهيم العالية من صميم التربية الجهادية فى الإسلام فلا بد من غرسها فى نفوس الناشئة حتى ينشئوا على هذه المعانى النبيلة الخيّرة .

منافسة شباب الصحابة فى الجهاد .

يروى ابن هشام فى السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاز يوم أُحُد سَمُرة بن جُنْدب الفزارىّ ورافع بن خديج ، أخا بنى حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة وكان قد ردهما . فقيل له : يارسول الله إن رافعاً رام ، فأجازه فلمّا أجاز رافعا قيل له : يارسول الله فان سمرة يصرع رافعا ، فأجازه . (ج ٣ ، ص ٢٩) . وقد جاء فى بعض الروايات أن الذى توسط لرافع هو أبوه أبو رافع ، ودعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم للمصارعة بين يديه فصرع سمرة رافعا فأجازه .

ان هذا الموقف موقف رائع من الشباب الذين نشئوا على التربية الجهادية فى المدرسة النبوية الشريفة وفى الأسرة المسلمة ، إذ بلغوا من الشجاعة ، والفداء والتضحية مبلغ الرجال وهم أبناء خمس عشرة سنة .

وكان حب الجهاد يسيل فى دماءهم وعروقهم ، تقدموا بأنفسهم متطوعين للاشتراك فى درب الجهاد ، فلما ردّهم النبى صلى الله عليه وسلم حزنوا ، بكوا ، وهناك نشاهد موقفا فدائيا مثاليا من الأب ، أبى رافع إذْ يتوسط لابنه مبيّنا مميزاته وخصائصه وصلاحيته للحرب (لأنه كان راميا) وحينئذ يأتى دور المنافسة بين هذين الشابين ، إذ يحتج سمرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أجاز رافعا رغم أنه يصرعه ، فهناك وقعت المصارعة بالفعل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم . فكان الغالب هو سمرة ، فاجازه النبى صلى الله عليه وسلم تطبيقا لنتيجة المصارعة وسرّ بذلك سمرة رضى الله عنه وأرضاه .

ولاشك أن وصول هذين الشابين من أبناء الصحابة الكرام إلى هذه المكانة العالية من القوة البدنية والجسمية والقوة الروحية الايمانية التى دفعتهم متطوعين إلى الجهاد والقتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الابرار وأحبابه الأخيار يدل على تربيتهم تربية -

جهادية التى استمرت إلى سنّ الخامسة عشرة . يقول فى ذلك الندوى فى «السيرة النبوية» (١٣٩٦ هـ) : وهكذا ساهم هذان الفتيان بشرف الجهاد ، لأن الأول يحسن الرماية والثانى يحسن المصارعة . وهذا الاتقان هو - حتما - نتيجة تمرينات دامت سنوات ، وابتدأت مع الطفولة المتوسطة والمتأخرة قبل مرحلة الفتوّة والشّباب . (ص ١٩٢) .

ونستنتج من قصة هذين الشابين المجاهدين مايلى :

١ - أهمية التربية الجهادية للشباب ، خاصة فى مرحلة الطفولة والمراهقة

٢ - فضل المنافسة فى الأعمال الجهادية .

٣ - وجوب التربية الجسمية للشباب حتى يتم إعدادهم إعدادا كافيا .

٤ - تشجيع الإسلام الرياضة بروح إسلامية عالية .

٥ - الحث والتشويق علي الجهاد من قبل الآباء والآخرين من المؤمنين .

بطولة عمير بن الحُمام الأنصاري رضى الله عنه يوم بدر

روى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضى الله عنه، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر قبل الإلتحام : (قُوموا الى جنة عرضها السموات والارض) قال عمير بن الحمام الأنصارى يارسول الله، جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : (نعم) قال بَخٍ بَخٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مايحملك على قوم بخ بخ) قال : لا . والله يارسول الله . إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : (فإنك من أهلها) فأخرج تمرات من قَرَنِه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة ، قال : فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتل . (كتاب الامارة ، رقم ١٩٠١) .

يتبين لنا من قصة هذا الحديث ، أن الايمان بما بعد الموت كما جاء فى العقيدة الاسلامية يشحن قلوب المؤمنين بشجاعة نادرة ، وبطولة عجيبة تدفع المؤمن إلى ساحة الموت بانطلاق عجيب ينقطع فيه عن الدنيا ومافيها من الملذات والمتاع تعلقا بالنعيم الخالد الذى لاينفد .

ولمّا حث النبى صلى الله عليه وسلم المؤمنين على القتال توقدت فى قلبه نيران الشوق إلى جنة عرضها السموات والارض وإلى لقاء ربّه ، فلم يصبر مدة يسيرة يأكل فيها تمرات معدودات فى يده مع مايشعر به من جوع ، بل ألقى بها واندفع بشجاعة نادرة يبتغى الشهادة فى سبيل الله تعالى ومازال يقاتل قتال المستميت حتى قتل رضى الله عنه وأرضاه

ومن هذا نستدل على أن من أساليب تربية قلوب المؤمنين على خلق الشجاعة أسلوب غرس اليقين بما أعده الله تعالى لهم من كرامة ونعيم مقيم فى الآخرة للذين يقاتلون فى سبيل الله تعالى فيقتلون ويقتلون ، وذلك لما فى هذا الأسلوب من تحويل مطامع النفس إلى ماهو أجل وأعظم من الدنيا ومافيها من نعيم فإن وهذا التحويل النفسى -

عن طريق الإيمان بما هو أعظم من كل ماتتعلق به الأنفس من الدنيا ، ينبغى أن يكون فى المرتبة الأولى من الاصلاح التربوى سواء أكان ذلك فى ميدان الأخلاق أو فى الميادين التربوية الأخرى .

ولذلك عمل الاسلام على غرس الايمان أولا فى النفوس ، ثم انتقل إلى بيان التعاليم الاسلامية الأخرى والتربية عليها ومنها الفضائل الأخلاقية .

ونستخلص من هذا الهدى النبوى الشريف :

أولا : وجوب غرس الايمان فى النفوس .

ثانيا : تخليص النفس من مطامعها وبما فى ذلك حب الدنيا .

ثالثا : التشويق إلى الجهاد والدار الاخرة بأساليب محبّبة إلى النفوس .

رابعا : التزام الصدق فيما يعرض من وسائل التشويق ، مع الالتزام بالاعتدال وعدم المبالغة .

الفصل الثالث :

الجهاد فى سورة الانفال

يشتمل هذا الفصل على مبحثيـــــن :

المبحث الأول : الجهاد فى سورة الانفال .

١ ـ مكانة السورة وأغراضها فى القرآن الكريم .

٢ ـ أسباب النزول .

٣ ـ أنواع الجهاد المتضمنة فى سورة الأنفال .

٤ ـ أهداف الجهاد فى السورة الكريمة .

٥ ـ أساليب القتال فى السورة .

٦ ـ نعم الله تعالى على المؤمنين يوم بدر .

٧ ـ العلاقة بين القائد والجند كما وردت فى السورة الكريمة .

٨ ـ آداب الجهاد فى الاسلام من خلال سورة الأنفال .

٩ ـ الإعداد للجهاد كما جاء فى السورة الكريمة .

١٠ ـ مفهوم الجنوح للسلم كما جاء فى السورة الكريمة .

١١ ـ مفهوم الهجرة كما جاء فى السورة الكريمة .

المبحث الثانى : منهج تربية المجاهدين فى سورة الأنفال .

١ ـ مكانة السورة وأغراضها فى القرآن الكريم :

سورة الأنفال هى إحدى السّور المدنية التى اهتمت بجانب بيان الأحكام التشريعية وبخاصة فيما يتعلق بالجهاد فى سبيل الله تعالى. لقد تضمنت كثيرا من الاحكام الحربية والسلمية وأحكام الأسر والغنائم وبينت ماينبغى أن يكون عليه المسلم من الشجاعة والبطولة ، والفداء والتضحية والوقوف فى وجه الباطل والشرك بكل جرأة وشجاعة وصمود .

إن هذه السورة الكريمة نزلت فى أعقاب غزوة بدر الكبرى وسماها ابن عباس رضى الله عنهما فيما يروى مسلم بسورة بدر.كتاب التفسير: رقم ٣٠٣١ ، لأنها تناولت أحداث هذه الغزوة المجيدة بالتفصيل ، كما سميت بسورة الجهاد لتضمنها كثيرا من أحكام الجهاد والغزو والقتال .

المحور الاساس الذى يدور عليه آيات السورة الكريمة هو موضوع الجهاد والثبات عند البأس وعدم الفرار يوم الزحف . إن هذه السورة الكريمة تحدث المؤمنين وتذكرهم عن نعم الله تبارك وتعالى التى أنعمها عليهم يوم بدر من إمداد الملائكة وتغشيتهم النعاس وإنزال المطر وتثبيت الأقدام وإلقاء الرعب فى قلوب الأعداء وغير ذلك من النعم التى لاتأتى إلا عن صدق واخلاص والتوكل على الله تبارك وتعالى حق توكل .

وكما تحدث المقاتل المسلم عن عوامل النصر فى الجهاد كاخلاص النية وكثرة الذكر والتزام أحكام الشرع فى القتال وغيره وطاعة القائد واتحاد القلوب والصفوف فى المعركة .

إن هذه السورة قد بينت موقف المشركين والمنافقين من هذا الدين من حقد وحسد و كره للاسلام والمسلمين وكشفت أيضا عن نواياهم السيئة من خيانة وغدر ونقض العهود والمواثيق .

وتحدثت السورة الكريمة فى النهاية عن مفهوم الهجرة فى سبيل الله

تعالى فضلها وثمرتها ، كما تحدثت عن الولاء الحقيقى بين المؤمنين وبينت أن المؤمنين أمة واحدة مهما اختلفت أجناسهم أو أوطانهم وان هذا الولاء قائم على أساس الدين والايمان لا على المصالح الفردية أو الأغراض الدنيوية •

كانت سورة الأنفال نشيد القتال للمسلمين فى قتالهم يقرؤونها أو يقرأ واحد منهم والآخرون يستمعون إلى قراءته ، وذلك قبل بدء القتال تحريضا على لقاء العدو ونيلا على إحدى الحسنيين : إما النصر واما الشهادة. ويروى الامام الطبرى فى تاريخ الأمم والملوك أن الذى كان يقرأ هذه السورة الكريمة قبل معركة اليرموك هو المقداد بن عمرو ، ج ٢ ،ص ٣٤ • أن الذى يقرأ هذه السورة الكريمة أو يستمع الى قراءتها يزداد شوقا إلى لقاء العدو وذلك لما تضمنته من أحكام وعبر وعظات ومعان سامية والحث على الجهاد فى سبيل الله تعالى •

إن هذه السورة الكريمة تبعث فى نفس المقاتل المسلم الشجاعة والجرأة والصبر والثبات أمام العدو وكما تبعث فى نفسه إدراك الغرض الأساسى والهدف الرئيسى للقتال وهو اعلاء كلمة الله تبارك وتعالى •

ثم إن هذه السورة تحذر المؤمنين من الفرار من المعركة وتحثهم على الخوض فيها مستعذبا الموت وطالبا رضى الله عز وجل •

كما سبق وأن قلنا أن هذه السورة الكريمة نزلت فى أعقاب غزوة بدر الكبرى وتناولت أحداث هذه المعركة بالتفصيل والإسهاب •

لقد كانت غزوة بدر الكبرى أول غزوة حدثت بين المؤمنين والمشركين وكانت صراعا حاسما بين عقيدتين : عقيدة التوحيد وعقيدة الشرك، فرّق الله تعالى بها بين الحق والباطل تمّ فى هذه المعركة النصر المؤزر للمسلمين على قلة عَدَدهم وعُددهم، ورغم عدم الاستعداد للحرب • لقد تجلت فيها العناية الإلهية بالمؤمنين الأوفياء، فنصرهم الله تعالى على

على الأعداء وجعل هذه المعركة فاصلة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

ومن المعلوم أن غزوة بدر كانت فى شهر رمضان فى السنة الثانية للهجرة لقد كانت فتحا مبينا ، أعز الله بها الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ، حقق الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وعده ، ونصر جنده . يوم بدر هو يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان : جمع المجتمع المسلم وجمع الفجور والكفر فلقد جمع الله سبحانه وتعالى المؤمنين مع أعدائهم على غير ميعاد لحكمة يعلمها ثم كان الفتح المبين للمؤمنين مع عدم التهيوء والاستعداد للقتال ، كما كان أساسا لجميع الفتوحات الاسلامية ونشر الدعوة الاسلامية فى أرجاء الأرض .

٢ ـ أسباب النزول :

وقد جاءت روايات عديدة فى سبب نزول قوله تعالى ﴿ يسئلونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول ..) ولامانع من أن تتعدد أسباب النزول والنازل واحد ، والله تعالى أعلم . نختار منها ثلاث روايات وهى كالتالى :

(١) روى الواحدى فى «أسباب النزول» (١٩٨٣ م) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما كان يوم بدر ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : من فعل كذا وكذا فله كذا وكذا ، فذهب شباب الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنيمة جاء الشباب يطلبون نفلهم ، فقال الشيوخ لاتستأثرون علينا فإنا كنا تحت الرايات ولو انهزمتم كنا لكم ردءا فأنزل الله تعالى : ﴿ يسئلونك عن الأنفال ﴾.... فقسمها بينهما بالسواء . ص ١٦٠ .

(٢) روى ابن كثير عن سعد بن أبى وقاص عنه قال : لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فأتيت به النبى صلى الله عليه وسلم قال :

: أذهب فاطرحه فى القبض ، قال : فرجعت وبى مالا يعلمه إلا الله من قتْل أخى وأخْذ سلبي ، فما جاوزت إلا قريبا حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : أذهبْ فخذْ سيْفك (جـ ٣ ص ٣٩٥)

٣ـ روى الواحدى أيضا فى أسباب النزول (١٩٨٣ م) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال : (فينا أصحاب بدر نزلت (يعنى الأنفال) حين اختلفْنا فى النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقسّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء)(ص ١٦٠).

وقد تشير هذه الروايات أن هناك مشكلة حدثت عقب غزوة بدر ، وهى اختلاف الصحابة فى الغنائم ، ولقد عالجت هذه الآية الكريمة هذه المشكلة علاجا حكيما بأن جعلت هذه الغنائم لله ولرسوله والحكم فيها كذلك لهما.

٣ ـ أنواع الجهاد المتضمنة فى سورة الأنفال

١ ـ جهاد النفس فى السورة الكريمة .

٢ ـ جهاد الشيطان فى سورة الكريمة .

٣ ـ جهاد المنافقين فى السورة الكريمة .

١ ـ جهاد النفس فى السورة الكريمة :

كما سبق وأن قلنا أن المسلم قبل أن ينطلق للجهاد فى المعركة يكون قد خاض معركة الجهاد فى نفسه ، مع هواه وشهوته. إن تضحية النفس والمال والوقوف صامدا أمام الاعداء تتطلب ايمانا راسخا فى القلوب ويقينا صادقا فى الصدور .

كيف يجاهد المسلم فى المعركة وهو لم يجاهد نفسه ولم يزكها ولم يطهّرها من الذنوب والآثام ومن كل مانع يمنع نفسه من الإنطلاق إلى ساحة القتال ؟ وقد عنى القرآن الكريم عناية بالغة بتربية النفوس وتنمية نوازع الخير ، وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل وتوجيهها إلى الله تعالى بصدق واخلاص.إن النصر فى غزوة بدر ثمرة التربية الالهية وثمرة تربية نبوية استمرت خمسة عشر عاما فى المدرسة النبوية الشريفة تربية النفس على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

والمجاهد فى سبيل الله تعالى مطالب بتزكية نفسه فى كل وقت. تتأكد هذه فى اللقاء مع الاعداء أكثر من غيره من الأوقات . ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى فى بداية السورة الكريمة بتقوى الله عز وجل وطاعته رسوله صلى الله عليه وسلم والإصلاح ذات البين لما ظهر بين المسلمين بعد غزوة بدر من اختلاف فى تقسيم الغنائم كما سبق فى ذكر سبب النزول . ولقد أرشدهم الله تعالى على إدراك حقيقة هدف جهادهم وطاعة ربهم ونبيّهم وأنهم لايقاتلون لأجل الدنيا ونعيمها وإنما يقاتلون لإعلاء كلمة الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

(الأنفال / ١)

وا صلاح ذات البيّن من مقتضيات الإيمان والأخوة الايمانية وأن الاختلاف والتنازع بين المسلمين خاصة أثناء القتال يفضي إلى اختلاف الكلمة والفشل .

ثم تتابعت الآيات الكريمة تذكرهم بصفات المؤمنين المخلصين الّذين يجاهدون فى سبيل الله تعالى ويستحقّون الكرامة وعلوّ المنزلة عند ربّهم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ . أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال / ٢ – ٤) .

هذه صفات المؤمنين الذين باعوا أنفسهم لله تعالى ، انهم اذا ذكرو الله تعالى خشعت،وخافت قلوبهم ،واقشعرّت جلودهم واذا قرأت عليهم آيات الرحمن أو عرضت عليهم آيات قدرته وإبداعه فى خلقه وصنعه يزدادون إيمانا على إيمانهم وتصديقًا على تصديقهم ويقينا على يقينهم ويتوكلون على ربهم فى أمورهم كلها ، ويفوّضون كلها إلى الله تعالى وحده لاشريك له ، ويقيمون صلاتهم على أكمل وجه وينفقون أموالهم فى مرضاة الله تعالى ، ومن اتصف بهذه الصفات الحميدة والمزايا الجميلة فإنه من المؤمنين حقا وله درجات عند ربه ومغفرة ورزق كريم .

إن الاكثار من ذكر الله تعالى من عوامل النصر ، له أثر على معنويات المقاتل يبعث فيه القوة والشجاعة والجرأة والإقدام،ولذلك أمر الله تعالى بذكر الله عز وجل عند اللقاء بعد الثبوت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الأنفال / ٤٥)

ولاشك إن الصلاة من أفضل الذكر ، ولها أثر كبير فى تهذيب النفوس، وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر . ولذلك أمر الله تعالى على

أدائها ومحافظتها فى كل الأوقات حتى وقت الحرب حين اللقاء لتقوية الرّوح المعنوية بالإلتجاء إلى الخالق الباري .

وكذلك الإنفاق فى سبيل الله تعالى له أثر كبير فى تزكية النفوس وتطهيرها من البخل وخشية الفقر ، فيه تعويد النفس على البذل والتضحية بالمال فى سبيل الله تعالى وتحرير لها من حبّ الدنيا ونعيمها الفانية .

إن الثبات فى المعركة يحتاج إلى الصبر ، والصبر من أعظم أسلحة النصر ، يطهر النفوس من اليأس والهلع عند المواقف الصعبة وعند المصيبة فالواجب على المسلم أن يزكّى نفسه ويطهّرها بأسلحة النصر قبل أن يخرج إلى ميدان الجهاد فى سبيل الله تعالى اقتداء بسنة النبى صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ جهاد الشيطان فى السورة الكريمة :

إن شياطين الإنس والجن يتآمرون على صد الناس عن دين الله تعالى فى كل زمان ومكان . لأن غرض كل واحد منهم هو القضاء على الإسلام والمسلمين، وحين يعجز الكفار عن صد الانبياء وأتباعهم عن تبليغ الدعوة يلجئون إلى كل وسيلة ممكنة حتى للقضاء على حياة الأنبياء وأتباعهم ، حيث قال جل شأنه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام / ١١٢).

وكذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نستعيذ بالله تعالى من شياطين الانس والجن معا ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَٰهِ النَّاسِ ، مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ ، الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾
(سورة الناس)

لقد تناولت هذه السورة الكريمة إلى جانب تفاصيل أحداث معركة بدر الكبرى أخبارًا أخرى وأحداثا شتّى حدثت لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك قبل هجرته إلى المدينة المنورة للدلالة على أن دأب الكفار

والمشركين هو الصدّ والإعراض والفساد وحتى القضاء على الدعوة الجديدة ورجالها ، مهما كانوا وأينما كانوا .

لقد خشى كفار قريش أن تنتشر دعوة الاسلام فى أرجاء الجزيرة العربية فاجتمعوا فى دار الندوة يتشاورون ويناقشون فى أمر النّبى صلى الله عليه وسلم وانتشار دعوته ماذا يفعلون ؟ وماهو الحل ؟

وقرروا فى نهاية الاجتماع أن يمكروا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، يريدون ليطفئوا نور الله تعالى ، والله يُتم نوره ولو كره الماكرون فجعلوا يخططون ويرسمون برئاسة اللعين الأكبر إبليس الّذى تصوّر لهم فى صورة شيخ نجدي وحضر فى هذا الاجتماع الذى حضره صناديد الكفار والفساد . والقرآن الكريم يقصّ علينا تآمر قريش على صاحب الرسالة ومؤدى الأمانة وناصح الأمة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

﴿ وإذْ يمْكرُ بِكَ الّذِينَ كفرُوا لِيثْبتُوكَ أَوْ يَقْتلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ويمْكرُونَ ويمْكرُ اللّهُ واللّهُ خيْرُ الْماكِرِينَ ﴾(الانفال / ٣٠).

ولقد جاءت قصة هذا التآمر فى كتب التفسير والسيرة مفصلة ونذكر هنا رواية ابن اسحق مختصرا :

روى عن ابن هشام عن ابن اسحق قوله :

" ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارا ، وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له فى دار الندوة فاعترضهم إبليس فى هيئة شيخ نجدى للنصح والرأى فتشاوروا واقترحوا الحبس والنفى والقتل وكان الذى تقدم باقتراح القتل هو اللعين أبو جهل

حيث قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليدا،
ثم نعطى كل واحد منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه
فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فإنهم إذافعلوا
ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا ، وأقر اللعين
أبليس هذا الاقتراح فتفرق القوم على ذلك وهم
مجمعون له .(ج ٢ ص ١٢٢) .

فلما اجتمعوا على بابه يرصدونه خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من تراب فى يده، فجعل يذرى ذلك التراب على روءوسهم وهو يتلوا هذه الآيات الكريمة * يس ، والقرآن الكريم ...... إلى قوله تعالى .. فأغشينهم فهم لايبصرون *(يس ١ - ٩). ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ثم إنصرف الى حيث أراد أن يذهب . لم ينجح اللعين فى تخطيطه ولم يصل إلى مراده، فى قتل النبى صلى الله عليه وسلم بل فشل هو وأعوانه، ولكنه اللعين لم يضيّع أمله ولم يقعد بل تابع عداوته وحقده .

روى الإمام الخازن فى «اللباب» (١٩٥٥ م) قصة أخرى فى ذلك حدثت للمشركين وهى ، أن قريشا لما أجتمعت على المسير إلى بدر ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر بن الحرث من الحروب فحينئذ تمثل اللعين ابليس بصورة رجل من مدلج سراقة بن مالك المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة "
(ج ٣ ، ص ٤٠)

ويقول فى ذلك ابن كثير فى التفسير :
" جاء إبليس يوم بدر فى جند من الشياطين معه رأيته
فى صورة سراقة بن مالك المدلجى ، فقال الشيطان
للمشركين : لاغالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم
فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبضة من التراب فرمى بها وجوه المشركين ، فولوا
مدبرين . وأقبل جبريل عليه السلام إلى ابليس

فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين ، انتزع يده ثم ولّى مدبرا وشيعته ، فقال الرجل : ياسراقة أتزعم أنك لنا جار ؟ قال : إني أرى مالاترون إني أخاف الله ، والله شديد العقاب " وذلك حين رأى الملائكة "(٠ ج ٧ ص ٣٣٠).

والقرآن الكريم يقص لنا هذا التحالف الفاشل بين ابليس والمشركين حيث قال تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال / ٤٨)

وتلك عادة عدو الله تعالى ابليس لمن أطاعه وسلك مسلكه حتى إذا أوصله الى الهلاك خذله وتركه وتبرأمنه .

روى الامام البيضاوي في تفسيره (١٤٠٠ هـ) :

" إن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير وليقاتلوا عنها نزلوا على الماء يوم بدر ، فغلبوا المؤمنين عليه فأصاب المؤمنين الظمأ ، لأنهم نزلوا في كثيب أعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء ؟ وأنتم تصلون محدثين ، مجنبين وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ؟ فأنزل الله المطر حتى ثبتت الأقدام وزالت الوسوسة . ص ٢٣٦ .

قال تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ الأنفال / ١١ .

وبذلك طهّرهم الله سبحانه وتعالى وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويفه للنفوس ووسوسته للخواطر وشجع قلوبهم و ثبّت أقدامهم .

ونستخلص مما سبق أن الشيطان عدو لايفتر ولايقصر فى محاربة العبد المؤمن ولايتركه فى وقت من الأوقات بغية الوصول إلى هدفه ، خاصة فى أوقات التقرب إلى الله تعالى ليفسد نيّته ويحبط عمله بالوسوسة والإعجاب والكبر وحب الدنيا كما وسوس إلى المجاهدين فى بدر ، فما علينا إلا مجاهدته كما أرشدنا الله تعالى فى كتابه وكما بينه النبى صلى الله عليه وسلم فى سنته . وقد سبق بعض هذه الارشادات فى الفصل الماضي .

٣ ـ جهاد المنافقين فى السورة الكريمة :

وقد كان للمنافقين فى سيرتهم مع النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام مواقف تخذيلية سجّلها الله تعالى عليهم فى كثير من الآيات والسورة الخاصة بهم . ففى غزوة بدر الكبرى ، عندما خرج النبى صلى الله عليه وسلم لملاقاة قريش أخذ المنافقون يشككون فى قوة المسلمين أمام قوة عدوهم وأطلقوا الكلمات والعبارات المزعزعة للنفوس . ومن هذه العبارات (غرّ هؤلاء دينهم) . يقول الله تعالى :

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال / ٤٩).

واختُلف فى قائلى هذه الكلمات مَنْ هم ؟ من أهل المدينة أم من أهل مكة ؟ يروى ابن كثير رحمه الله تعالى عن مجاهد أنهم فئة من قريش خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب ، فحبسهم ارتيابهم ، ولما رأوا قلة المؤمنين فى بدر من حيث العدد والعدة انطلقت السنتهم تتّهم المؤمنين بالغرور ". (ج ٣ ص ٣٣١) .

ويروى الواقدى في «المغازى» :

" أن زيد بن حارثة قدم على ناقة النبى صلى الله عليه وسلم القصواء يبشّر أهل المدينة ، فجعل الناس لا يصدقون زيد بن حارثة ويقولون : ماجاء زيد الا فلاّ ! حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا ، فقال رجل من المنافقين لأسامة بن زيد : قتل صاحبكم ومن معه ، وقال رجل لأبى لبابة بن عبد المنذر: قد تفرق أصحابكم تفرّقا لايجتمعون منه أبدا. قتل محمد وأصحابه ، وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لايدرى مايقول من الرعب وجاء فلاًّ قال أبو لبابة يكذّب الله قولك "(٠ ج ١ ، ص ١١٤)٠

هذا موقف المنافقين من المسلمين سواء كانوا من أهل مكة أو المدينة ، لقد قرر القرآن الكريم خطأ نظرتهم وسخف تفكيرهم وكما قرر أن الإعتماد على الله تعالى حفظ وحماية للموءمنين بعد الأخذ بالأسباب اللازمة ، فينبغى الحذر كل الحذر من تحركات المنافقين فى المجتمع الاسلامي فإن خطرهم عظيم وضررهم جسيم – وخاصة فى أوقات الشدة وأيام المحن ، وفى مواطن الجهاد وساحات القتال ٠

٤ – أهداف الجهاد فى السورة الكريمة :

الهدف الاول : الجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى :

شرع الله تعالى الجهاد لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ولتكون كلمة الله هى العليا فان إعلاء كلمة الله تعالى يشمل كل أهداف الجهاد : ﴿ قٰتِلوهم حتى لاتكون فِتنة ويكون الدّين كله لِله ﴾ الانفال /٣٩ ٠

وان هذه الآية الكريمة آية جامعة لبيان أهداف الجهاد فى سبيل الله تعالى ٠ ومعنى إعلاء كلمة الله هو أن يكون حكم الله تعالى هو-

الحاكم والغالب ، وكلمته هى النافذة . ويقول فى ذلك سيد قطب فى الظلال :

" لقد جاء الإسلام ليكون إعلانا عاما لتحرير الناس فى الأرض من العبودية للعباد ، وذلك باعلان ألوهية الله وحده ، ومعنى هذا الاعلان الثورة الشاملة على حاكمية البشر فى كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها . ولابد لتحقيق هذا الهدف الضخم من أمرين أساسيين :

١ ـ دفع الأذى والفتنة عمن يعتنقون هذا الدين .

٢ ـ تحطيم كل قوة فى الأرض تقوم على أساس عبودية البشر للبشر ، وذلك لضمان الهدف الاول ولاعلاء الوهية الله وحدها فى الأرض كلها "(ج ٣ ، ١٥٠٨).

وهذا يقتضى أن تكون هناك فئة من المؤمنين تحكم بشرع الله تعالى فى الأرض وكما يقتضى حماية هذه الفئة من الإعتداء ثم إيصال الدعوة الاسلامية إلى الناس جميعا .

الهدف الثانى : إحقاق الحق وإبطال الباطل وقطع دابر الكافرين ، كما عبر عنه النص القرآنى الكريم فى هذه السورة . قال تعالى :

" ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ . لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (الأنفال / ٧ ـ ٨).

إن احقاق الحق وإبطال الباطل هو إعلاء كلمة الله تعالى فى الأرض وأما قطع دابر الكافرين فهو الاستئصال كما قال الامام الزمخشري فى "الكشاف" (١٩٧٢م)(ج ٢ ، ص ١٤٥) .

الهدف الثالث : ابتلاء المؤمنين لتمييز المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب قال تعالى : ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

(الأنفال / ٣٧)

ولاشك أن الله تعالى يعلم ذلك كله ، ولكنه جل جلاله أراد أن يُرينا فى الدنيا المؤمن الصادق من الكاذب ، والكافر من المؤمن ، وذلك لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى •

الهدف الرابع : الحصول على المغانم وتوفير الأموال اللازمة للجهاد :

إن هدف الحصول على المال مجردا ليس من أهداف الجهاد الاساسية كما سبق ذكره فى الفصل الاول وانما هو من الاهداف التابعة للهدف الاصلي ، ولاشك أن الجهاد لايتم إلا بالمال ، وان أعداء الله ينفقون أموالهم ليصدوا الناس عن سبيل الله تعالى • فالواجب على المسلمين أن يضربوا ضربة اقتصادية على الكافرين حتى يضعفوهم ماليا ، وبمقابل ذلك يستفاد من أموالهم فى نشر الدعوة الاسلامية •

ان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعير قريش أكبر دليل على هذا • قال ابن اسحق : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين إليهم وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله يُنفلكموها •• (ج ٢ ، ص ٢٤٤) •

وذكر الواقدى فى المغازى : " إن العير كانت ألف بعير وكانت فيها أموال عظيمة ولم يبق فى مكة قرشى ولا قرشية له مثقال فصاعدا إلا بعث به فى العير •• " (ج ١ ، ص ٢٧) •

ولم يخرج النبى صلى الله عليه وسلم لقطع الطريق ونهب الأموال كما يزعم المستشرقون وأتباعهم ، وانما خرج لإنزال ضربة إقتصادية وعسكرية على المشركين ، ولكن الله تعالى جمع بينهم وبين المشركين على غير موعد •

ولا غرابة فى ذلك إذ أن المشركين استولوا على أموال المسلمين وممتلكاتهم فى مكة ، فكان من الطبيعي للمسلمين أن يستردوا ببعض أموالهم . ومن المعلوم جدا أن الحرب الاقتصادية من أهم أشكال الحروب فى العصر الحديث وإضافة على ذلك أن المسلمين مأمورون بإعداد القوة بجميع انواعها وذلك لإرهاب أعداء الله تعالى ، وان ارهاب أعداء الله من أهداف الجهاد فى سبيل الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ﴾ (الانفال / ٦٠).

وإذا لم يكن عند المسلمين إعداد كاف فحينئذ يطمع فيهم أعداء الله ، لأن الضعف يطمع فيه لانعدام القوة التى تحميه ، ولابد أن يكون المسلمون أقوياء مرهوبة الجانب فلا يجرأ أحد على النيل منهم أو الاعتداء عليهم أو أعاقة جهدهم الدّعوي . وهذه الاهداف كلها يشملها الهدف الاساسى وهو اعلاء كلمة الله تعالى فى الارض لان هذه الاهداف كلها ترمى لتحقيق الهدف الاساسى للجهاد .

ومن الجدير بالذكر أن آية واحدة فى هذه السورة شملت الهدف الاساسى والنهائى للجهاد الاسلامى وهى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ والمراد من الفتنة الشرك بكل صوره وأنواعه وأشكاله.وكون الدين كله لله يقتضى حاكمية الإسلام على الارض ، وليس معنى ذلك أن الناس كلهم يجبرون على عقيدة الاسلام ، وإنما المقصود أن يكون الاسلام هو الحاكم عقيدة وشريعة فى الأرض ، وكلمته هى النافذة وتكون الحاكمية المطلقة لله تعالى .

٥ ـ أساليب القتال فى السورة الكريمة :

إن غزوة بدر الكبرى هى أول تجربة للمسلمين فى التضحية والقتال فى سبيل الله تعالى ، وإن وقع هناك بعض الغزوات والسرايا قبل بدر غيّر أن المسلمين لم يلقوا حرّبا بل عادوا إلى منازلهم دون الخوض فى المعركة .

لقد ظهرت فى هذه الغزوة المباركة عدة مهارات حربية و فنون قتالية لدى المؤمنين رغم عدم خوضهم للمعارك من قبل، ومن هذه المهارات الحربية والفنون القتالية :

١ ـ التخطيط قبل المعركة : اختيار المعسكر الملائم ومركز القيادة (العريش) : لاشك أن اختيار المعسكر من أهم عوامل النصر فى الغزوات، إذقد يكون سببا في النصر وقد يكون سببا للهزيمة ولذلك استشار النبى صلى الله عليه وسلم الخبراء العسكريين من صحابته الكرام فى هذه المهمة الحسّاسة ، يروى ابن اسحق أن قريشا نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى ببدر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أدنى من مياه بدر ، فقال الحباب بن المنذر يارسول الله : أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدم ولا أن نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الحرب والرأى والمكيدة ، فقال : فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ماوراءه من الآبار ثم نبنى عليه حوضا فنملئوه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحول الى المكان، آخذ بالرأى الذى اشار به الحباب رضى الله عنه وارضاه . جـ٢، ص ٢٦٣ .

وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم برأى الخباب ومشورته العسكرية لما فيه من تحقيق مصلحة المجتمع المسلم الحربية ، لأن الحباب خبير عسكرى يعرف موقع بدر معرفة جيدة ، ويفهم ذلك من قوله للنبى صلى الله

عليه وسلم (.. انطلق بنا الى أدنى ماء القوم ، فانى عالم بها وبقلبها بها قليب قد عرفت عذوبة ماءه) كما جاء فى رواية الواقدى ج ١ ص ٩٣) .

وهذا يدل على سماحة النبى صلى الله عليه وسلم إذْ أخذ برأى الخبّاب بعد المشورة ، وكما يدل على وجوب الإستفادة فى الأمور الحربية الخاصة على ذوى الخبرة والاختصاص، وبعد أن استقر المسلمون فى المعسكر اقترح سعد بن معاذ رضى الله عنه أن يبْنى عريشا للنبى صلى الله عليه وسلم ليكون مقرّا للقيادة وغرفة للعمليات، وليكون النبىّ صلى الله عليه وسلم فى مأمن فيه رجاء أن يعود سالما إلى من تخلف من المسلمين فى المدينة .

قال ابن اسحق : حدّثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدّث : أن سعد بن معاذ قال : يانبى الله ألا نبنى لك عريشا تكون فيه ، ثم نلقى عدونا فان أُعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا كان ذلك مـا أحببْنا ، وان - كانت الاخرى ، لحقْتَ بمن وراءَنا .. فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم بُنى لرسول الله عليه الصلاة والسلام عريش فكان فيه فقام سعد بن معاذ رضى الله عنه فى نفر من الانصار على باب العريش يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كرّة العدوّ . ج ٢ ص ٢٦٣ .

ولعل هذا العريش هو أول غرفة عمليات الحرب ، يكون فيه القائد الأعلى للجيش ومعه خاصة قواده وخبراء جيشه - فى تاريخ الاسلام .

٢ - اتخاذ الشّعار (كلمة السر) :

لابد من كلمة التعارف بين المسلمين حتى لايقتتلوا بعضهم بعضا دون أن يشعروا ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشّعار بين المسلمين يوم بدر : أَحَدٌ ، أَحَدٌ وهذه رواية ابن هشام فى السيرة ،(ج ٢ ، ص ٢٧٦).

ويروى الواقدى فى المغازى أن شعار المسلمين يوم بدر كان : يامنصور أمِتْ . وهذا شعار المسلمين عامة ، وأما شعار المهاجرين كان : يابنى عبد الرحمن .وشعار الخزرج من الأنصار كان : يابنى عبد الله . وشعار الاوس من الأنصار أيضا : يابنى عبيد الله . (ج ١ ، ص ٧٦) .

مهما كان هناك خلاف بين أهل السيرة والمغازى فى كلمات الشعار العامة بين المسلمين يوم بدر فان المهم هو أن النبى صلى الله عليه وسلم اتّخذ شعارا للتعارف بينهم وهذه من الأسرار الحربية الّتى طبّقها النبى صلى الله عليه وسلم فى أول معركة حدثت بين المسلمين والمشركين، وكانت من عوامل النصر التى تساعد على التعاون والتساند بين أفراد الجيش .

٣ ـ وحدة القيادة ووحدة الصف :

لقد طبق النبى صلى الله عليه وسلم أسلوبا جديدا فى القتال فانتصر ، وهو أسلوب الصّفوف ، ان الله تبارك وتعالى أخبره فى كتابه الكريم أن يحب الذين يقاتلون فى سبيل أعلاء كلمته صفّا كأنهم بنيان مرصوص ، حيث قال جل شأنه : ﴿ إن الله يحبّ الّذين يُقتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ (الصف / ٤) .

يقول فى ذلك محمود خطاب فى « الرسول القائد » (١٩٦٠م) :

"، ان هذا الاسلوب أسلوب جديد لم تعرفه العرب من قبل ،وكان المعهود فى القتال هو تطبيق أسلوب الكرّ والفرّ بدون قيادة، ولا سيطرة بحيث كان يجرى القتال كأفراد لا كمجموعة موحدة، ودخل المسلمون الحرب تحت قيادة موحدة : قيادة القائد الأعلى للمسلمين هو النبى صلى الله عليه وسلم ، وطبّق المشركون أسلوب الكرّ والفر بدون قيادة ولا سيطرة " (ص ٧٧) .

لاشك أن تطبيق هذا الأسلوب الجديد من قبل النبى صلى الله عليه وسلم والقتال تحت قيادته الحكيمة كان من أهم عوامل النصر للمسلمين فى بدر ، إذ ان اسلوب الصفوف فى القتال يمتاز بمزايا عديدة على اسلوب الكر والفر ، ويقول فى ذلك أيضا محمود سيت خطاب فى « الرسول القائد » (١٩٦٠ م) : ـ

" إن اسلوب الصّفوف يمتاز على أسلوب الكرّ والفرّ ، بأنه يؤمن الترتيب بالعمق فتبقى دائما بيد القائد قوة احتياطية يعالج بها الموقف التى ليست بالحسبان .. إن اسلوب الصفوف يؤمن السيطرة على القوة بكاملها ويؤمن احتياطيا للطوارئ ويصلح للدفاع والهجوم فى وقت واحد .. " ص ٨١ .

وأن هذا الأسلوب ،فانما يدل على مدى التعاون والمساندة، وقوة الإرتباط بين المسلمين فى أشد المواقف؛ موقف القتال ، أمام الأعداء) يقاتلون تحت قيادة موحّدة كالرجل الواحد . فلا غرابة فى ذلك لأنهم يقاتلون لهدف واحد وغاية واحدة وهو اعلاء كلمة الله تعالى فى الأرض يحيون معا ويموتون معا ويحشرون يوم القيامة معا إن شاء الله تعالى .

٤ ـ المبارزة فى القتال :

إن أسلوب المبارزة فى القتال أسلوب معهود عند العرب منذ القديم يعرفونه ويطبّقونه فى حروبهم ، وفى غزوة بدر الكبرى طلب المشركون المبارزة قبل خوض الجيش فى القتال .

يقول ابن اسحق : برز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة ووليد بن عتبة فخرج اليهم فتية من الأنصار ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أعادهم وطلب حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث من بنى هاشم وانتهت المبارزة بانتصار المؤمنين وقتل المشركين ولله الحمد والمنّة . (ج ٢ ، ص ٤٤٥)
ولقد ارتفعت معنويات المسلمين بهذا النصر المؤزر وضعفت معنويات المشركين ممّا أدّى إلى اقتراب الصفوف بعضها من بعض فى النهاية كان النصر للمسلمين والهزيمة للمشركين .

٥ ـ المناورات أثناء الحرب :

إن الله تبارك وتعالى حرّم على المؤمنين الفرار يوم الزّحف وقد ـ

استثنى حالتين اثنتين فقط – يجوز فيهما الفرار والهرب من ساحة القتال ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ (الانفال / ١٥ – ١٦) .

وهذه الحالات :

الاولى : التحرف لقتال والتفنن فيه .

والثانية : التحيز إلى فئة .

ويقول سيد قطب فى الظلال فى معنى الآية المذكورة : " يا أيها الذين آمنوا إذا واجهتم الذين كفروا زحفا أى متدانين متقاربين متواجهين ، فلا تفروا عنهم ، إلا أن يكون ذلك مكيدة حرب ، حيث تختارون موقعا أحسن ، أو تدبرون خطة أحكم ، أو أن يكون ذلك انضماما إلى فئة أخرى من المسلمين ، أو إلى قواعد المسلمين ، لتعاود القتال "
(ج ٣ ، ص ١٤٨٧)

ان التحيز لقتال والتحيز إلى فئة فى الحقيقة ليس بهرب ولا فرار وإنما ضرب من ضروب الخدعة فى الحرب وان كانت فى الظاهر فرارا .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث متفق عليه عن جابر رضى الله عنه : " الحرب خدعة " البخارى : الجهاد / ٢٨٦٦ ، مسلم الجهاد /١٧٣٩ . وهذا يدل على أن أى تفنن فى الحرب أو تعديل خطة وذلك لغرض الوصول إلى النصر ممدوح شرعا ولاتعتبر من الفرار يوم الزحف، بل تعتبر من الفنون الحربية اللازمة التى لاتستغنى عنها فى أى وقت من الاوقات ، لأنها من ضروريات الحياة .

٦ – كيفية قتل الأعداء :

وقد شاركت الملائكة بالقتال فعلا يوم بدر يقاتلون – إلى جانب المؤمنين –

المشركين فيضربون روءوسهم ويحزون رقابهم ويقطعون أطرافهم ، قال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ الانفال / ١٢ وكذلك يضربون وجوههم وأدبارهم ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ﴾(الانفال / ٥٠)

إن الآيات المذكورة تشير إلى أن الملائكة بالغوا فى قتل المشركين وذلك بضرب الروءوس والأطراف والوجوه والأدبار ، إن الرأس مركز التخطيط والادارة بالنسبة للانسان والأطراف هى الاعضاء الفعالة فى القتال فبضربهما ينقطع المقاتل عن الحرب عجزا جزئيا أو كليا .

ثم ان ضرب الملائكة مثال على الموءمنين يمتثلون بفعلهم فى قتالهم مع المشركين

ويظهر ممّا سبق أن هناك مبالغة فى القتل لأن المشركين قد استحقوا هذا كله ، فكان جزاء وفاقا لما اقترفت أيديهم من كفر وعناد وشرك وفساد واضطهاد للموءمنين طيلة العهد المكي .

٧ ـ تشريد الكفار فى الحرب بعد تثقيفهم :

قال الامام فخر الدين الرازى(فى مفاتيح الغيب) :وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد يهود بنى قريظة بعد الهجرة إلى المدينة المنورة ألا يحاربوه ولايعاونوا عليه المشركين ، فنقضوا العهد مرة بعد مرة وأعانوا عليه كفار مكة بالسلاح يوم بدر ، كما أعانوا عليه يوم الأحزاب . (ج ١٥، ص ١٦٢) .

إن نقض العهود والمواثيق سمة بارزة من سمات اليهود فى كل عصر ومصر. ولقد جاءت آيات كريمات فى بيان ماحدث من اليهود من نقض العهود والمواثيق. وأمرنا الله سبحانه وتعالى بتشريدهم بعد ان تثقيفهم فى الحرب

ليكون ذلك درسا بليغا لهم فيما عملوا من الخيانة والغدر .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ، فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

(الانفال ، ٥٦ – ٥٧)

إن الذين يعاهدون المسلمين ثم يخلفون عهدهم ومعهم ينبغى تأديبهم تأديبا رادعا حتى لايتجرأ من خلفهم على نقض العهد أو مهاجمة المسلمين، ولعلهم يتعظون ويعتبرون. ولاشك أن عهد النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود كان تأمينا للجبهة الداخلية حتى يأمن مكرهم .

٨ – جواز نقض الهدنة مع الأعداء :

إن الاسلام لايرضى لأتباعه أن يسكتوا عن عدوهم الذى بينهم عهد ان أحسوا أنه يضمر لهم الغدر والمكر والخيانة ، بل يوجب على أتباعه أن يطرحوا العهد بينهم وبين عدوهم إذا كانت هناك أمارات وبينات . ولايجوز للمؤمنين أن يقاتلوهم بغتة دون إعلامهم بنقض العهد ، لأن عدم اشعارهم بذلك يعتبر خيانة وغدرا والله لايحب الخائنين .

قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (الانفال / ٥٨)

إن هذه تعاليم ديننا الحنيف الآمرة بالوفاء والصدق حتى مع الاعداء وما أسمى هذه التعاليم وما أرفع ! لأنه دين الحق ، وصدق ووعد ووفاء .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الاساليب القتالية المذكورة آنفا والتى طبقت فى معركة بدر الكبرى ، هى الاساليب الجارية فى كل زمان ومكان. وهى من أهم عناصر النصر والظفر فى الحروب . وقد طبقها النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام عند أول معركتهم مع المشركين . ومن ضمن هذه الاساليب أسلوب المبارزة وهذا الأسلوب قد ضيع أهميته فى الوقت الحاضر وذلك لتطوير الاساليب الحربية الحديثة وكان أسلوبا معهودا عند المحاربين طوال العصور قبل العصر الحديث .

٦ ـ نِعَمُ اللّه تعالى على المؤمنين يوم بدر :

لقد كانت معركة بدر الكبرى بتدبير من المولى عز وجل ، حيث تجلت فيها القدرة الإلهية بنعم كثيرة على المؤمنين وتتمثل هذه النِّعم في :

أ ـ التآلف والتآخي بين المسلمين :

كان المسلمون مستضعفين في مكة المكرمة ، ليس لهم منعة وقوة ، يُعذبون ويُفتنون حتى يسّر لهم الله تعالى المدينة المنورة، يهاجرون إليها، فآواهم بإخوانهم الأنصار الذين فتحوا لهم قلوبهم وصدورهم وبيوتهم ، وأشركوهم في أموالهم، وآثروهم على أنفسهم، ورزقهم الله تعالى بالطيّبات من الرزق . قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الانفال / ٢٦).

ثم بين الله تعالى : كيفية نصرته وتأييده وحمايته إياهم ممتنا على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الانفال ٦٢ ـ ٦٣).

قال القرطبي في الجامع : " أي جمع بين الأوس والخزرج ... وكانوا أشد خلق الله حمية، فألف الله بالإيمان بينهم حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين " (ج ٨ ص ٤٢) .

حقا إن تأليف القلوب المتنافرة والمتباغضة من أكبر نِعم الله على المؤمنين، ومن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وآياته ، فبسبب هذه الاخوة انتصر أهل الحق على أهل الباطل طوال التاريخ .

ب ـ تحقيق الوعد والاستجابة للدعاء :

ومن نعم الله تعالى على المؤمنين في هذه الغزوة أنّ وعدهم

باحدى الطائفتين أنها لهم ، إما السيطرة على العير وإما النصر على قريش ، إن وعد الله حق لامحالة له . إنهم أرادوا العير لانهم خرجوا لأجله ، والله أراد لهم خيرًا من العير ، وهو النصر المؤزر ، عادوا منتصرين غانمين سالمين جامعا بين الحسنيين .

قال تعالى : ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلمته ويقطع دابر الكافرين ﴾ (الانفال / ٧).

وفي رواية ابن اسحق : " ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حين استشار الصحابة لملاقاة قريش : سيروا وابشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم " ج ٢ ،ص ٢٥٤

هذه نعمة كبرى وفضل عظيم من الله تعالى على المؤمنين تحقيقا للوعد الإلهي والبشارة النبوية .

ولقد دارت المعركة بين جند الرحمن وجند الشيطان ، قام الرسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويستغيثه ويستنجده ويطلب منه العون والنصر على أعدائه وينتظر من الله تعالى تحقيق وعده إياه .

روى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم استقبل القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه " اللهم أنجز لي ماوعدتني ، اللهم آت ماوعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لاتعبد في الارض .. فأنزل الله تعالى :

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملئكة مردفين ﴾ فأمده الله بالملائكة "(كتاب الجهاد : رقم ١٧٦٣ والآية : سورة الانفال /٩).

وهكذا تحقق وعد الله بنصر المؤمنين وأيد جنده ورفع راية الحق انهزم المشركون شر هزيمة ، قتل صناديد الشرك والكفر .

(ج) القاء الرعب فى قلوب الأعداء :

وعد الله عز وجل بالقاء الرعب فى قلوب المشركين وهذا من أكبر النّعم التى أنعم الله بها على المؤمنين فى هذه المعركة الفاصلة .
لاشك إن القاء الرعب فى قلوب الأعداء يؤثر فى معنوياتهم ولا يثبتون فى المعركة ، ماذا يصنع المقاتل بمعنوية منحطة ولو كان مسلحا قويا ؟

قال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَٰئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ، سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ الانفال / ١٢ .

كل هذا من فضل الله تعالى على عباده المخلصين فى سبيله ،لأنهم خرجوا لاعلاء كلمته ورفع شأنه ،لايريدون علوا فى الارض ولا فسادا ،لايقاتلون لأجل الدنيا ،وإنما لتحقيق العبودية لله تعالى على وجه الأرض .

(د) النّعاس وإنزال المطر :

ومن النِّعم التى أنعم الله تعالى على المؤمنين يوم بدر إلقاء النّعاس عليهم ، أمانًا منه عز وجل لهم ،أمّنهم به من خوفهم الّذى حصل لهم من كثرة عدوّهم وقلة عددهم وعدم تهيئهم لقتال ... ومعلوم أن الخائف لاينام عادةً من خوفه وقلقه الّذى يصيبه ، ولكن الله تعالى أراد للمؤمنين خيرا ، وأراد أن يستعيدوا قوتهم وحيويتهم بعد مشاق السفر والخوف فجعلهم ينامون كأنهم ليسوا فى مواجهة العدوّ بل فى بيوتهم آمنين مطمئنين .
قال تعالى / ﴿ وَإِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (الانفال / ١١) .

روى البيهقي فى الدلائل عن علىّ رضى الله عنه قال : " ماكان فينا فارس يوم بدر غير المقداد على فرس أبلق ، ولقد رأيتنا ومافينا إلا نائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة يصلّى ويبكى حتى أصبح "(ج ٣ ص ٤٩).

ومعنى هذا أن النّعاس أصاب جميع المسلمين إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّى ، ويبكى ويدعوا ربّه ويطلب منه العون والنصر شفقة على أمّته ورحمة بهم، وهل انتهت نعم الله تعالى على المؤمنين ؟ هناك نعمة أخرى نعمة المطر الّذى أنزله الله تعالى فى تلك اللّيلة لتطهير المؤمنين ويذهب عنهم وساوس الشيطان وليربط القلوب وتثبيت الأقدام .

روى الواقدى فى المغازى عن رفاعة بن مالك رضى الله عنه أنه قال : غلبنى النوم ، فاحتلمت حتى اغتسلت آخر الليل ، ويروى أيضا عنه أن الله تعالى بعث السماء وكان الوادى دهسا - والدهس كثير الرّمل - فأصاب المسلمين مالبد الأرض ولم يمنعنا من المسير، وأصاب المشركين مالم يقدروا أن يرتحلوا منه ، وإنما بينهم قوز من رمل "(ج ١ ص ٥٤).

ولقد أنزل الله تعالى المطر معتدلا فى جانب المؤمنين ، فتماسكت الأرض وأصبحت ملائمة للمسير ،فتوضأوا واغتسلوا وشربوا فأذهب الله تعالى عنهم وساوس الشيطان من نفوسهم وربط على قلوبهم وثبّت أقدام المجاهدين مما أدى إلى تيسير الحركة الحربية والتحرك العسكرى فى هذه الغزوة المباركة .

٥ - رؤية النبى صلى الله عليه وسلم المشركين فى المنام قلّة :

ومن حكمة الله تعالى هى تلك الرؤيا المنامية التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشّر بها أصحابه قبل غزوة بدر الكبرى، وذلك لتحقق إرادة الله تعالى، وليزدادوا شجاعة وصدقا ويقينا لنصرة الله تعالى .

وهى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم المشركين فى المنام قلّة وذلك لتحقيق الوعد الرّبانى والتدبير الإلّهى ليزداد المؤمنون شجاعة وقوة ولرفع معنوياتهم ، ولو أراهم كثيرا لفشلوا وجبنوا عن لقاء

المشركين أو ضعفت هممهم واختلفوا فى نهاية الأمر ، ولكن الله سلمهم من ذلك كله .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾
(الأنفال / ٤٣)

وهذه الرؤية كانت قبل القتال وكانت رؤية منامية ، وأما فى ساحة القتال قللهم فى أعين المسلمين رأى العين تثبيتا لهم وتقوية لقلوبهم وتصديقا لرؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنها وحى من الله تعالى . وكما قلل الله تعالى المؤمنين فى أعين المشركين قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ثم استمرت رؤية المؤمنين المشركين قلة،ولكن الله تعالى كثّر المؤمنين فى أعين المشركين بعد بدء القتال رحمة بالمؤمنين .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾(الانفال/٤٤) .

وبقى حزب الايمان ضعفين مع نزول الملائكة الأبرار . قال تعالى ﴿ قد كان لكم آية فى فئتين التقتا،فئة تقتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ﴾(آل عمران / ١٣) .

يروى الإمام البيهقى رحمه الله تعالى فى الدلائل عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي : تراهم سبعين ؟ قال : لا ، بل هم مائة،حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه ، فقال : كنا ألفا(ج ٣ ص ٦٧) .

ويرى ابن اسحق أن أبا جهل قال فى ذلك اليوم : انما هم أكلة جزور خذوهم واربطوهم بالحبال "(ج ٢ ، ص ٢٦٣) .

وبذلك أغرى الله سبحانه وتعالى كلا من الفريقين بالآخر لتحقيق حكمته ، ليقضى أمرا كان مفعولا ولتنفيذ مشيئة الله عز وجل .

لاشك أن هذه كانت معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم وإكراما للجند الاول ولاتتحقق فى كل مرة فى العصور ، ولكن الحقيقة أن المؤمنين متى أخلصوا نياتهم وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاد فسوف ينتصرون على أعدائهم باذن الله تعالى . لأن الله تعالى وعد بالنصر للمجاهدين والله لايخلف وعده .

والتاريخ الاسلامى ملىء بالحوادث الغريبة والعجيبة التى حدثت للمجاهدين فى سبيل الله تعالى ، أكراما لهم .

٦ ـ رمْيَة الحصباء :

لقد أوحى الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتناول قبضة من الحصباء ثم يرمى بها على أعين المشركين . فأوصل الله عز وجل ذرّات الرمل إلى أعين المشركين .

يقول فى ذلك ابن اسحق : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا ثم قال : " شاهدت الوجوه ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال : " شدّوا " فكانت الهزيمة "(جـ ٢ ص ٢٦٨).

فما من المشركين من أحد إلا أصحاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولّوا مدبرين .

يقول الله تعالى مذكرا هذه النعمة الإلهية ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(الانفال / ١٧).

فكانت الرمية هذه آية إعجازية قاهره من آيات الله التى جعلها من أعظم دعائم النصر إذ جعل منها أمرا هائلا وقوّة قاهرة ملأت أعين المشركين وشغلتهم بأنفسهم ، فهزموا شرّ هزيمة .

فالله تعالى اذ وعد رسوله بالنصر لايربط هذا الوعد بأسباب مادية فقط ، وانما يربطه بالإيمان والتقوى ، بالصبر والتوكل على الله حق توكل يقول تعالى : ﴿ لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ (آل عمران / ١٢٣).

فالنصر اذن لايأتى بالاعتماد على القوة وانما يأتى بالايمان الصادق والعمل الجاد ، والاخلاص التام . ان القوة المادية ليست مقياسا وحدها فى الإنتصار .

٧ - العون والمدد من الملائكة من قبل الله عز وجل :

ان الملائكة شهدت بدرا ، مددا من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام . لأن غزوة بدر كانت أول وأعظم غزوة قتالية بين أهل الايمان وأهل الشرك .

لقد أنزل الله تعالى ألفا من الملائكة المردفين ، يتبع بعضهم بعضا استجابة لاستغاثة النبى صلى الله عليه وسلم بربه ، وكثرة دعائه وأخبرهم الله تعالى بذلك تبشيرا لهم بالنصر وتطمينا لقلوبهم .

قال تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين وماجعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ (الانفال / ٩ - ١٠).

ولقد جاءت أحاديث صحيحة فى شهود الملائكة يوم بدر :

روى البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : " هذا جبريل ، آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب " (كتاب المغازى / ٣٧٧٣).

وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم فمازال يهتف بربه

مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه .. فانزل الله ﴿ إذ تستغيثون ربكم ... إلى آخر الآية ﴾ فأمده الله تعالى بالملائكة . (كتاب الجهاد / ١٧٦٣).

لقد تتابعت نزول الملائكة فى هذه المعركة الفاصلة ، نتيجة لصبر المؤمنين وتقواهم يقول الله تعالى : ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلثة ألف من الملئكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة ألف من الملئكة مسومين . وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ (آل عمران / ١٢٤- ١٢٥).

قال القرطبى فى الجامع: وقد اختلف المفسرون فى قتال الملائكة يوم بدر هل الملائكة باشرت القتال بالفعل أو لا ؟ قال جماعة : أن الملائكة كانوا يقاتلون ، وقال جماعة : كانت الفائدة فى كثرة الملائكة أنهم كانوا يدعون ويسبحون ، ويكثرون السواد يومئذ . ج ٤ ، ص ١٩٢ .

فعلى هذا أن الملائكة لم يقاتلوا وإنما حضروا للدعاء والتثبيت

ويقول القرطبى رحمه الله تعالى فى هذا الصدد : " لقد تظاهرت الروايات بأن الملائكة حضرت يوم بدر وقاتلت ، وهذا قول الأكثر .(ج ٣ ص ١٩٤).

يقول الله تعالى فى ذلك : ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملئكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ (الأنفال / ١٢).

يقول أبو السعود رحمه الله تعالى فى تفسيره مؤيدا قول الجمهور فى ذلك :"فاضربوا " الخ تفسير لقوله تعالى " فثبتوا ومبين لكيفية التثبيت " .(ج ٢ ص ٣٤٩).

وأن هناك اخبارا صحيحه وردت فى مباشرة الملائكة القتال ، نذكر منها على سبيل المثال :

روى ابن اسحق عن أبى داود المازنى رضى الله عنه أنه قال : " إنى لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفى فعرفت أنه قد قتله غيري " .(ج ٢ ص ٢٧٤).

كل هذه النعم كانت تفضلا وإكراما من الله سبحانه وتعالى لهذه العصبة المختارة من بنى آدم ، إذ كانوا أقل عددا وعددا من الأعداء ، ولكن بتوفيق من المولى عز وجل انتصر أهل الحق على أهل الباطل وسجلوا أسماءهم فى سجل التاريخ بحروف من الذهب .

٧ ـ العلاقة بين القائد والجند كما وردت فى السورة الكريمة :

(١) مشاورتهم :

أن الشورى قاعدة أساسية من قواعد الإسلام التى إذا فقدت اختل نظام حكمه ونزلت المصائب بأهله ، وحلت فى المجتمع الفتن والفوضى .
تكون الشورى سببا فى الوصول إلى الحق والصواب ، فهى ألفة للجماعة وهى من صفات المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى /٣٩).

وقد أمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يشاور أصحابه ، حيث قال جل شأنه : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران /١٥٩)

ولقد طبق النبى صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة العظيمة مع أصحابه الكرام فى مواقف عديدة ، فى مواقف مواجهة الكفار التى يتقرر فيها المصير ، طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم فى بدر فى قتال المشركين وعند اختيار المعسكر ، وعند شأن الأسرى .
وأما مشاورته صلى الله عليه وسلم فى قتال المشركين .

قال ابن اسحق : " ولما كانوا بواد يقال له ذَفِرَان أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن العير قد مضت على ساحل البحر ، وهذا أبو جهل قد أقبل ، واستشار لأصحابه ، فقام أبو بكر فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله ، فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ) ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له ... ثم قال سعد بن معاذ : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السّمع والطّاعة ، فامْضِ يارسول الله لما أردت فنحن معك .(جـ ٢ ، ص ٢٥٤ ،والآية / المائدة / ٢٤).

ولقد استشار النبى صلى الله عليه وسلم فى المسير كبار أصحاب وذوى الخبرة من المسلمين وأخذ آراءهم العسكريّة والفنّية .

وكما استشارهم صلى الله عليه وسلم فى اختيار المعسكر فى بدر ، ونزل عليه الصلاة والسلام حيث أشار إليه الحُباب بن المنذر رضى الله عنه ، لأنه خبير فى ذلك ، يعرف الموقف معرفة جيدة. كما يروى ابن هشام فى السيرة (جـ ٢ ص ٢٥٩).

وكما استشارهم صلى الله عليه وسلم فى أسرى بدر ، ماذا يفعل بهم ؟ لقد أبدى كل من المستشارين من الصحابة الكرام برأيه ، فأخذ النّبى عليه الصلاة والسلام برأى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فعوتبوا على ذلك من المولى تبارك وتعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ... فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾(الانفال : ٦٧ - ٦٨)

وفى هذه المواقف الحرجة والصعبة طلب الرسول صلى الله عليه وسلم الرأى والمشورة ، نرى المؤمنين العاملين من أهل الخبرة والإختصاص

والدّراسة يتقدّمون بالرأى والمشورة ، يتقدمون بها وهم يعرفون حدودهم ومسئولياتهم ، ويدفعهم إليها حرصهم الشديد على سلامة الدعوة ونصرتها فى موقف يحتاج إلى الطاقات والخبرات والقدرات وخاصة فى مثل هذه المواقف التى تتعلّق بالمصير .

ونستخلص من ذلك أن القائد مهما كان يجب أن يشاور قوّاده وجنوده فى أمر القتال وكيفيّة الإعداد . وهذا النبى صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه وهو يُوحى إليه من ربّه ، غنى عن آراءهم ومشورتهم ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يوضّح للمسلمين سنّته القوليّة والفعلية فى أمر الحرب وفى الجهاد وفى كل أمور تتعلق بمصير الأمّة والمجتمع الاسلامى ، وكما أراد صلى الله عليه وسلم أن يطيب نفوس لصحابه بأخذ آراءهم . ولعل الهدف فى ذلك إحساس الافراد بأن المسئولية مشتركة ، وأن النصر والهزيمة ليس مسئولية القائد وحده وإنما القائد وجنده

٢ – التحفيز على القتال :

إن التحريض على القتال يبعث فى نفس المقاتل الشجاعة والجرأة والثّبات فى المعركة ،وحين يسمع المقاتل ما أعده الله تعالى للمجاهدين فى سبيله من نِعَم كثيرة وثواب جزيل يزداد شوقا إلى لقاء ربّه ولا يُبالى بالدّنيا ونعيمها . ولقد أمر الله تعالى نبيه أن يحرّض أصحابه على القتال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾(الأنفال/٦٥)

ولذلك حرّض النبى صلى الله عليه وسلم على القتال يوم بدر قبل التحام الجيشين

روى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " والذى نفس محمد بيده لايقاتلهم رجل اليوم فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنّة " .

(مسلم كتاب الامارة / ١٩٠١) .

وهذه الكلمات المؤثرة هى التى دفعت الصحابى الجليل عمير بن الحمام رضى الله عنه الى أن يلقى الثمرات من يده. فقاتل حتى قتل .

وقد يكون التحريض ماديا روى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى بسلب أبى جهل لمعاذ بن عمرو بن الجموح " كتاب الجهاد / ١٧٥٢ . لانه قتله فى المعركة .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين فى حديث رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أبى قتادة رضى الله عنه : " من قتل قتيلا له عليه بيّنة فله سَلَبُه " (كتاب الجهاد / ١٧٥١).

والمتّبع الآن فى الأنظمة العسكرية الحديثة اذا أراد القائد تحريض أحد أفراد جيشه أو مكافأته أعطاه رتبة عسكرية أو وساما عسكريا. ومن المعلوم أن الانظمة العسكرية قد تغيرت وذلك بتغير الزمان والمجتمعات، كان المجاهدون فى العصور الاولى يجهزون أنفسهم من سلاح ومركب وذلك وفق امكانياتهم الشخصية ، وكما كان الاغنياء يجهّزون المعسرين آنذاك من المجاهدين على حسب غناهم . ولكن بتغير الزمان والمجتمعات أصبحت هناك حاجة ضرورية لتأسيس جيوش منظمة، حرفتهم الاساسية حرفة العسكرية يتدرّبون على الحرب ، ويقصرون كل أعمالهم على التدريب العسكرى . وأصبحت لهم رواتب منظمة وامكانات مادية أخرى مثل توفير السكن والخدمات الصحية ونظام التقاعد الخ ..

وبجانب ذلك كان هناك المتطوعون من المؤمنين يشتركون فى الغزوات فى سبيل الله تعالى .

والحق أن الجهاد الاسلامى لايقتصر على فئة معينة دون فئة ، ولكنه يشمل جميع أفراد الامة على حسب الظروف والشروط وعلى حسب قدراتهم المادية والمعنوية . ولاشك ان التحريض المادى مهما كان مغريا ولابد من تحريض معنوى روحى ، يحرك المشاعر والعواطف والوجدانات بالقاء الكلمات الحماسية

المؤثرة والتوجيهات الإيمانية المذكرة بالله، المشوقة إلى الجنة ، المرغبة فى الشهادة .

ومن الجدير بالذكر أن مجرد التحريض بالمادة قد يخرج المقاتل المسلم من إدراك هدفه الأساسي - لاسمح الله تعالى - ويفسد نيته، ويكون جهاده للدنيا مثل سائر حروب للناس.

وكما قلنا فى بداية الفصل أن سورة الأنفال كانت نشيد القتال عند المسلمين قبل لقاء العدو ، يقرؤونها قبل الإلتحام ، يزدادون شوقا وحبا الى اللقاء والى ما أعد الله تعالى لهم من نعيم مقيم .

٨ - آداب الجهاد فى الإسلام من خلال سورة الأنفال :

إن للجهاد الاسلامى آدابا ، يجب أن يتحلي بها الجيش الاسلامي يتقيد بها لأن الجهاد كما سبق وأن قلنا لايشبه سائر الحروب التى تخوضها الجيوش غير الاسلامية، ولأنه فى سبيل الله تعالى ، لابد وأن نتقيد فيه بأوامر الله تعالى. وفى الحقيقة أن للجهاد آدابا كثيرة ، نذكر من أهمها هنا كما جاءت فى هذه السورة الكريمة :

أ - إخلاص النية : وذلك بإخلاص جهاده لله وحده، واحتساب الأجر منه وحده، لأن الجهاد عبادة، وكل عبادة لاتقبل إلا إذا كانت خالصة لوجه الله الكريم . وعلى المجاهد أن يحذر من أن يناله الشيطان بعجب أو غرور أو تكبر أو رياء فيحبط عمله وعمل جهاده، ويحرم من الأجر والثواب . ولا يخرج للجهاد مفاخرا أو مستكبرا ، بل يخرج متواضعا .

روى ابن اسحق فى «السيرة» : أن أبا جهل قال : لما قال له أبو سفيان ارجعوا: والله لا نرجع حتى نرد بدرا ، فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزر ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا بعدها .(ج ٢ ص ٢٦١).

يقول الله تعالى : موجها المؤمنين الى اخلاص النية فى كل الأعمال محذرا عمّا وقع عليه المشركون من البطر والرياء ﴿ ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديرهم بطرا ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله ، والله بما تعملون محيط ﴾ (الأنفال / ٤٧) .

٢ ـ التوكّل على الله تعالى والاعتماد عليه وحده فى الجهاد ، دون النظر الى كثرة عدد أو عتاد ، أو قوة أو زاد ، إنما القياس هو الاخلاص والتوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب . وكان المؤمنون فى بدر قلّة رغم قلة عددهم وعددهم لقد نصرهم الله تعالى بايمانهم وتوكلهم قال تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ آل عمران / ١٢٣ . ان فى ذلك عبرة للمعتبرين وذكرى للذاكرين .

٣ ـ الصّبر والثّبات فى المعركة والاكثار من ذكر الله تعالى فيها :

الصبر والثبات من أهم أسباب النصر على الأعداء . إن ساعة اللقاء مع الأعداء وخاصة عند الالتقاء والتلاحم ساعة رهيبة لها مابعدها ، لها ثقلها العظيم وخطورتها البالغة فى ميزان المعارك ، وحسابها الكبير فى مقاييس الحروب . إن الصبر والثبات مع الإيمان الصادق مفتاح النصر ومن أهم عناصره الاساسية ، ولاشك أن الفرار والهرب وعدم الثبوت من أهم عناصر الفشل ، ولهذا أمر الله تعالى المجاهدين أن يثبتوا عند اللقاء وأن يصبروا فى القتال حتى النهاية مهما بلغت الظروف قال تعالى :
﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله . ولاتنزعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصبرين ﴾ (الانفال / ٤٥ ـ ٤٦) .

إن هذه الآيات الكريمة لقد أشارت الى عوامل النصر ، وهى الثبات والصّبر والإكثار من ذكر الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، الوحدة وعدم الاختلاف والتفرق ، ومتى اجمعت هذه العناصر فى جيش من الجيوش الاسلامية سيأتى النصر الإلهى باذن الله تعالى . وكما

بيّنت هذه الآيات الكريمة أن الاختلاف والتنازع سبب الفشل والهزيمة وذهاب القوة . ولقد حرم الله تعالى الفرار يوم الزحف ، ﴿ يا أيها الّذين آمنوا إذ لقيتم الّذين كفروا زحفا فلا تولّوهم الأدبار ﴾ (الانفال/١٥) وجعله الرسول صلى الله عليه وسلم من الموبقات المهلكات السبع إلا أن يكون لخطّة عسكرية أو فنية فحينئذ يباح الفرار والإدبار كما مر علينا فى أساليب القتال .

والحق أن الفرار يوم الزحف منظر فى غاية القبح والبشاعة ، يتنافى مع الايمان والرجولة والمروءة ، يتنافى حتى من الكافر .

إنه العصيان الصريح لأوامر ربنا وتعليمات نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم . فكيف يفرّ المؤمن من ميدان القتال والجهاد وهو موعود باحدى الحسنيين ، أما النصر ، وأما الشهادة ؟ وهو يعرف بيقين أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين لقد قدّموا أكبر تضحيات وأسمى ضروب الفدائية فى سبيل الله تعالى رغم قلة عَددهم وعُددهم ، فما ضعفوا وما استكانوا فصبروا حتى الموت .

ومن عوامل النصر الاكثار من ذكر الله تعالى . لأن الذكر يشغل الإنسان بربه ، وله أثر كبير على معنويات المقاتل يشعر بأنه لايقاتل وحده ، ولا يقاتل لاجل الدنيا وإنما يقاتل لإعلاء كلمة الله تعالى ونشر دينه وذلك يؤدى إلى اخلاص نيّته وعمله وادراك غايته وهدفه .

إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يرشدُننا إلى أن ننشغل بذكر الله كثيرا فى كل الأحيان ، فى الرخاء والشدة ، بل الذكر وقت الشدة وخاصة وقت القتال حين تقابل جيش الرحمن مع جيش الشيطان ، آكد من غيره من الأحيان ، وكان الصحابة رضى الله عنهم رهبانا بالليل وفرسانا بالنّهار .

ومن عوامل النصر أيضا الطاعة المطلقة لله تعالى ولرسوله المصطفى

صلى الله عليه وسلم دون شرط أو قيد ، وذلك بامتثال الأوامر واجتناب النواهى .

والطاعة لأولى الامر من المسلمين والقادة المؤمنة فى غير معصية الله تعالى لأن طاعة الأمير طاعة الرسول وعصيان الأمير عصيان الرسول صلى الله عليه وسلم .

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى)(كتاب الامارة ١٨٣٥).

إن قوة الالتزام بالطاعة والانضباط لدى أى جماعة منظمة أساس فى استقرار بقاءها ونجاحها، اذ لابد من قائد يقود ونظام وانتظام ومبدأ والتزام .. وبدون هذا الانضباط فإن مصيرها التفرق والضياع والفشل والخسران.ولذلك نهى الله تعالى التنازع والاختلاف خاصة فى مواطن الجهاد . لان ذلك يؤدى إلى ذهاب القوة والضعف ﴿ ولاتنزعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ فان الشقاق والاختلاف اذا دب فى أفراد الجيش فرق الاخوة الايمانية والأواصر الودية ، فلابد من الوحدة خاصة فى مثل هذه المواطن التى يتأكد فيها أكثر من غيرها من المواطن لأنها تتعلق بمصير الامة ومقدراتها .

٤ - اظهار الجلد بعد المعركة :

إن الاسلام عزيز ، وأهله أعزاء وأن الكفر ذليل وأهله أذلاء ، فالإسلام لايرضى لأتباعه أن يكونوا أذلاء والمؤمنون فى عزة مهما كانوا وأينما كانوا قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(المنافقون / ٨).

ولذا يجب عليهم أن يظهروا ذلك سواء انتصروا أو فشلوا أمام أعداءهم الذين يتربصون بهم الدوائر .

يعود النبى صلى الله عليه وسلم من بدر ظافر مظفرا كاسرا الشرك وأهله والكفر وأهله ، لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة كما يروى ابن إسحق " ما الذى تهنئوننا به ؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : " أى ابن أخي ، أولئك الملاء . "(ج ٢ ، ص ٢٨٥) .

نشاهد هذا المنظر بعد كل غزوة من غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، يظهرون الجلدة والشجاعة أمام أعدائهم الخارجية مثل: الكفار والداخلية . مثل المنافقين واليهود والنصارى وغيرهم من الملحدين الذين لايريدون للإسلام والمسلمين خيرا ولايتحملون على نصر الاسلام وأهله .

٥ - الإحسان إلى الأسرى :

وقد أمر الاسلام بالإحسان إلى الأسرى، ترغيبا فى الإسلام ، رحمة بهم وشفقة عليهم وحفاظا على إنسانيتهم وكرامتهم .

يروى الواقدى فى المغازى عن الزهري ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " استوصوا بالأسرى خيرا " فقال أبو العاص بن الربيع : كنت مع رهط من الأنصار جزاهم الله خيرا ، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثرونى بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل والتمر زادهم، حتى أن الرجل لتقع فى يده الكسرة فيدفعها إلى وكان الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد: وكانوا يحملوننا ويمشون .(ج ١ ، ص ١١٩).

وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم جميعا يحسنون إلى الأسرى ويطعمونهم وهم فى حاجة شديدة وظروف قاسية ، والقرآن الكريم يصفهم لنا أن عملهم هذا من أفضل القربات الى الله تعالى : ﴿ ويُطعِمون الطعام عَلَى حُبِّه مِسْكِينًا وَيتيمًا وَأَسِيرًا ﴾(الانسان / ٨)

يروي الألوسي فى روح البيان عن الحسن البصرى رحمه الله تعالى

" كان النبى صلى الله عليه وسلم يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له : " أحسن إليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه . ج ١٠ ، ص ١٩٦ .

هذه معاملة الاسلام للأسرى ، معاملة إنسانية راقية ، وان كانوا قبل الأسر يتمنون قتل المؤمنين والقضاء عليهم ، ولكن الاسلام يصب عليهم من رحمته ولطفه ، يحترمهم على أنهم بشر ، ويعامل الواحد منهم على انه انسان .

كم من أسير قد أسلم وقدم خدمات جليلة للاسلام نتيجة معاملة الاسلام والمسلمين للأسرى . والتاريخ الاسلامى مليئة بأخبارهم وحوادثهم .

ولقد أكتفينا بهذا القدر من ذكر بعض آداب الجهاد كما جاءت فى سورة الأنفال ، وان كانت هناك آداب أخرى إلا أننا قد تطرقنا إلى أهمها . وهي ذات العلاقة بلب موضوعنا فى هذا البحث .

٩ - الإعداد للجهاد كما جاء فى السورة الكريمة :

ولقد أمرنا الله سبحانة وتعالى بإعداد القوة . بكل مافى الكلمة من معنى - لإرهاب أعداء الله وأعداء المسلمين قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (الأنفال / ٦٠) .

تعتبر هذه الآية الكريمة قاعدة الإعداد الحربي للجهاد فى الإسلام ، وقد اشتملت على الأمر بإعداد القوة المستطاعة فى سبيل الله تعالى ، وقد فسر النبى صلى الله عليه وسلم المراد من القوة فى الآية بالرمى

روى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " ألا إن القوة الرمى الا ان القوة الرمى ألا إن القوة الرمى "

(كتاب الإمارة / ١٥٢٢)

ولم يقل النبى صلى الله عليه وسلم أنه رمي بالسهام أو النبال ، وانما قال الرمى مطلقا من غير تقييد لتشمل جميع القوات المادية والمعنوية . لأن الجهاد يستلزم إعداد جميع أنواع القوة ، ومتى بطل فرع منها بطلت كلها . واذا كان المقصود من الرمى فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم الرمى بالسهام والنبال والمنجنيق ، والمقصود فى هذا العصر الرمى بالرصاص والقنبلة بجميع أنواعها واستعمال الطائرات والدبابات والصواريخ الخ وكل ماوصل إليه التقدم العلمى والتكنولوجيا فى صناعة الأسلحة . لاشك أن لكل عصر مايناسبه من القوة ، فالواجب على المسلمين أن يقابلوا الأعداء بمثل السلاح الذى يقابلهم الأعداء ، بل بأسلحة وأساليب غير معروفة عند الاعداء حتى يفاجئهم ويكسر من معنوياتهم ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم بترتيب الصفوف فى بدر ، إذ ان هذا الاسلوب كان غير معروف عند العرب . وكما استعمل النبى صلى الله عليه وسلم المنجنيق فى غزوة الطائف فيما يروى ابن اسحق فى السيرة (ج ٢ ص ١٢١) . وقد استعمل النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام كل ماوجدوه فى عصرهم من السلاح واخترعوا أسلحة جديدة واستعملوها فى حروبهم مع الأعداء .

ولاشك أن أسلحة الحرب قد تطورت وتنوعت فى هذا العصر ، ومن الطبيعى أنها لن تقف عند حد معين . والمسلمون بمقتضى دينهم مأمورن بالسبق فى هذا السباق .

وتمشيا مع الأمر الإلهى وسياسة الواقع لقد درب النبى صلى الله عليه وسلم رجاله على فنون الحرب ، من رمى وفروسية وسباق وصناعة آلات الحرب روى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن البنى صلى الله عليه وسلم قال " من علم الرمى ثم تركه فليس منا أو قد عصى "(كتاب الامارة /١٩١٩) . هذا تهديد من النبى صلى الله عليه وسلم لمن تعلم الرمى ثم تركه ، معنى ذلك أن ترك الرمى بعد تعلمه ترك الإعداد للجهاد فى سبيل الله ، وهذا مذموم فى الشرع وعصيان لأوامر الله تعالى وتعاليم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه النسائي عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله عز وجل يدخل ثلاثة نفر الجنة : بالسهم الواحد ، صانعه يحتسب فى صنعه الخير والرّامى به ومنبله " (كتاب الجهاد / ٣١٤٦)

ويُفهم من هذا الحديث النبوى الشريف أن من اشترك فى صناعة الأسلحة من قريب أو بعيد ـ فإنه يثاب ثواب المجاهدين فى سبيل الله تعالى ، لأنه يشترك فى الإعداد، فلا جهاد بدون الإعداد . وهذا يقتضى الإعداد فى جميع أنواع القوة فى البر أو البحر أو الجو . وذلك بتأسيس المصانع الحربية ، وحشد الرجال فى كل مجال مع التدريب المستمر للحرب

ولقد جاء الإسلام وأمرنا الله بالجهاد . وأمر نبيّنا نفسه أن يجاهد، فكانت حياته كلّها جهادا ، فعلينا أن نقتدى به فى جهاده صلى الله عليه وسلم .

وقال الطنطاوي فى الجواهر : والجهاد يستلزم جميع العلوم والصناعات ، يستلزم علم الرياضيّات والطبيعيات ، ويستلزم علم السّياسات وعلم الإقتصاد وعلوم الحروب كلها، واستخراج المعادن وعلم الزّراعة وعلوم العالم قاطبة، وإن العلوم كلها والصناعات لاينفك بعضها عن بعض، عرفت أن الجهاد يكون بها كلها " ج ١٢ ص ٢٤ .

وكما نبّه القرآن الكريم فى الآية الكريمة المذكورة إلى قوة الخيل كأداة حرب (.. ومن رباط الخيل) وقد رغب النبى صلى الله عليه وسلم فى اقتناء الخيل لما فيها من الأجر والغنيمة والقوة ولقد وردت أحاديث صحيحة فى فضل الخيل ورباطها فى سبيل الله تعالى ـ ولقد سبق ذكر بعضها ـ لحماية الحصون والثغور .

وكانت الخيل وسيلة نقل فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم، ولقد تغيرت وسائل النّقل فى العصر الحديث بتغير التقدم العلمى ، فالواجب

على المسلمين اتخاذ وسائل النقل وفقا لزمانهم •

إن الاعداد المادى لايكفى وحده لارهاب عدو الله تعالى وعـــدو المسلمين إذا لم يكن هناك اعداد روحى معنوى ، إن القوة المعنويـــة هى أقوى من كل سلاح يقاتل به الأعداء •

وقال محمد على الصابونى فى «قبس من القرآن» (١٤٠٧ هـ) : " ماذا تصنع القنابل أو المدافع فى يد الخوار الجبان ، الذى يرتعد فزعا ويمـــوت هلعا ؟ وكيف يثبت فى المعركة من لم يكن ثابت الجأش قوى العزيمـــة عظيم الثقة بنصر الله "(ص ١٦١)•

لابد من وجود القوتين : المادية والمعنوية حتى يتم الإعداد إعدادا تاما للجهاد فى سبيل الله تعالى • ولعل هذا هو السر فى التعبير الربانى فى الآية الكريمة ﴿ وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ﴾ فقد وردت كلمة (قوة) نكرة مطلقة غير مقيدة لتشمل جميع أنواع القوة التى تناسب كل زمـــان ومكان •

الإعداد لايتم إلا بالمال ولايمكن الحصول على المال إلا بالإنفاق وإليه أشارت الآية الكريمة ﴿ وماتنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لاتظلمون ﴾

تأمل هذه الآية الكريمة تجدها دالة على ضرورة وجود المال للجهـــاد فى سبيل الله تعالى ، فهى تأمر بإعداد جميع أنواع القوة المستطاعـــة • فتبين للمؤمنين أن كل مال يبذلونه فى الجهاد لن يضيع بل أنه يعـــوض فى الدنيا ويؤجر عليه فى الآخرة من غير نقص •

١٠ ـ مفهوم الجنوح للسلم كما جاء فى السورة الكريمة :

قال تعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال / ٦١ ـ ٦٢)•

إنّ هذه الآية الكريمة نصّ فى جواز الصّلح الموقّت بيّن المسلمين وأعدائهم ،ولكن اختلف فى هذه الآية الكريمة : هل هى منسوخة أم لا ؟

قال الإمام القرطبي : " قال قتادة وعكرمة : نسخها (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وقالا : نسخت براءة كل موادعة ، حتّى يقولوا لا إله إلّا الله . وقال ابن عباس : الناسخ لها (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون) وقيل ليست بمنسوخة " ج ٢ ص ٤٨ .

وهو اختيار الإمام القرطبي رحمه الله تعالى ، إذ يرى جواز الصّلح إن كان للمسلمين مصلحة فى الصّلح ، لنفع يجتلبونه ، أو ضرر يدفعونه ، وأما ابن العربى من المالكية فهو لايرى جواز الصلح اذا كان المسلمون على عزّة وقوّة ومنعة ، وجماعة عديدة وشدّة شديدة مستدلاً بقوله تعالى ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ﴾(سورة محمد ص/٣٥)

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى : إذا كان العدوّ كثيفاً فإنه يجوز مهادنتهم ، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة ، وكما فعل النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ، فلامنافاة ولانسخ ، ولا تخصيص .
(ج ص)

وعلى ذلك فإن الآية الكريمة غير منسوخة ، فهى نصّ فى جواز الصّلح والمهادنة إذا كانت هناك مصلحة ظاهرة للإسلام . والمصلحة تقدّرها ولىّ الأمر، قد تظهر فى صورة متعددة مثل : ضعف المسلمين أو الطّمع فى إسلام أعدائهم أو قبولهم حكم الجزية الخ .

قال كمال بن الهمام فى شرح فتح القدير : " وقد استدل العلماء على ضرورة وجود المصلحة فى الصلح بالإجماع على تقييد آية ﴿ وأن جنحوا للسلم ﴾ بروءية المصلحة للمسلمين فى ذلك ، بدليل آية ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الاعلون ﴾(ج ٤ ، ص ٩٣).

واتفق الفقهاء على أن عقد الصّلح مع الأعداء لابد من أن يكون

مقدّرا بمدّة معيّنـــة، فلا تصحّ المهادنة مطلقا إلى الأبد من غير تقديـــر بمدّة ، لأن ذلك يفضي إلى ترك الجهاد كليًّا . (ج ٤ ، ص ٢٩٣) .

ويقول وهبه الزحيلي في "آثار الحرب في الفقه الاسلامي": أن ذلـــك مفوض إلى ولاة الأمور لأن العبرة في العقود العامة بتوافر المصلحـــة وهم أدرى بما يحقّق المصالح في هذا الزمان .(ص ٦٧٥).

بينما يروى الشيخ ابن عاشور في "التحرير" (١٩٨٤م) عدم جـــواز الصلح إذا كان غرض الأعداء من الجنوح للسلم غرض كيْد ومكْر في الظاهر .
ويقول في معنى : " (وأن جنحوا للسلم) إن مالوا إلى السلـــم ميل القاصد إليه ، كما يميل الطائر الجانح . وإنما لم يقل : وان — طلبوا السلم فأجبهم إليها ، للتنبيه على أنه لايسعفهم إلى السلم حتّى يعلم أن حالهم حال الرّاغب لأنهم قد يظهرون الميل إلى السلم كيدا .
(ج ١٠ ، ص ٦١)

معنى ذلك أنه يجوز السلم مع الاعداء إذا كان غرضهم وميلهـــــم للسلم ميل حق .

والحقيقة أن هذه المسألة مسألة اختلافية، وحسّاسة في نفس الوقـــت، وهي تتعلق بسياسة ولاة الأمور الحربية والعسكرية ، وكما تتعلق بمسألـة أصل علاقة المسلمين بغيرهم ، أهي علاقة سلمية أم علاقة حربية ؟ وتنتـج عنها عدة مسائل فرعية ذات العلاقة بهذه الآية الكريمة . وهي خارج عـــن أهداف هذا البحث .

وقد أكتفى الباحث بهذا القدر لبيان مفهوم الجنوح للسّلـــم كما جاء في السورة .

١١ - مفهوم الهجرة كما جاءت فى السورة الكريمة :

إن الهجرة فى الإسلام قضيّة إيمانية ، تعبّر عن طبيعة العلاقة بين أفراد الأمة ، تلك العلاقة الّتى تقوم على رابطة العقيدة والدّين ، والتضحية بكل غال ورخيص ، بالنفس والمال والدّار ، والولد ، والأهل والعشيرة . وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم بذرة الدعوة الاسلامية فى أرض مكة المكرمة بأمر ربّه ، إلا أن هذه البذرة لم تجد أرضا خصبة تنبتها ، وتحمى نموّها، فتحوّل إلى أرض طيبة ، أرض المدينة المنورة ، فقبلت تلك البذرة المباركة ، وأنبتتها نباتا مثمرة .

لقد تعرّض المسلمون فى مكة للأذى والتعذيب نتيجة إيمانهم بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، فصبروا حتّى يوءذن لهم بالهجرة إلى المدينة المنورة، وهاجروا تاركين أموالهم وديارهم وعشيرتهم ابتغاء مرضاة الله تعالى ، استقبلهم إخوانهم الانصار استقبالا حافلا ورحّبوا بهم ترحيبا حارّا ، تقاسموا أموالهم وآثروهم على أنفسهم ولو كانوا فى حاجة ماسة .

إن هذه حقيقة الأخوة الإيمانية والصّداقة الرّبّانية فى المجتمع الاسلامى، وأن هناك ولاية حقيقيّة بين المهاجرين والأنصار يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال / ٧٢) . لقد نصت هذه الآية الكريمة على أن المقياس فى الوَلاية هى الهجرة فى سبيل الله تعالى ، والتجمّع تحت راية واحدة هى راية الاسلام وقيادة واحدة ،قيادة النبى صلى الله عليه وسلم ، حفاظا على العقيدة والدين ، جهادا فى سبيل إعلاء كلمة الله تعالى .

إن هاتين الفئتين من المؤمنين الصّادقين فى إيمانهم: المهاجرين والأنصار، قد اشتركوا فى الجهاد فى سبيل الله تعالى وفى بناء المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية، وبذلك استحقوا صفة السابقية ورضوان الله تعالى والفوز العظيم. وأما الذين آمنوا ولم يهاجروا مع المهاجرين الأولين، تعلّقًا بديارهم وأموالهم وكان بإمكانهم الهجرة - فان الله تعالى لم يجعل بينهم وبين إخوانهم المهاجرين والأنصار حق الولاية، لأنهم لم يضحّوا من أنفسهم ولا من أموالهم ولا من ديارهم من شئ فى سبيل الله تعالى لضعف إيمانهم وعقيدتهم.

ويقول فى ذلك الإمام الرازى رحمه الله تعالى فى «مفاتيح الغيب»: " وقوله تعالى ﴿ مالكم من ولايتهم من شئ ﴾ يوهم أنه لمّا لم يهاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سقطت ولايتهم مطلقا، لو هاجروا لعادت تلك الولاية وحصلت ". (ج ١٥، ص ٢١٠).

ومع ذلك إذا استنصروا المؤمنين فى الدّين، فعليهم معاونتهم ومناصرتهم، لأنهم أخوانهم فى الدين والعقيدة مهما كانوا ضعفاء فى عقائدهم وإيمانهم، والمقصّرين فى أعمالهم وفى تطبيق مستلزمات دينهم. وفى ذلك يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:
" إن دعوا هؤلاء المؤمنون الّذين لم يهاجروا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم، فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم إلا أن يستنصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولاتنقضوا العهد حتى تتم مدّته " ج ٨ ص ٥٧.

وبعد الحديث عن الولاية بين المهاجرين والانصار جاءت الآية تذكر أن الذين كفروا بعضهم أولياء بعض، وأن الولاية بين المؤمنين والكافرين مقطوعة. قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (الأنفال / ٧٣).

ولاشك أن الكافرين على اختلاف أجناسهم وألوانهم يتناصرون فيما -

بينهم، ويجتمعون لحرب المسلمين فى كل فرصة، لأن الكفر ملّة واحدة. يشتركون فى عداوة الإسلام والمسلمين وفى كل شئ إسلامي ، فإن القاسم المشترك عندهم هو الاعتداء على الإسلام ، هذا ماحدث فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم من تضامن اليهود مع المشركين فى عداوة الإسلام والمسلمين . ولقد اشترك الكفار طوال التاريخ فى عداوة الدين الاسلامى ومايزالون يشتركون ، إن فى ذلك لذكرى للذاكرين ولعبرة للمعتبرين .

إن مكانة السابقين من المهاجرين والأنصار فى هذا الدين مكانة عظيمة تسابقوا فى سبيل الله تعالى لإعلاء كلمته ورفع شأنه ببذل النفوس والأموال ، بمفارقة الأهل والأوطان . وبذلك حقّقوا إيمانهم بالهجرة والجهاد ، وحقّق الله إيمانهم بالمغفرة ورزق كريم .

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الأنفال/٧٤ .

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى فضل المهاجرين الأولين والأنصار، ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين الأولين فى الفضل مع تفاوت الدرجة، لأنهم تأخروا فى الهجرة ، ولم يستحقوا ثواب الأولين السابقين .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال / ٧٥)

ويقول المفسرون أن هؤلاء الذين آمنوا من بعد وهاجروا من بعد الحديبية وبيعة الرضوان : (القرطبى ج ٨ ، ص ٥٨ والخازن ج ٣ ، ص ٥٥)

ولقد تناولت هذه الآيات الكريمة مجموعة من الأحكام نلخصها فيما يلى :

١ - إن الهجرة فى الإسلام مسألة إيمان ، والإيمان الصادق يستلزم الهجرة إذا اقتضى الأمر إلى ذلك .

٢ ـ الهجرة من دار الكفر إلى دار الاسلام واجب على المستطيع ٠

٣ ـ وجوب الولاء بين المسلمين مهما بعدت أقطارهم واختلفت أجناسهم

٤ ـ المؤمن الذى يقدر على الهجرة من دار الكفر إلى دار الاسلام ولم يهاجر يكون آثما وعاصيا عند الله تعالى وتنقطع الولاية بينه وبين المسلمين ٠

٥ ـ إن الكفر ملة واحدة ، غرضهم واحد ، وهو النيل من الاسلام والمسلمين

٦ ـ إن طريق الفوز والنجاح وكسب رضوان الله تعالى لايتحقق إلا بالإيمان والجهاد فى سبيل الله تعالى بالنفس والمال وبكل مايملك من إمكانيات ٠

٧ ـ السابقون فى أى عمل خير لهم أجر كبير وفضل جزيل ٠

٨ ـ وجوب مقاطعة الكافرين وعدم موالاتهم لانه من مستلزمات الايمان ومقتضيات الاسلام ٠

وقد تبين مما سبق على أن الهجرة فى سبيل الله تعالى من أصل الجهاد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو فاتح هذا الباب بأمره وفعله ، والهجرة إعلان حرب على الشرك وأهله ، ولن تنقطع الهجرة إلى يوم القيامة مادام أن هناك حق وباطل ٠

المبحث الثانـــى

منهج تربية المجاهـــدين فى سورة الأنفال

إن سورة الأنفال نزلت إثر غزوة بدر الكبرى التى فرّق الله تعالى بها بين الحق والباطل ، فهى أعظم انتصارات الإسلام ، وهى الفتـــح الأعظم الّذى أعزّ الله به الإسلام والمسلمين وهى النصر الّذى توّج الله به جبين نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم . إن أهل بدر أعظم منزلـــة عند الله تعالى ، فقال الله تعالى فيهم : * اعملوا ماشئتم فقـــد غفرت لكم*" البخارى كتاب الجهاد رقم ٢٨٤٥ ، لأنهم فتحوا مجال الدّعـــوة الاسلامية الى يوم القيامة ، لقد كسروا الشرك وأهله بقوّة إيمانهـــم ورسوخ يقينهم بعد تأييد الله تعالى لهم بنصره فى المعركة الفاصلـــة؛ معركة بدر الكبرى التى نعيش اليوم تحت ظل نتائجها . إن هــــــؤلاء الرّجال لم يوجدوا عفوا ولا مصادفة ، ولم يظهرو فجأة درن تكوين وإعداد وإنما أعدوا اعدادا وأخرجوا إخراجا فى مدرسة القرآن الكريم وفـــى مدرسة النبى صلى الله عليه وسلم بمنهج إلهى وبمنهج نبوىّ .

ولاشك أن الاعداد لايتم إلا بالمنهج ، والمنهج له أساليبه وطرقــــه ، ولقد تطرقت هذه السورة الكريمة – سورة الانفال – إلى بيان بعـــض محتوى هذا المنهج وأساليبه وطرقه ، لأن هذه السورة الكريمة سمّيـــت بسورة الجهاد' وسميت بسورة بدر كما سبق بيانه – وهى تحدّثت عن وقائـــع غزوة بدر الكبرى بالتفصيل .

وعند دراستنا لوقائع هذه الغزوة بمقدّماتها ونتائجها فى كتـــب التاريخ والسّيرة النبوية الشّريفة نرى أن هؤلاء الأبطال نشؤا وتربـــوْا فى ظلّ منهج إلهى ربّانى وتحت قيادة نبويّة حكيمة

ولقد تطرّق الباحث فى بداية هذا الفصل إلى بيان بعض المفاهيـــم –

الجهادية فى السورة من أهداف ، وآداب ، وأساليب ، والآن يقوم ببيان هذا المنهج ، منهج تربية المجاهدين كما جاء فى هذه السورة الكريمة .

١ ـ تربية النفس بالعبادات المفروضة مثل: الصلاة والزكاة..والنافلة ، لأنها أفضل القربات إلى الله تعالى، وهى الغاية التى خلق الانسان لأجلها ، والذكر باللسان والقلب فى العسر واليسر ، لأن الذكر يحيى القلب الميت ويتأكد ذلك فى المواقف الصعبة مثل : ساحة القتال وحين البأس ، وتلاوة القرآن الكريم لتزداد النفس إيمانا وتصديقا ويقينا . والاستغفار والتوبة والإنابة والرجوع إلى الخالق بكل كيانه ووجوده. وطلب العون والنصر من الله تعالى والدعاء له فى السر والعلن ، لأن الدعاء مخ العبادة. ولقد رأينا فى بداية الفصل ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو ربه قبل معركة بدر الكبرى حتى سقط رداؤه الشريف .

٢ ـ تربية النفس على طاعة الله تعالى وطاعة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم طاعة مطلقة فيما أحب وكره ، فى المنشط والمكره فى العسر واليسر، لأن حقيقة الإيمان تقتضى ذلك ، فلا يكون المرء مؤمنا كاملا إلا إذا استكمل الطاعة بكاملها ، فلا شك طاعة ولاة الامور من المسلمين تعتبر من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فى المعروف .

٣ ـ تربية النفوس على الوحدة والاتحاد وعدم التفرق والتنازع والاختلاف.دين الاسلام دين الوحدة والاتحاد ودين الجماعة ، ولذلك أمر بالوحدة والإعتصام بحبل الله جميعا، ونهى عن التفرق والتنازع والاختلاف ، لان الاختلاف فى كل وقت، وخاصة فى مواطن الحرب يؤدى إلى الفشل وإلى ذهاب القوة والدولة بالتعبير القرآنى . قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الانفال / ٤٦) .

٤ - تربية النفوس على التحلّى بفضائل الأخلاق : مثل الإخلاص فى الأعمال كلها ، والصّبر والثبات والصّدق ، والأمانة والتوكل على الله تعالى بعد الأخذ بالأسباب والإحسان والإصلاح .

إن الاخلاص رائد الدعوة الاسلامية ، فان الله لايقبل عملا إلا إذا كان خالصا له ، والصبر مفتاح النجاح ، فهو محمود فى كل المواطن ، وخاصة عند اللقاء مع الأعداء ، إن الصدق والامانة من أهم صفات المؤمنين . والمؤمن لايكون إلا صادقا وأمينا، والاحسان فى المعاملة ، كما أحسن المؤمنون بالأسرى بعد غزوة بدر الكبرى لوصية نبيّهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الاسرى . والاصلاح بين الناس لجمع الكلمة وتوحيد الأمة الاسلامية ، وتربية النفوس بالتخلى عن الرذائل وسوء الاخلاق مثل : الكذب والخيانة ، خيانة الله تعالى وخيانة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأنها من صفات المنافقين ، لاتليق للمؤمنين فى حال من الاحوال ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَٰنَتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الانفال / ٢٦) . وأما الكسل وهو التواكل مذموم فى الشرع ومانع من موانع الجهاد فى سبيل الله تعالى .

٥ - تربية النفس على عدم كراهية الحقّ وعدم المجادلة فيه بعد تبيّنه ، لقد خرج المسلمون لهذه المعركة على غير موعد وبدون أعداد ، فإنهم خرجوا لعير قريش، ولمّا دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم للقتال كره بعضهم وأخذوا يجادلون الرسول صلى الله عليه وسلم فى القتال ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ (الأنفال / ٥،٦)

والقرآن الكريم يصف لنا حالتهم النفسية بعبارة ﴿ كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾ وذلك خوفا ورعبا من القتال ولعدم استعدادهم للمعركة . فكان الواجب عليهم رضى الله عنهم جميعا عدم كراهية القتال فى سبيل الله تعالى بعد أن وعد الله تعالى لهم النصر وبشرهم نبيهم بإحدى الطائفتين .

فلا ينبغى الكراهية فى الحق ولا المجادلة فيه ، لأنه الحق وإنما الكراهية فى الباطل .

٦ - تربية النفس على اختيار الأفضل فى أمور الخير عامة وفى الجهاد خاصة. لقد وعد النبى صلى الله عليه وسلم لهم بإحدى الطائفتين أمّا العير وأما النصر على قريش ، إنهم أرادوا العير ولكنّ الله أراد لهم النفير ، حيث انتصروا فى المعركة ورجعوا غانمين سالمين جامعين بين النصر والغنيمة . وما أراد الله تعالى للمؤمنين كان خيرا مما أرادوه لأنفسهم ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ . لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (الأنفال/٧ - ٨). لابد للمؤمن من اختيار الأفضل فى سبيل الله تعالى ولايرضى باليسير .

٧ - تربية النفوس على الفداء والتضحية فى سبيل الله تعالى بكل غال ونفيس وذلك بتحبيب الشهادة والموت فى سبيل الله تعالى وبعدم الخوف من الموت . وقال النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر قبل الالتحام " والذى نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة .. " .

ولهذه الكلمة المباركة كانت أثر كبير فى تقوية معنويات المجاهدين لأنهم استعذبوا الموت فى سبيل الله تعالى .

إن عمر الانسان مهما طال لابدّ له من نهاية ،فلابد له أن يموت ، فللعاقل أن يختار أشرف أنواع الموت وأفضله ، ألا وهو الموت فى سبيل الله تعالى فلابد من تربية النفوس على تحبيب الشهادة فى الله ، وبدون هذه التربية فلا يتوقّع من المرء أن يفتدى نفسه بكلّ غال ونفيس لان نفس المرء غالية ، فهى أغلى شئ للانسان ، فلابد لفدائها وتضحيتها من مقابل أغلى منها بكثير .

٨ ـ تربية النفوس على الإنفاق فى سبيل الله تعالى بدون تردد .

وذلك : بتعويدها على الإيثار والكرم وإبعادها من البخل والشح ، أن الانفاق مظهر من مظاهر الشكر لله تعالى على ما أنعم من النعيم فلابد للمؤمن من الانفاق فى سبيل الله تعالى شكرا لله تعالى ولتطهير نفسه من البخل والشح وحبّ الدنيا وذلك بتعويدها على الكرم والإيثار والبذل دون خشية الفقر ، لأنه مَنْ لايقدر أن يضحّى شيئا من ماله فلا يستطيع أن يضحى بنفسه، ولأجل ذلك أن الله تعالى قدّم الجهاد بالأموال على الجهاد بالأنفس فى كثير من الآيات القرآنية .

ولقد أمرنا الله تعالى فى هذه السورة بالإعداد الشامل للجهاد ﴿ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ... ﴾ والاعداد لايتم إلا بالانفاق وفى الإنفاق تربية النفوس وتزكيتها ، قال تعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها .. ﴾(التوبة / ١٠٣) .

٩ ـ نزع حبّ الدنيا ومتاعها من قلوب المؤمنين والقتال لأجل المادة ، وتوجيه المؤمنين إلى القتال فى سبيل الله لاعلاء كلمته ورفعة شأنه جل جلاله ، وقد رأينا عند حديثنا عن أسباب النّزول اختلاف الصحابة الكرام فى أمر الغنائم ونزول الآية الكريمة لحل هذه المشكلة وعلاجها علاجا حكيما .

١٠ ـ تربية النفس المؤمنة على العزّة والكرامة والشّجاعة ، لأن العزة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين. المؤمن يعيش عزيزا كريما فلايقبل الذّل والهوان، ولايستسلم للأذلاء وإنما يذلّهم بعزّته وكرامته . ولاجل ذلك أمر الله تعالى تأديب الناكثين عهودَهم من اليهود وغيرهم، فلقد أمرهم بقتالهم وتنكيلهم بعد تثقيفهم فى الحرب عبرة لمن يعتبر، وحتى لايطمع غيرهم فى نقض عهد ، قال تعالى :

﴿ الّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾(الانفال / ٥٦ ـ ٥٧) .

١١ ـ تربية النفس على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر :

إن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من سمات هذه الامة ، ومن أكبر مميزاتها الأساسية، فهو يتضمن الدعوة إلى الدين وتبليغه إلى الناس سواء كانت داخل المجتمع الاسلامي أو خارجه، والجهاد نوع منه ، بل هو أعلى فروعه .

إن السكوت على المنكر جريمة كبرى ، فإذا عم المنكر فى مجتمع وشاع، ولم يقف الصالحون ينكرونه ويقاومونه، فان عقوبته تعم المجتمع كله ، لأن واجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب جماعي لا فردى واليه أشارت الآية الكريمة : ﴿ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ (الانفال / ٢٥) .

ومن هنا لابد من تربية النفوس تربية جهادية جماعية ، فاذا أهمل بعض الناس فى المجتمع الاسلامى فريضة الجهاد فى سبيل الله تعالى وقعدوا عنها فان أضرار تركها تعم المجتمع كله ، لأن الجهاد يتعلق بمصير الامة كلها إيجابا وسلبا .

١٢ ـ تربية النفوس تربية جهادية جماعية وذلك بالمشاورات والأخوة الإسلامية لسلامة الدعوة الاسلامية ونصرتها بجميع الخبرات والطاقات والقدرات . ولقد رأينا كيف كان النبى صلى الله عليه وسلم استشار الصحابة الكرام فى قتال القوم فى بدر ، وعند اختيار المعسكر وعند شأن الاسرى ، والنبى صلى الله عليه وسلم غنيّ عن مشاوراتهم لأنه مؤيد بالوحى ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يطيب نفوسهم ويعودهم على التفكير الجماعى والعمل الجماعى حتى يقتدوا به فى أمورهم عامة وفى المواقف التى تتعلق بمصير الأمة الاسلامية ـ مثل الجهاد ـ خاصة .

أن مسألة الأخوة الاسلامية ، أخوة إيمانية بحته ، خاصة الأخوة التى حصلت بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة إلى المدينة المنورة .

إن هذه الرّوح هي التي جعلت المسلمين أمة واحدة تحت هدف واحد تجاهد في سبيل الله تعالى بعد أن كانوا في أشد التفرقة والضلالة .

إن قوة الأخوة الإيمانية هي التي دفعت المؤمنين إلى أن يتركوا بلادهم وأموالهم وأهليهم مهاجرين في سبيل الله تعالى ليشاركوا إخوانهم في الجهاد وفي بناء مجتمع اسلامي ، وهي التي دفعت الأنصار إلى أن يشاركوا أموالهم مع اخوانهم المهاجرين في سبيل الله تعالى .

ولاشك أن موقف المهاجرين والانصار في الايثار والكرم والفداء والتضحية موقف مثالي في التربية الجهادية التي بلغت الذروة .

١٣ - تربية النفس بمجاهدة الشيطان الذي يريد أن يفسد للمجاهد نيّته وعمله بكل الوسائل والأساليب ، ولا يتركه بحال من الأحوال. ولقد رأينا أن اللعين كيف اشترك مع المشركين في المكر على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة وكيف اشترك أيضا في غزوة بدر الكبرى لتقوية معنويات المشركين وكيف وسوس لخواطر بعض المؤمنين ليلة بدر .

فعلى المجاهد في سبيل الله تعالى أن يجاهد هذا العدوّ بسلاح الإيمان والتقوى والإستعاذة بالله تعالى والذكر والدّعاء .

١٤ - تربية النفس بمجاهدة المنافقين الذين يعيشون داخل المجتمع الاسلامي فالواجب على المجاهد في سبيل الله تعالى أن ينتبه إلى أحوالهم وأساليبهم ومكرهم لأنهم أشد خطرا على المسلمين من غيرهم، لوجودهم في قلب الأمة الاسلامية وكم خذلوا المسلمين في المواقف الصعبة وفي ساحات القتال ، وكم نشروا من الإشاعات المفسدة بين المؤمنين وزرعوا بذور الفتنة في الصف المسلم .

١٥ - تربية النفس على الشعور بأهداف الجهاد في سبيل الله تعالى ، لانه اذا لم يتحقق هذا الشعور لدى المسلم فلا يتوقع منه الفداء والتضحية فلا يسمى عمله جهادا مهما كان . لان الجهاد في الاسلام شرع لإعلاء كلمة الله تعالى . ولقد رأينا في السورة الكريمة أن هدف الجهاد في الاسلام بين ظاهر كالشمس لا يخالطه شيء من الأغراض الخسيسة ، لأنه شرع للأغراض النبيلة والبواعث السامية .

الفصل الرابــــــــــع

واجب المؤسسات التربويـــــة فى التربية الجهادية

المبحث الاول : واجب الأسرة فى التربية الجهادية .

المبحث الثانى : واجب المدرسة فى التربية الجهادية .

المبحث الثالث : واجب المسجد فى التربية الجهادية .

المبحث الرابع : واجب وسائل الإعلام فى التربية الجهادية .

المبحث الأول

واجب الأســـــرة فى التربية الجهاديـــة

ويشتمل هذا المبحث على :

مقدمة عامة فى مكانة الأسرة فى التربية .

والخطوات النظرية فى واجب الأسرة فى التربية الجهادية وهى:

١ ـ ترسيخ عقيدة الإسلام فى نفوس الناشئة .

٢ ـ تحلية نفوس الأولاد بالأخلاق الحسنة .

٣ ـ تربية الأولاد على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة ولاة الأمر فى المعروف .

٤ ـ تربية الناشئة على الوحدة والإتفاق وعدم التفرق والإختلاف .

٥ ـ تربية الناشئين على تحمل المسئولية الفردية والجماعية .

٦ ـ تربية الناشئة على العزّة والكرامة والرّجولة والشّجاعة .

٧ ـ تعويد الناشئة على التّقشّف .

٨ ـ تعويد الناشئة على النّظام .

٩ ـ تبصير الأولاد بحقيقة الجهاد فى الإسلام .

الخطوات العملية فى واجب الأسرة فى التربية الجهادية وهى :

١ ـ أن يكونوا قدوة حسنة لأبناءهم فى حياتهم وسلوكهم الجهاديّة .

٢ ـ تحفيظ الولد سورة الانفال ، والتوبة ، والأحزاب وسورة محمد صلى الله عليه وسلم ونصوصا أخرى من الكتاب والسنة والمتعلقة بالجهاد .

٣ ـ دراسة السّيرة النبويّة الشريفة والتاريخ الاسلامي للإطلاع على سيرة الحركة الجهادية وبيان المواقف الجهادية الّتى وقفها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام والمؤمنون المجاهدون من بعدهم .

٤ ـ تعويد الناشئة على الإنفاق فى سبيل الله تعالى منذ صغرهم .

٥ ـ الحفاظ على صحّة النّاشئة وتربيتها جسميا وعقليا ونفسيا .

٦ ـ الإهتمام بشئون المسلمين عامة وبالقضايا الإسلامية الرّاهنة خاصة .

مكانة الأسرة فى التربية

الأسرة هى المؤسسة الأولى التى يقع على عاتقها مسئولية تربية الناشئة ، وهى المعقل الأول الذى ينشأ فيه الطفل ، وهى مسئولة عن بناء اللبنة الأولى فى مستقبل أطفالها •

فالأسرة توفر للطفل المأكل والمشرب والملبس ، وفيها ينمو جسمه ويتعلم فيها اللغة والتعبير ويستقى الطفل عاداته وتقاليده وأخلاقه ودينه وطباعه من الأسرة وذلك تبعا لمستواها الديني والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، ولاشك أن علاقة الأبوين تؤثر تأثيرا كبيرا على الطفل ولذلك أن الطفل يحاكي والديه، لأنهما المثل الأعلى فى نظره، وهما القدوة فى سلوكه وتصرفاته ، فالبيت يتولى رعاية الفرد وتنشئته فى أحرج الفترات وأعمقها آثارا فى بناء شخصيته ، وتكوين اتجاهاته وأفكاره وأخلاقه وقيمه فى كل ميدان • إن البيت يتدارك بسرعة الانحرافات فى الفترة المبكرة من حياة الطفل قبل أن تتشعب جذورها وتتفرع أغصانها ، فان إهمال تلك الانحرافات فى الوقت المبكر يؤدي إلى بروز مشاكل عديدة فى حياة ذلك الطفل وفى أسرته، ولذلك ينبغى لأفراد الأسرة أن يكونوا على دراية ووعى بمتطلبات التوجيه السديد والتربية المثمرة والتهذيب المثمر، ليحلوا المشكلة الواقعة أو المتوقعة فى حينها بمعالجة حكيمة وبأساليب ملائمة لطبيعة الطفل ومستواه العقلي والنفسي •

ولقدازدادت مسئولية الأسرة فى هذه الأيام مع تعاظم تعرض الطفل للمؤثرات الخارجية الموجودة فى المجتمع والتى يمكن حجبها عن الناشئة بسهولة ويسر • ولكن مهما كان دور وتأثير تلك المؤثرات الخارجية كبيرا وفعالا فإن دور الأسرة فى مكان الصدارة فى كل حال وفى كل زمان، فان دورها ورسالتها باقية مابقى الجنس البشري على وجه الارض ، وهى التى تقوم بالمحافظة على الناشئة وترعاها وتعلمها

وتطبعها حسب ماتريد ، وحسب ماتشاء بعد مشيئة الله تعالى .

ولذلك حمّل الاسلام الوالدين مسئولية تربية الأولاد مسئولية كاملة طول الحياة - دون النظر إلى السن أو أية اعتبارات أخرى - وأكد على ذلك فى مرحلة الطفولة والتمييز والشباب لكونها مراحل التعليم والتربية والتنشئة .

يقول الله تعالى لبيان هذه المسئولية الكبرى التى هى من أعظم المسئوليات والملقاة على عاتق الوالدين : ﴿ ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾(سورة التحريم/٦)

إن هذا الخطاب الالهى وإن كان موجها إلى كل المؤمنين الذين يتحملون المسئولية فى مجال التربية والتعليم فإنه يؤكد مسئولية الأبوين لكونهما الحجر الاساسى فى تربية الأولاد وتنشئة الأبناء .

ولهذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يحمّل الوالدين مسئولية تربية الأولاد فى حديث جامع شامل يحدد مسئولية كل فرد فى المجتمع الاسلامى .

روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " (متفق عليه ، البخارى : كتاب العتق ، رقم ٢٤١٦ ، ومسلم : كتاب الامارة رقم ١٨٢٩).

إن هذا الامر النبوى قاعدة أساسية فى تحمل المسئوليات والإختصاصات بحيث لايبقى من أفراد المجتمع إلا وهو يتحمل نوعا من المسئولية : مسئولية أمام ربه ، مسئولية أمام إخوانه المسلمين ، مسئولية ، أمام -

مجتمعه وأمّته . ولاشك أن مسئولية الأبوين فى تربية أولادهم فهى من أهم المسئوليات وأكبرها يحاسبون عليها فى الدنيا والآخرة . لأن الطفل يتلقى تربيته الأولى فى الأسرة الّتى يعيش فيها ويتشرّب بسلوك الوالدين وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم وطراز حياتهم ويسلك سلوكهم فى كل شئ حتى فى الدّين .

وإليه يشير قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث متفق عليه رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كلّ مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه ، أو ينصّرانه أو يمجّسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسّون فيها من جدعاء ؟) .

ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم : * فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ *(البخارى : كتاب الجنائز رقم /١٢٩٣ مسلم كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨ والآية : سورة الروم : ٣٠).

فى هذا الحديث الشريف بيان على أن الطفل حين يولد يولد على الفطرة السّليمة والنشأة الطيّبة والعقيدة السّليمة لقبول الحق والخير كاملة، ولكن المؤثرات الخارجية حوله متمثلة فى الأسرة والمجتمع والمدرسة هى الّتى تفسد فطرته، إن البيئة الّتى يعيش فيها هى الّتى تلوث طبعه وخُلقه واستعداداته ولاسيما أبواه فهما سبب صلاحه وشقاوته .

ويفهم أيضا من هذا الهدى النبوى الكريم أن واجب الابوين هو المحافظة على فطرة الطّفل لئلا ينحرف ويضل، ثم تنشئته على العقيدة الاسلامية السليمة مندفعا نحو حياة الفضيلة والكمال .

والجدير بالذكر أن واجب الأبوين لاينتهى فى البيت وإنما يجب عليهم أن يراعوا تربية أولادهم خارج البيت أيضا، لأن تربية الطفل لاتتمّ غالبا فى البيت ، وإنما تتمّ فى البيت والمسجد والمدرسة والمؤسسات الأخرى الّتى لها تأثير قوىّ فى تربية الناشئة وتنشئتها، وبعبارة أخرى أن التربية تتمّ فى البيئة ووسط اجتماعي ولابد للوالدين أن يراعوا تأثير البيئة على تربية أولادهم وتعليمهم .

وسوف نركز فى دراستنا هذه إن شاء الله تعالى على دور الوالدين فقط فى تربية أبناءهم تربية جهادية وإن كانت للأسرة أفراد آخرى مثل: الأخوان الكبار ، والجد والجدة الخ .. إلا أن الوالدين هما الأساس فى هذه العملية ، وهذا لايعنى أن الافراد الآخرين ليس لهم دور فى التربية ، وإنما لهم دور أيضا ولكنهم أقل تأثيرا فى ذلك إذا قسناه بدور الأبوين .

ومن خلال الصفحات التالية يمكن لنا أن نحدد واجب الأسرة فى التربية الجهادية ـ وهذا وفق تصورنا الشخصى لهذه العملية الجليلة - إن شاء الله تعالى . وبالله نستعين .

١ – ترسيخ عقيدة الإسلام فى نفوس الناشئة :

العقيدة هى أساس الدين الاسلامي ، فمن أجلها أرسلت الرسل والانبياء ، وأنزلت الكتب السماوية ،ومن أجلها جردت السيوف لإزاحة العقبات فى سبيل الدعوة إليها،ومن أجلها خلق الانس والجن والجنة والنار ...

وهى الركيزة الأساسية لدخول الانسان فى حظيرة الإيمان ، وهى كالقاعدة للبناء ، فأى بناء لايقوم على أساس عميق وثابت سرعان ماينهار ، كذلك كل من ليست عنده عقيدة راسخة وايمان راسخ فى أعماق قلبه وصدره فإنه معرض للشبه والشكوك ومن ثم الخروج-والعياذ بالله – عن دائرة الايمان، ثم لاقيمة لأعمال الانسان ولا أعتبار لها فى ميزان المولى جلّ جلاله – مهما كانت إنسانية ونافعة – إذا لم تكن مبنية على العقيدة الإسلامية الصحيحة .

ولذلك ظل القرآن المكي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم طيلة ثلاثة عشر عاما لترسيخ عقيدة الإسلام فى النفوس ونبذ كل ما يخالف فى الأذهان والعقول، وظل النبى صلى الله عليه وسلم طوال هذه الفترة يعمل على تحرير الناس من عبودية غير الله تعالى بأساليب مختلفة ،وعلى تلقين معنى كلمة (لا إله إلاّ الله) وادخالها فى نفوس الناس . وهذه الكلمة لها مدلولات والتزامات ومسئوليات كبيرة ، وهى التى تميز المسلم من الكافر. وهذه الكلمة هى التى تقوم عليها بناء الإسلام ودولة الاسلام.وكذلك القرآن المدني لم يكتف بالتشريعات فحسب بل ذكّر المؤمنين بالعقيدة من حين لآخر للتذكير والتقوية والتنبيه، ليعلم المسلم أن تشريعات هذا الدين وتنظيماته كلّه إجمالا وتفصيلا منبثقة من العقيدة الإسلامية وأنها لاتنفك منها بحال من الاحوال .

وهذا هو السبيل الذى يجب أن يسلكه الدعاة إلى الله تعالى والمربون : البدء بغرس العقيدة الاسلامية الصحيحة فى النفوس أولا وقبل كل شيء ،وإلا فإن الجهود كلها تذهب سدًى . لأن الأعمال كلها من عبادة وأخلاق ومعاملات مبنية

على العقيدة الاسلامية والإيمان بالله تبارك وتعالى . فلا يتوقع من المرء أن يؤدى العبادات وأن يتخلق بخلق حسن وأن يحسن معاملته مع الناس إذا لم يستقر الإيمان فى قلبه وجوارحه وكل كيانه .

ولاشك أن العقيدة السليمة الصافية المخلصة هى التى تدفع الفرد للقيام بالأعمال الصالحة فى رسوخ ويقين وطمأنينة . وبعبارة أخرى إن العقيدة الصحيحة يتبعها سلوك صحيح . لأن العقيدة هى الأصل فى قبول الأعمال كما أسلفنا .

والجدير بالذكر أن الايمان الراسخ يمنح صاحبه الثقة والصدق والوفاء ومحبة الآخرين ويمنحه البعد عن المعاصي والآثام ، كما يمنحه التضحية والايثار والفداء.فالانسان المؤمن يشعر أن نفسه وماله ملك لله تبارك وتعالى وقد اشتراها الله تعالى منه مقابل الجنة .

وخلاصة القول أن الايمان بالله تعالى أكبر نعمة من الله تبارك وتعالى على عبده ، فالإيمان نعمة لاتعدلها نعمة أخرى ، ولايقدر بثمن ، وهو يدفع المؤمن للقيام بالأعمال الصالحة قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ سورة العصر . حكم الله تعالى بالخسارة على جميع الناس إلا من اتصف بهذه الصفات الأربعة وهى التحلى بالإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر. أن مجرد الإيمان بلا عمل يؤدى بصاحبه إلى الهاوية ، إذ سرعان مايزول ويضيع ويترك صاحبه بلا زاد يوم يقوم الأشهاد . كما أن الأعمال الصالحة لا اعتبار لها ولا قيمة فى قنطرة الإسلام إذا لم يتقدمه الإيمان في النفس واليقين الصادق فى القلوب .

وبهذا تبينت أهمية غرس العقيدة الاسلامية والإيمان بالله تبارك وتعالى جملة وتفصيلا فى قلوب الناشئة منذ نعومة أظفارهم من قبل آباءهم وأمهاتهم ومن يلى بتربيتهم وتنشئتهم فى الأسرة .

ومن البديهي في التربية الإسلامية أنه ينبغي أن يكون الأبوان مسلمين متمسكين حتى يمكنهما تربية أبناءهما تربية إسلامية صحيحة، ثم هذا لايكفي وحده. إذا لم يكن الوالدان صاحبي قضية ودعوة ورسالة، أعني بذلك أن يكون لديهما العزم والقصد على تربية أبناءهما وتنشئة أفلاذ أكبادهم تنشئة صالحة طيبة .

فكل مسلم يعرف أن أركان الايمان سته كما جاء في حديث جبريل عليه السلام فيما رواه مسلم عن عمر رضى الله عنه : وهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .(كتاب الايمان رقم : ١٠٠٩) .

إن الايمان بالله الواحد الأحد إذا تعمق في نفس الطفل يعتقد في أعماق قلبه ومشاعره أن الله تبارك وتعالى يسمعه ويراه حيثما كان) يعلم سره ونجواه، فبهذا الإعتقاد وبهذا الشعور يتحرر الطفل من ربقة الهوى والشيطان .. ويتحلى بالمراقبة لله ، والإخلاص له ، والاستغاثة به ، ويندفع بكيانه كله إلى الاعمال الصالحة بإتقان وأمان بعيدا عن الرياء والسمعة .

ولكل ركن من أركان الإيمان أثر مشرق وفائدة خاصة ،تنعكس على تصورات المؤمن وسلوكه في الحياة ، فلا بد من أركان الايمان جميعا والا كان الايمان ناقصا والنقص في الإيمان يؤدى إلى الخروج عن ملة الإسلام .

وكذلك أركان الاسلام ولها أثر كبير وفائدة عظيمة تنعكس على تصورات الطفل وسلوكه ومشاعره وأخلاقه ومعاملته في المجتمع . وفيما يلى بعض تلك الآثار :

إن الصلاة صلة بين العبد وربه ، وتزكية لنفس المؤمن طهارة لروحه ، وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، إن هذه الآثار متعلقة بالفرد وأما آثاره الاجتماعية كثيرة لاتحصى لأنها تقام في الجماعة . ففيها تربية للفرد والجماعة .

وكذلك الزكاة ولها أثر كبير في تزكية النفوس وتطهيرها .

ويقول يوسف القرضاوي في مشكلة الفقر (١٤٠٤ هـ) : (أن الزكاة تطهر نفس المؤدي من أنجاس الذنوب وتزكي أخلاقه بتخلق الجود والكرم وترك الشح والضغن ، إذ النفس مجبولة على الضن بالمال ، فتتعود السماحة وترتاض لأداء الأمانات وإيصال الحقوق الى مستحقيها ، وقد تضمن ذلك كله قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ سورة التوبة من الآية ، ١٠٣) ص ٧٤ .

وكذلك أثر الصيام ، فإنه يحرر الانسان من العبودية لشهواته ويعوده على الإخلاص وتحمل المشاق، ويغرس روح الإنسانية الأخلاقية في الأمة فيشعر الغني معنى الفقر، وهو يعتبر بحق مدرسة وحدها لتربية الفرد والأمة تربية روحية واجتماعية .

وأما الحج فإنه تجرد كامل لله تعالى، يعود النفس على تحمل المتاعب والمشاق ، والتضحية والتعاون والصبر والبذل والإنفاق، فإنه جهاد الصغير والضعيف والمرأة كما سبق بيانه في الفصل الاول من هذا البحث .

وله آثار اجتماعية عظيمة تتمثل في :

١ ـ يشعر المؤمن بالأخوة الدينية والمساواة بين أفراد هذه الأمة الإسلامية على اختلاف بلادهم وألسنتهم وألوانهم .

٢ ـ يشعر المؤمن بالتكافل والتعاون والتضامن بين عباد الله تعالى

٣ ـ يشعر المؤمن بقوة المؤمنين معنويا وماديا .

٤ ـ كما يشعر بعالمية الدعوة الإسلامية وشموليتها .

ولاشك أن هناك آثارا أخرى ندركها أو لا ندركها لأركان الايمان والإسلام تنعكس على حياة الفرد المسلم ، ولكن اكتفينا بهذا القدر لحصول المقصود . وبقي هناك سؤال . هو : كيف يمكن للوالدين أن يغرسوا في نفوس أولادهم هذه العقيدة، وهذا الايمان ؟ ومتى ؟

فالواجب على الوالدين أن يلقنوا أولادهم كلمة التوحيد .(لا إله إلا الله محمد رسول الله) أولا وقبل كل شيء فى مرحلة الحضانة وهى قبل مرحلة الإدراك والتمييز - عندما يتكلمون ويعبرون عن أنفسهم، وعندما يبدأون بتعلم الحسن من القبيح والضار والنافع من الأقوال والأفعال . لتكون كلمة التوحيد شعارا فى الدخول إلى الاسلام. والحق أن لهذه الكلمة لها تأثيرها الكبير عندما يقرع سمع الطفل ، وعندما يعبر عنها لسانه فى أول لحظة من حياته، يتشبع بحبها ويجدها فى قرارة نفسه وأعماق قلبه كلما ترعرع وشب .

ويتبعها تلقين الأركان الأخرى للإيمان والإسلام بما يتلاءم تدرجا مع المستوى العقلي وبما يتناسب مع عمره الزمني والروحي والاجتماعي ودرجة نضجه وتفتحه الانفعالي والعاطفي وذلك ببيان آثار وحكم تلك الاركان فى عقيد المؤمن . ولاشك أن الطفل سيتقبل هذه كلها عندما يتعرف على آثارها وحكمها وفوائدها فى حياته الدنيوية والأخروية .

وأما الطريقة فى هذه المرحلة هى طريقة التلقين من الأبوين بأسلوب يتلاءم مع نفسية الطفل ومزاجه، لأن الطفل فى هذه المرحلة غير قابل لفهم الحقائق والظواهر الكونية المحيطة حوله ، ولاهو قادر أن يربط الأسباب بالمسببات ، لأن نضجه لم يكتمل بعد، لفهم الأسرار والدقائق فى نفسه وفى الكون حتى يؤمن ويوقن عن حجة وبيان واقتناع تام .

وأما مرحلة التمييز والادراك - وهى المرحلة التى تلى مرحلة الحضانة وتسمى فى مصطلح علم النفس بمرحلة الطفولة المتأخرة - والتى تمتد من السادسة إلى البلوغ ، تختلف فيها طريقة غرس العقيدة فى نفوس الأطفال . فعلى الابوين فى هذه المرحلة أن يغيروا أسلوبهم وطريقتهم فى التربية ، بحيث أن التلقين وحده لايكفى لإشباع حاجات الطفل ورغباته وكما لايتلاءم مع مستواه العقلي ونضجه فى كل النواحي .

يقول فى هذا العدد مقداد يالجين فى كتابه "جوانب التربية الإسلامية

" وتمتاز هذه المرحلة بأن الطفل يزداد نموًا من الناحية الجسمية والنفسية والعقلية أكثر من المرحلة السابقة ، ويستطيع أن يتعلم أشياء كثيرة كما يستطيع أن يقوم ببعض الاعمال والواجبات والمسئوليات . ولهذا كانت هذه المرحلة أول مرحلة تربوية تعليمية . " ص ٥٩ .

وبجانب طريقة التلقين يجب على الوالدين أن يستخدما فى تلك المرحلة طريقة المحاكاة والتقليد كأسلوب تربوى لغرس أركان الدين فى قلوب أبنائهم ، لأن هذه المرحلة مرحلة التعويد .

يقول الإمام الغزالي رحمه الله فى الإحياء ( ) :

" الصبيّ أمانة عند والديه، وقلبه الطّاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كلّ نقش وصورة ، وهو قابل لكل نقش ، ومائل إلى كل مايمال إليه ، فإن عوّد الخير وعُلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلّم له ومؤدّب . وإن عود الشّر وأُهمل إهمال البهائم شقى، وهلك وكان الوزر فى رقبة القيّم عليه والوالي له ، وقد قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾
(التحريم / ٦)،(ج ٣ ص ٦٩)

إن التعويد على الخير والأعمال الحسنة المرغوبة، ضرورية لصلاح الطّفل واستقامته في الدنيا والآخرة، وإذا عودناه على هذا يصبح ذلك عادة عنده طول عمره، ولايشعر بالمشقة أثناء عمله ، لأنه تعدد عليه منذ صغره .

وتعتبر هذه المرحلة مرحلة مقدّمة لمرحلة البلوغ الّتى تكلّف فيها الطّفل بالعبادات والمسئوليات الدينية المختلفة ، ولابد من تعويده وتدريبه قبل أن يصل سنّ التكليف الشرعي ، وذلك يساعده على ممارسة التكاليف الشّرعيّة فى سهولة ويسر وبدون أن يشعر بمشقة، ولذلك آمر النّبى صلى الله عليه وسلم بتعويد الناشئين على الصلاة وهم أبناء سبع سنين والضرب عليهم -اذا قصروا فى أدائها أو تهاونوا فيها - وهم أبناء عشر .

روى أبو داود فى سننه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مروا أولادكم بالصلاة

وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع)(كتاب الصلاة رقم ٤٩٥ ، حديث حسن).

ولاشك أن الطفل إذا تعوّد على الصلاة وقام بها منذ نعومة أظفاره ، فان آثارها ستنعكس على حياته في المستقبل ، ويتربى كذلك على طاعة الله تعالى وتربية نفسه وروحه وخلقه وجسمه .

فالناشىء حين يرى والده يصلّي فإنه يحاكيه في صلاته ويقلده حتى قبل أن يدرك حقيقة الصّلاة ، فإذا ماشب وترعرع وأدرك معنى الصّلاة ، وقد أصبحت جزءًا من حياته وسلوكه فإنه يؤديها عن اقتناع وإيمان .

ولذلك يجب على الوالدين أن يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم في التربية والتعليم خاصة في المسائل الإيمانية وتعليم العبادات وغرس الأخلاق الحسنة ، وطريقة أخرى لغرس الايمان في قلوب الناشئة في هذه المرحلة-مرحلة التمييز والادراك ـ هي طريقة التأمّل والتفكّر والتدبّر في مخلوقات اللّه تعالى وأما الأسلوب في هذه العملية كما يقول عبد الله ناصح علوان في كتاب تربية الأولاد في الإسلام (١٤٠١ هـ) هي التدرّج مع الاولاد من المحسوس إلى المعقول ومن الجزئي إلى الكلّي ، ومن البسيط إلى المركّب حتى يعلوا معهم في نهاية الشوط إلى قضيّة الإيمان عن اقتناع وحجّة وبرهان "(ج ١ ص ١٥٥) .

وهذه الطريقة في الوصول إلى الحقيقة طريقة القرآن الكريم وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم ، والآيات القرآنية كثيرة في ذلك لاتعدّ ولا تحصى. ولاشك إن هذه العملية تقتضي من الوالدين أن يكونا صاحبا معرفة وخبرة عن مدارك أبنائهم والفروق الفردية بينهم وعن نضجهم العقلي والجسمي ..... وأن يتدرّجوا في هذه العمليّة التي تطلب الدّقّة في الأسلوب والتعبير والتصوير، كما يجب على الوالدين أن يستخدموا في تلك العمليّة أنواعا مختلفة من الأدلة للإقناع بأسلوب مناسب .

ويجدر بنا في هذا المقام أن نذكر أن هذه المرحلة من عمر الطفل مرحلة تعليمية مرحلة الابتدائية والمتوسطة ، ولابد من وجود التعاون والتنسيق

بين الأسرة والمدرسة لغرس هذه المفاهيم فى نفوس الناشئة ، وأما دور المدرسة فى هذه العملية فسوف نفرد له دراسة تفصيلية إن شاء الله تعالى .

ونخلص مما سبق أن واجب الوالدين لغرس العقيدة الاسلامية والإيمان تنحصر فيما يلى :

١ ـ تلقين الولد بأصول الايمان ومبادىء الشريعة الاسلامية منذ نعومة أظفاره .

٢ ـ أن يكونوا قدوة حسنة لأبناءهم فى هذه العملية ذات الحساسية والقيمة.

٣ ـ إرشادهم عن طريق التأمل والتفكر والتدبر في مخلوقات الله تعالى فى هذا الكون العجيب .

ولاشك أن واجب الوالدين إزاء تربية أبناءهم لاينتهى عند مرحلة ، ولا عند سن معين ، وإنما يدوم طوال حياتهم ، وإنما ركزنا فى هذه الفقرة من دراستنا على المرحلة الطفولة ، لأن البيت كما قلنا هو المؤثر الأول فى التربية ، لقضاء الأطفال أطول فترة من طفولته فيه ، وبحكم أن البيت هو أول من يقوم بتربية الطفل ويؤثر فى عقيدته وسلوكه وتشكيله .

وبهذا يتبين أن ترسيخ عقيدة الاسلامية فى نفوس الناشئة منذ صغرهم من قبل آباءهم هو الاصل والأساس ، وأن هذه التربية لابد من أن تتحقق فى النفوس وتستقر ، وإلا فلا يتوقع من المرء أن يضحى أى شىء فى سبيلها .

والجهاد فى الاسلام شرع لأجل العقيدة وحفظها ، وبالعقيدة والإيمان يأت النصر ويثبت الأقدام .

٢ ـ تحلية نفوس الأولاد بالأخلاق الحسنة :

إن الاسلام قائم على أسس أخلاقية ، والأخلاق وثيقة الصلة بالإيمان ، بل هى ثمرة الإيمان والعقيدة الصحيحة . والاخلاق تشمل جميع تصرفات الإنسان ، وكل مشاعره وكل تفكيره ، فهى ليست محدودة بمساحة معينة ولابعمل معين ، ولايوجد فى الاسلام عمل واحد يخرج عن دائرة الأخلاق . العبادات لها أخلاق والمعاملات لها أخلاق ، والعقوبات لها أخلاق ، وكل شئ له أخلاق والقرآن الكريم كثيرا مايندد بالأخلاق الجاهلية منذ أول نزوله إلى نهايته مع التنديد بفساد عقائدهم وبطلان تصوراتهم ، وفى ذلك دلالة واضحة على مدى أهمية الأخلاق فى الدين الاسلامى ، وتعمقه إلى الجذور العقدية ذاتها ، وارتباط التصور الاعتقادى بالسلوك الأخلاقى ارتباطا وثيقا فى جميع تصرفات المرء وفى شتى مناحي الحياة .

ويقول فى ذلك الدكتور عبد الفتاح عاشور فى كتابه "منهج القرآن فى تربية المجتمع" (١٣٩٩ هـ) :

" ومما يؤكد الصلة الوثيقة بين الأخلاق والعقيدة آيات الكتاب الكريم التى ربطت بين الايمان والعمل هذا الرباط المحكم وجعلت الفعل الصادر عن الإيمان إنفعالا للنفس بما ينبغى أن يكون فيفعل وبما لا ينبغى أن يكون فيترك، فاصبحت تصرفات المسلم راسخة متشعبة الجذور محكومة بأخلاق إلهية سامية وأصبح الإيمان والإسلام أخوين لاينفصلان، وكلاهما يعطي صورة الاخلاق القوية لمجتمع الإسلام) .(ص ١٨٣) .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن القرآن الكريم لم يقتصر فى منهجه على تنديد العقيدة الجاهلية وعاداتها وتقاليدها فقط ، وإنما أبرز بعناية فائقة ذلك الجانب السلوكي الأخلاقى الصحيح والناتج عن العقيدة الإسلامية الصحيحة وثمرتها فى الجانب العملي التطبيقى . ودعا بكل الوسائل والطرق

إلى ترسيخ الأخلاق الكريمة والحسنة فى نفوس المؤمنين .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة ومثلا يحتذى به فى ذلك، إذ مدحه القرآن الكريم على عظيم خُلقه وكمال آدبه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(سورة القلم / ٤). وكان صلى الله عليه وسلم فى الذروة من الخُلق والأدب ، كما كان تجسيدا حيّا للخلق الاسلامي والأدب الربّانى النبيل . ولقد ضرب أروع الأمثلة فى الخلق الحسن والتحلى بالأخلاق الفاضلة الكريمة .

وكان الصحابة الكرام رضى الله عنهم جميعا يتخلّقون بآخلاق القرآن ويتآسون بآخلاق نبيهم وامامهم محمد صلى الله عليه وسلم وأدبه وفضائله ، وكانوا يتّبعونه، ويقتدون به فى كل معاملاتهم وأمورهم حتى أصبحوا نماذج يحتذى بهم، وأئمة يقتدى بهم فى إيمانهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وفى كل شئون حياتهم .

وخلاصة القول أن الاخلاق وثيقة الصلة بالإيمان ولذلك اهتم الإسلام اهتماما بالغا لغرس التربية الأخلاقية فى نفوس المسلمين بعد غرس العقيدة الإسلامية فى قلوبهم،بل معًا ، ومن هنا يظهر بوضوح ضرورة غرس الأخلاق فى نفوس الاولاد من قبل آبائهم وأمهاتهم فى مرحلة الطّفولة الّتى تتميز بالفطرية والصّفاء وسرعة التلقّي والإستجابة ، ولاشك أن الوالدين إذا غرسوا الأخلاق الحسنة والآداب الجميلة فى نفوس أبناءهم منذ الصّغر ، فتصبح تلك الأخلاق والآداب طبيعة من طبائع الطّفل وسجيّة من سجاياه .

ولاشك أن غرس الأخلاق فى نفوس الأطفال آسهل بكثير من غرسها فى نفوس الكبار الّذين تلبسوا بالأخلاق السيّئة الّتى تعودوا عليها طبعًا وسجيّة ، بحيث أن نفوس الأطفال صافية ، نقية ، خالية من كل نقش .

ولذا فإن من واجب الأبوين أن يلقّنوا أولادهم منذ نعومة أظفارهم الأخلاق الحسنة من الصّدق والاخلاص والأمانة ، والإستقامة ، والإيثار والتضحية والاحترام للآخرين والمحبّة للاخرين والإحسان إلى الصّديق والجار والفقير .. الخ من الأخلاق الفاضلة الكريمة . ولاشك أن الطفل سيتعوّد على ذلك فى أولى مراحل حياته ويتشرب تلك القيم منذ صغره .

إن مجرد التلقين لايثمروحده ، فلابد من وجود مثال حي يجسد تلك المعاني والقيم عمليًا ، فالوالدن هما القدوة والمثال في نظر الطفل ، فإنه يقلّدهم ويحاكيهم ويقتدي بسلوكهم ، فلا بد أن يكونوا قدوة حسنة لأبناءهم بخلقهم وسلوكهم وإلا فلا يتوقع من الطفل التخلق بخلق حسن مهما وعظته أو لقّنته .

ويقول في ذلك محمد قطب في " منهج التربية الاسلامية " (١٤٠٤هـ) :

" وحين توجد القدوة الحسنة متمثلة في الأب المسلم والأم ذات الدين فإن كثيرا من الجهد الذي يبذل في تنشئة الطفل على الاسلام يكون جهدا ميسرا وقريب الثمرة في ذات الوقت . لأن الطفل يستشرب القيم الإسلامية من الجو المحيط به تشربا تلقائيا، وستكون تصرفات الأب والأم أمامه في مختلف المواقف ، مع بعضها البعض ومع الآخرين نماذج يحتذبها ويتصرف على منوالها "(ج ٢ ، ص ١١٩) .

والجدير بالذكر أن مجرد التلقين والقدوة دون المراقبة والمتابعة قد يؤدي إلى نتائج غير مرغوبة في الغالب ، فلابد للوالدين أن يراقبوا أولادهم، ويلاحظوا سلوكهم لمعرفة مدى تطابق أقوالهم مع أعمالهم ، وللأطلاع على مسيرة الأبناء الخلقيّة .

ومن الأساليب التربية النّبوية لغرس الأخلاق في نفوس الناشئة الممارسة والعمل، وتعتبر هذه الطريقة طريقة مباشرة في التربية والتعليم لتصحيح الأخطاء وتقويم المعوج ولتعديل السلوك الخاطئ إلى السلوك القويم الصّحيح .

ولقد ورد في حديث متفق عليه عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال : كنت غلاما في حجررسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت يدى تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (ياغلام ، سمّ الله تعالىٰ وكل بيمينك ، وكل ممّا يليك) فمازالت طعمتي بعد . "(البخاري : كتاب الاطعمة رقم ٥٠٦١ ، مسلم : كتاب الاشربة رقم ٢٠٢٢) .

وهذا إرشاد عملي من النبى صلى الله عليه وسلم للغلام فى آداب الطعام، إذ علمه آداب الأكل والشرب من البسملة والأكل بيمينه ومما يليه ، ولا شك إن الطفل تأثر من ذلك تأثرا بالغا استقر فى صميم قلبه ورسوخ نفسه ، وصارت هذه الآداب النبوية الشريفة عادة عنده كما قال : (فما زالت طعمتي بعد) .

فالواجب على الوالدين ملاحظة سلوك أولادهم فإذا وجدوا فيهم الإنحراف فعليهم تصحيحه وتقويمه بسلوك عملى ملحوظ ، وإلا يتعود الأولاد على السلوك الخاطىء ومن ثم يصعب تعديله وتحويله إلى سلوك حسن .

وأود أن أشير فى هذا المقام إلى ضرورة تلقين الاولاد الآيات القرآنية المتعلقة بالأخلاق الاسلامية والأحاديث الشريفة التى توجه المؤمنين إلى مكارم الأخلاق وأحسن الآداب وأجمل الخصال . ولاشك أن هذا التلقين سيؤثر فى نفوسهم ويمنحهم القدرة على معرفة الحسن والقبيح من الأقوال والأعمال

ويجب أن لايغيب من أذهان الوالدين أن يقدموا لأبناءهم نماذج وصور أخلاقية وأدبية من حياة الصالحين فى التاريخ الاسلامى المجيد ، وذلك لتقوية عنصر المحاكاة والإقتداء والتأسي بالذين أصبحوا رمزا وعلما فى الصدق والأمانة والإستقامة والوفاء بالعهد الخ ... من الأخلاق الحميدة والخصال الجميلة . ويجب علينا أن لاننسى دور صحبة الأقران فى هذه العملية الخطيرة ، بحيث ان المرء يتخلق بخلق صاحبه ويتأثر منه تأثيرا ايجابيا أو سلبيا على حسب مقاومته أو ذوبانه أو متانته فى أخلاقه وثقافته الدينية والاجتماعية. فلابد للوالدين أن يختاروا لأبنائهم أصدقاء أخيار يرشدهم إلى الخير والاستقامة .

كما يجب عليهم أن يجنبوهم عن صحبة الأشرار وقرناء السوء فى كل مرحلة من مراحل عمر الطفل حتى لايتأثروا من أخلاقهم السيئة وانحرافاتهم الضالة ويكتسبوا من عاداتهم وتقاليدهم التدنيئة .

وخلاصة القول أن من واجب الأبوين أن يغرسوا فى نفوس أولادهم الأخلاق الحسنة والآداب الرفيعة وذلك لتربية نفوسهم وتهذيب سلوكهم وتصرفاتهم

حتى ينشئوا النشأة الصالحة التى تؤهلهم للقيام بأعباء الدعوة الإسلامية والتضحية بالنفس والمال فى سبيلها ، كما سبق وأن أشرنا إلى ضرورة تربية النفس وذلك تحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل لتبقى آمنة مطمئنة تدفع صاحبه إلى الصبر وتحمل الأذى والفداء والشجاعة الخ . من الصفات التى يتطلبها الجهاد فى سبيل الله تعالى .

وبذلك تبينت أهمية التربية الأخلاقية فى تنشئة الأولاد وخاصة فى مرحلة الطفولة التى يكتسب فيها الطفل العادات والتقاليد والسلوك والاتجاهات فى رعاية وتربية والديه وأسرته .

والجدير بالذكر أن الأخلاق وثيقة الصلة بالحلال والحرام فى الإسلام ، وهى تمنع صاحبها من اقتراف الجرائم والإتيان بالمحرمات ، كما تدفعه إلى الأخذ بالحلال والاقتصاد فيه ، ولذلك وجب على الآباء والأمهات أن يعرفوا أولادهم أحكام الحلال والحرام فى الإسلام حتى يتعودوا على ذلك وهم صغار لم يبلغوا مرحلة التكليف ، ولاشك عندما بلغوا سن التكليف يكلفون بأحكام الإسلام كلها ،

وفى الختام أحب أن أقول أن الجهاد بكل مافى الكلمة من معنى يحمل فى طياته أخلاقا وآدابا لابدمن مراعاتها وتطبيعها . أن الجهاد النفس له اخلاق وآداب ، جهاد الكفار له أخلاق وآداب ، ولا جهاد بدون أخلاق وأداب .

روى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن سليمان بن بريدة عن ابيه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : اغزوا باسم الله فى سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولاتغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ..) (كتاب الجهاد والسير: رقم ١٧٣١) .

ولقد جمع النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث بعض أخلاقيات الجهاد فى سبيل الله وهى التقوى والإخلاص فى العمل وعدم الغلول ونقض العهود والتمثيل وقتل الذرية . وما أسمى هذه الآداب . وما أرفع ! ولا نجدها إطلاقا

فى الوقت الحاضر فى القاموس العسكري لدى الشعوب الأخرى .

وتبين مما سبق أن الأخلاق تشمل تصرفات الانسان كلها ، ومن ضمنها الجهاد فى سبيل الله بكل أنواعه وأشكاله ، ولأجل ذلك لابد من تربية الأولاد تربية اخلاقية يوءهلهم للقيام بمهمتهم فى مسيرة الحركة الجهادية فى حياتهم المستقبلية .

٣ ـ تربية الأولاد على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة ولاة الأمر فى المعروف .

إن الطاعة هى الامتثال بالأوامر والاجتناب عن النواهي سواء كان فى حقّ الله تبارك وتعالى أو فى حقّ النبى صلى الله عليه وسلم دليل الإيمان الصّادق وأمارة العقيدة الراسخة. ولاشك أن الحب دليل الطّاعة والإنقياد والإستسلام .

ولقد حض الله سبحانه وتعالى عباده الموءمنين على طاعته وطاعة رسوله فى آيات كثيرة . ومنها قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُوءمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(سورة النساء / ٥٩). فناداهم الله تعالى بصفة الإيمان الّتى يقتضى الطاعة وأمرهم بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم مطلقا ، وكما أمرهم بطاعة ولاة الامر، ولكن هذا مقيّد بشرط وهو أن يكون طاعتهم فى المعروف. وجاء فى حديث متفق عليه عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (على المرء المسلم السّمع والطّاعة فيما أحبّ وكره إلا أن يوءمر بمعصية فان أمر بمعصية فلا سمْع ولا طاعة)(البخارى: كتاب الأحكام، رقم ٦٧٢٥ ، مسلم : كتاب الامارة، رقم ١٨٣٩).

إن مفاد هذا الحديث الشريف أن المسلم مكلّف بطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مطلقا فى كل حال ، فيما أحب وكره فى العسر واليسر . وأما طاعة الآخرين واجبة فى المعروف وفى غير معصية

الله تعالى ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة لان طاعة الغير فى المعصية تنافى طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ٠

ولقد حث النبى صلى الله عليه وسلم على تربية أصحابه وأمّته على طاعة أمرائه – سواء كانت فى حياته أو بعده – وجعل طاعة أمرائه وعمّاله من طاعته ، ومعصيتهم من معصيته ، ولاشك أن معصية الرّسول هى معصية الله تعالى ٠

كما جاء فى حديث متفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن يعصيني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى) ٠
(البخارى : كتاب الجهاد رقم ٧١٣٧ ،ومسلم : كتاب الامارة رقم١٨٣٥)

ولقد استجاب الصحابة رضى الله عنهم لهذه الأوامر الصّادرة وامتثلوا فى الطّاعة ولم يصلوا إلى ماوصلوا من النّصر والتمكن إلا بإيمانهم الصّادق وطاعتهم الكاملة وانقيادهم التّامة،وأصبحوا نماذج فى السمع والطاعة وقدموا أروع الأمثلة فى ذلك ٠

ولاشك أن الطاعة لاتتحقق ولاتجني ثمرة إلا بالمحبّة ؛ المحبّة الّتى استقرت فى النفوس وتيقّنت فى الصدور وترسخت فى أعماق القلوب.والمحبة هى الّتى تدفع الفرد إلى طاعة محبوبه ، وإذا انعدمت المحبة ، إنعدمت الطاعة ،ولذلك كانت محبة الصحابة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم كانت فى القمّة ،وكان رسولهم أول شئ فى حياتهم ، وأغلى من كل شئ فى الوجود ، كما كان صلى الله عليه وسلم أحب اليهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم وأموالهم ٠

وكان حب الصحابة رضى الله عنهم لايقتصر على محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقط ، انما كانوايتحابّون فيما بينهم تلك المحبّة الّتى لم يشهدها التاريخ مثلها ، ولن يشهد إلى الأبد ٠ فما كانت هذه

إلا نتيجة الإيمان الصادق والعقيدة الراسخة التى استقرت فى نفوس هذا الجيل المثالى الفريد ٠

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يغرس محبة الله تعالى ومحبة نبيه فى نفوس من أسلم من أصحابه، وكما كان يرشدهم إلى مايتم به إيمانهم ويكمل به دينهم وهو حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ٠

ولقد حرص الصحابة رضى الله عنهم على غرس هذا الحب فى نفوس أبنائهم كما غرس رسولهم فى نفوسهم ، لأنهم ذاقوا حلاوة الايمان وطلاقة القرآن ٠ وأولماينبغى على الوالد فعله بعد تلقين الشهادة أن يعود طفله على طاعة الله تعالى ومحبته ، وأن يغرس فى نفسه حب الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته وأن يقدم حبهما فى نفسه على كل شئ، وذلك ببيان أن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبتهما واجب ، وأنها من الإيمان والعقيدة، ومن مدلولات كلمة الشهادة ، ولايتم إيمان المرء إلا بها ٠

ولاشك إذا تعمق حب أحد فى نفس الطفل وتأصل فى قلبه، فان ذلك الحب سيدفعه فى المستقبل إلى قبول كل مايأتى من محبوبه، ويكره نفسه مخالفته وعصيانه ، ويطيعه فى كل شئ دون النظر إلى أية أعتبار ٠ ان الحب يعمى ويصم كما جاء فى المثل ، وهذا فى الحب عامة ٠

وأما محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم مربوطة بالإيمان والعقيدة والدين ، وانها وثيقة الصلة بالإسلام ، وأنها واجبة على كل مسلم وهى فوق كل اعتبار ، فيجب على الوالدين أن ينتبهوا إلى أهميتها وتقدروا عظيم قدرها ، و من ثم غرسها فى نفوس أولادهم بطرق محببة إلى النفوس، فلابد من اقتران غرس الإيمان بغرس المحبة فى نفوس الأولاد إذ لايمكن الإنفصال بينهما ولو تدريجيا ٠

إذا يجب على الأبوين أولاً : أن يغرسوا هذه المحبة بكل مافي الكلمة من معنى ، كما ينبغي لجلال الله عز وجل وعظيم سلطانه بقدر الطاقة والإستطاعة وكما ينبغى لمكانة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع تقديرهم وإجلالهم وتمجيدهم ٠

وثانيا : تربية أولادهم على الطاعة • ولقد رأينا كيف كان النبى صلى الله عليه وسلم يوجه أوامره إلى الآباء بقوله الشريف : (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين) ولاشك أن الصلاة وباقي العبادات من الطاعة، ولم يأمر النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الطاعة إلا فى مرحلة معينة ؛ مرحلة بلوغ الطفل سبع سنين •

ونستنتج من هذا الأمر النبوي الكريم أن غرس الايمان وغرس محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم تتقدم على غرس الطاعة هذه من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن الايمان والمحبة يدفع المؤمن إلى الطاعة - كما قلنا - وصدق من قال :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري فى القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وثالثا : يجب على الآباء أثناء هذه العملية أن يشرحوا لأولادهم الآيات والأحاديث المتعلقة بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعتهما وأن يذكروا لهم صورا مثالية عن الصحابة والتابعين والسلف الصالح رضى الله عنهم جميعا لتقوية عنصر المحاكاة والاقتداء لدى الطفل •

وأقول أخيرا أن الطفل الذى نشأ على هذه المحبة والطاعة، وعلى هذه الروح لابد ستنعكس آثارها على سلوكه فى حياته ، سيطيع الله تعالى ورسوله فى السر والعلن وفى العسر واليسر و سيطيع أمراءه فى غير معصية الله تعالى • ولايطيع أحدا إلا فى المعروف ، وكما سيوقر كبيره ويرحم صغيره ، ويكون بارا بوالديه ووفيا بأصحابه ، وسيعطى كل ذي حق حقه فى المحبة والطاعة •

وفى جهاد النفس يرفض طاعة نفسه وشيطانه ، ويطيع الله ربه الذى أمره بطاعته ونهى عن عصيانه ومخالفة أمره •

٤ ـ تربية الناشئين على الوحدة والإتفاق وعدم التفرق والاختلاف :

ان الاسلام دين الوحدة والاتفاق ولذلك أمر بها فى كل الملابسات وفى كل المناسبات لما فيها من الفوائد العظيمة والمصالح الجمة للفرد المسلم والجماعة المسلمة . ولقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإعتصام بحبله المتين ، ونهاهم عن التفرق والاختلاف ، حيث قال جل شأنه : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (سورة آل عمران / ١٠٣) .

إن حبل الله هو القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأن التمسك بهما جميعا هو سر الوحدة والإتحاد ، وكما تركهما كليا أو جزئيا سبب الاختلاف والتمزق والتباغض بين الأفراد والجماعات .

ولقد وهب الله تعالى لهذه الأمة المحمدية قواعد وأصول لوحدتهم وجمع كلمتهم وجعلها ثوابت ، وإذا ما تمسكت بهذه القواعد والأصول بصدق وإخلاص توحدت وقويت إن شاء الله تعالى :

وهذه القواعد والأصول هى :

١ ـ وحدة العقيدة .

٢ ـ وحدة الهدف .

٣ ـ وحدة المصير .

إن وحدة العقيدة هى الأصل الأول لتحقيق الوحدة بين الأفراد والجماعات وفى نطاق الأمة . إن كلمة " لا اله إلا الله " تجمع المسلمين تحت رايتها مهما اختلفت اجناسهم وتباعدت ديارهم وتعددت لغاتهم لتحقيق العبودية لله تعالى على مستوى الأفراد والجماعات وعلى مستوى الأمم والشعوب ، أن هذا هو الهدف من خلق العباد وإنزال الكتب وبعثه الرسل والقيام بالدعوة والجهاد .

ولقد بين الله تعالى فى كتابه الكريم أن الأخوة الإيمانية هى أعظم أركان الوحدة فهى أقوى من أخوة النسب وأية أخوة أخرى لاتقوم على أساس العقيدة والدين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات / ١٠) . ولأجل الأخوة الإيمانية أمر الله تعالى بالإصلاح بين الاخوان إذا ظهر بينهم الشقاق والخصومة ، لأن الخلاف والتفرقة ينافى الأخوة الدينية ويؤدي إلى ضياع الهيبة وضعف الشوكة فى الصف المسلم .

ولذلك أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الأخذ بكل أسباب القوة والخير ، والوحدة والأخوة والإتحاد ، كما نهاهم عن أسباب التمزق والخلاف وسد عليهم كل أبواب الشر والفساد وغلق عليهم كل منافذ العدوان . ولقد شبه النبى صلى الله عليه وسلم المؤمنين بجسد واحد فى المحبة والرحمة والعطف . روى مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(كتاب البر والصلة ، رقم ٢٥٨٦) .

وفى مكان آخر شبههم بالبنيان يشد بعضه بعضا ، للدلالة على أن المسلمين تجمعهم عقيدة واحدة ، وهدف واحد ومنهج واحد ومصير واحد ، فلابد للمؤمنين أن يضعوا هذا نصب أعينهم . وأن يحققوا هذه الوحدة بتمسك أسباب القوة والعزة وبتجنب أسباب الضعف والمسكنة والتى تؤدى فى نهاية المطاف إلى التفرقة والاختلاف . فالواجب على جميع المسلمين السعى التام لتحقيق الأخوة الإيمانية والرابطة الدينية التى هى من اكبر الدعائم الألفة والمحبة والوحدة . بل الركن الاساسي لتحقيقها ، والحجر الأساس لتأمينها .

ولقد تبين مما سبق أن من أكبر واجبات الابوين أن يربوا أولادهم على الوحدة والاتفاق ويجنبهم عن التفرقة والإختلافات ولذلك عليهم مراعاة الآتى :

١ ـ أن يغرسوا فى قلوبهم أسمى معانى الألفة والمحبة والمودة والأخوة لان حرمان الطفل من هذه الخصال يؤدى الي القسوة والغلظة والشعور بالنقص ومن ثم الإنكماش والإنطوائية والإنعزالية التى تنافى روح الوحدة والاتفاق .

٢ ـ تفهيم الناشىء أسباب القوة والوحدة والتوحيد بأمثلة مقربة للأذهان وبأمثلة حية من المحيط الذى يحيط بالطفل ومن البيئة التى يعيش فيها الأسرة ، وكما يجب عليهم تفهيم الطفل أسباب الضعف والاختلاف بضرب الامثلة من الواقع الحالي عن المجتمع الاسلامي ٠

٣ ـ ان يعمقوا فى قلوب الأطفال روح التعاون والتساند وحب المشاركة الجماعية وذلك بتعويدهم على الاختلاط بالجماعة ؛ جماعة الأقران والأصدقاء مجالس العلم والعلماء والأعمال الخيرية والانسانية، ليتعرف الطفل على نفسه ومشكلاته وعلى أقرانه ومشكلاتهم ، ومن ثم مشكلات المجتمع ، والقضايا الإجتماعية ٠ ولا شك أن هذه المشاركة ستحرك مشاعر الطفل ورغباته نحو الإهتمام لحل مشاكله ومشاكل الآخرين والإهتمام بأمورهم ، وبذلك يتكون لديه القدرة والإستعداد على الغمل الجماعى والمسئولية الجماعية ، ويتخلص من الانانية وحب الذات ٠

٤ ـ العمل على تنمية الروح الجماعية لدى الطفل والتفكير الجماعي والعمل الجماعى فى كل مناسبة من المناسبات ٠ ومن المعلوم لدى الجميع أن كل شعائر الاسلام يقوى هذه الروح وتنميها فى صورة عملية سلوكية ٠ والمثال على ذلك الصلاة مع الجماعة تقوى لدى الطفل هذه الروح وتنميها فى كل يوم خمس مرات ، وكذلك صلاة الجمعة والعيدين وكذلك باقي العبادات من: صوم وزكاة وحج ، وكذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد فى سبيل الله تعالى ، كلها ترمى الى تهذيب الروح الجماعية لدى الفرد ٠

إن الطفل حين ينشأ على هذه الروح فلابد ستنعكس آثارها على فكره وشعوره وعمله وسلوكه أثناء تعامله مع الآخرين سواء كانت فى أسرته أو مجال عمله ، يسعى دائما إلى تحقيق الوحدة والأخوة فى كل مكان ويبذل فى ذلك قصارى جهده وطاقته وامكاناته المادية منها والمعنوية يتقدم بالنصح والارشاد لإخوانه وأصحابه بروح إيجابية نافعة يعتز بوحدة أمته ويحزن على تمزقها واختلافها ويبحث عن أسباب وحدتها وحل قضاياها ٠

وفى ميدان المعركة يحافظ على وحدة الصف المسلم وتماسكه وترابطه وتآلفه، ويتجنب من الأقوال والأعمال التى تميت هذه الروح وتضعفها، ويتقدم بالرأى والمشورة إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، ولايلتفت إلى الاشاعات والأكاذيب التى يشيعها أهل الغيرة والنفاق والحاقدين للاسلام وأهله، والحاسدين لنصرة

المؤمنين . ولا يفر عند الزحف . يسمع الى أوامر قائده ويطيعه ولا يعصيه في المعروف .

هـ- تربية الناشئين على تحمل المسئولية ، الفردية والجماعية :

ان الله تعالى لم يخلق الخلق عبثا ، فان العبث على الله محال ، وانما خلقهم للغاية العليا والهدف الأعلى ألا وهو تحقيق العبودية لله عز وجل. ولذلك كلف الله تعالى الانسان بتكاليف شاقة ومسئوليات عظمى لابد من أدائها على أكمل وجه .

والمسئولية لها أبعاد متعددة ومجالات مختلفة وهي تعني الالتزام : التزام الفرد بواجبه في الحياة نحو نفسه وأهله وجماعته وأمته. وكل بني آدم لم ينج أحد من هذا الواجب مهما كان وحيثما كان . كل على حسب موقعه أو عمله .

ولقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا الواجب في كلمة جامعة شاملة وهي : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته). وهذه قاعدة أساسية في توزيع الوظائف والاختصاصات ، تحدد وظيفة كل فرد في المجتمع على حسب طاقته ووسعه ، إنها وظيفة تترتب عليها الثواب والعقاب يسئل عنها صاحبها يوم يقوم الأشهاد أحفظ أم ضيع ، إنها أمانة على عنق الأفراد .

إن الصحابة الكرام لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من النصر والتمكين إلا بتحمل كل واحد منهم المسئوليته الملقاة على عاتقه في ذلك المجتمع الجديد الذي بدأ تكوينه ونشأته في مكة المكرمة على يد مؤسسه وإمامه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقد أدت كل واحد من هؤلاء الأبطال رسالته وواجبه في هذا الحقل خير أداء ، أن كل واحد منهم لما أسلم وأقر بالشهادة أمام النبي صلى الله عليه وسلم اعتبر نفسه جنديا من جنود الاسلام وبطلا من أبطال الايمان ، يخرج من عند مرشده صلى الله عليه وسلم مملوء بالحماسة الدينية والشحنة الإيمانية يندفع بسرعة إلى تنفيذ مقتضيات مسئوليته ومستلزمات دينه ويصبح صاحب دعوة ورسالة بمجرد قبوله للاسلام دينا وبالقرآن إماما وبالنبي صلى الله عليه وسلم رسولا

ونبيًّا . لو لم يكن هؤلاء الأخيار أصحاب رسالة ودعوة ، ولم يستشعروا بالمسئولية لما انتشرت الدعوة فى وقت وجيز من الزمان إلى العالم .

والرسول صلى الله عليه وسلم ماكان يترك من أسلم من أصحابه دون أن يكلفه بالمسئولية - بعد أن يلقنه كلمة الشهادة - بل كان يأمره وينهاه ويكلفه بتكاليف عديدة، لأن مجرد الدخول فى الإسلام هو الاستسلام الكامل .

ولقد روى ابن اسحق فى السيرة عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال : (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى على أن لانشرك بالله شيئا ، ولانسرق ولانزنى ، ولانقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولانعصيه فى معروف)(جـ ٢ ص ٨١) .

إن النبى صلى الله عليه وسلم حملهم ببعض المسئوليات لينصبغ سلوكهم بالصبغة الاسلامية عن طريق التمسك بأخلاقه ونظمه وعامة مبادئه . ولقد استشعر هؤلاء المؤمنون بمسئوليتهم هذه وغيروا سلوكهم وعاداتهم التى تخالف هذه الأوامر والتوجيهات النبوية وأصبحوا نماذج فى قومهم إذا رجعوا إليهم يدعونهم إلى دين الله تعالى فى كل الظروف والمناسبات حتى فشى أمر الاسلام فى المدينة المنورة وأسلم الكثيرون على أيديهم ، وماذلك إلابسبب تمسكهم بعقيدتهم باتباعهم لأوامر نبيهم واستشعارهم بمسئوليتهم .

ولاشك أن أكبر المسئوليات هى مسئولية الدعوة الاسلامية وذلك بنشرها والجهاد فى سبيلها وبذل الجهود والطاقات فى توطيد أركانها ومبادئها . وتلك مسئولية عامة المؤمنين وكافة المسلمين رجالا ونساء ، شبابا وكهولا فى العسر واليسر فى المنشط والمكره فى كل زمان وفى كل مكان فى جميع الظروف وفى شتى المناسبات .

ومن هنا لقد تبينت أهمية غرس هذه الروح روح الإستشعار بالمسئولية فى نفوس الأولاد من قبل آباءهم وأسرتهم ومن يلى بتربيتهم وتنشئتهم منذ السنوات الاولى من عمرهم . وإذا تعود الطفل على هذه المسئولية منذ أن يعقل يقوم بها على أحسن الوجه عندما يكبر دون أن يعتر يه ضعف أو يناله

عجز أو تقصير ، ولايشق عليه تحمل هذه الواجبات طول عمره، لأنه تعـــود عليه فى صغره وأصبح عنده عادة سلوكية طبعا وسجية . ولتنمية هذه الـــروح لدى الناشئين فعلى الأبوين مراعاة مايلى :

أولا : تعويدهم منذ الصغر على تحمل بعض المسئوليات فى البيت ، مثل الحفاظ على حقائبهم المدرسية وكتبهم الدراسية ، والأدوات المنزلية ، وعلى نقودهم وعلى ملابسهم ، وهكذا حتى يتدربوا على تحمل الواجب وهم صغار .

ثانيا : تعويدهم على ممارسة بعض الأعمال التى تناسب فطرتهم وخلقهـــم مثل: تعليم البنت الخياطة والطبخ وتدبير المنزل ورعاية الاطفال .. الـــخ من الأعمال التى تساعد على نمو البنت نفسيا واجتماعيا وفكريا وثقافيـــا وكتعليم البنين بعض الممارسات البيع والشراء والتصرف فى النفقات .

ولاشك أن تطبيق هذه الممارسات ينمى فى نفوس البنات روح الأنوثـــة وفى نفوس البنين روح الرجولة .

ثالثا : عدم تلبية جميع طلباتهم والعناية بأمورهم عناية فائقـــة زيادة عن الحاجة، ومن الأخطاء الكبيرة التى يقع فيها الكثير من الآبـــاء والأمهات عن جهل وعن غير قصد الإفراط فى تدليل الاطفال والشغف بهم والتلهف عليهم وتلبية جميع طلباتهم وحاجاتهم. وإذا نشأ الطفل فى هذا الجو الأسرى الذى يحيطه بالعناية والرعاية الكاملة وتلبية جميع احتياجاته ويحل لـــه جميع مشاكله فإنه يعتاد على ذلك، ويتوقع نفس المعاملة فى جميع الأماكن التى يذهب إليها ، وفى كل جماعة ينضم إليها ، فإذا لم يتحقق له مايريد – وهذا مايحدث فى الغالب الاعم – ينزعج الطفل فيدب الخوف فى نفسه ويفقد ثقتـــه بنفسه ويطرأ عليه اضطرابات مختلفة .

وإذا كبر هذا الطفل ودخل فى الحياة العملية فإنه يصطدم بمشاكـــل الحياة التى لم يألفها، ولم يتعود عليها فى حياته الأسرية. وكثيرا مايؤدى صدامه هذا إلى فشله فى الحياة العملية ، لأنه يعتد تحمل المسئوليـــة ولم يألف الكفاح فى الحياة ولا يقوى على مواجهة الصعاب .

هذه هى الآثار السلبية الناتجة عن قصور هذه التربية. فهى لاتربى فى نفوسهم صفات الإعتماد على النفس وتحمل المسئولية والشجاعة والإقدام .

ولايفهم مما قلت أنه لايجب تلبية جميع طلبات الطفل واحتياجاته وحل جميع مشاكله، بل يجب على الوالدين أن يسهموا فى ذلك إسهاما كبيرا، ولكن بشرط تعويدهم على ذلك تدريجيا مع مستواهم العقلي وادراكهم الحسي ونموهم الجسمى .. ولاشك أن فترة ماقبل سن الإدراك والتمييز يجب فيها تلبية ذلك كله وهذا مالايختلف فيه اثنان .

وإذا نشأ الطفل على تحمل المسئولية والواجب ولاشك سيتحمل مسئولية الدعوة الاسلامية عندما يترعرع ويشب ويتحمل الأذى فى سبيلها ويقدمها على كل أعماله وواجباته ويدافع عنها بكل وجوده وكيانه. ولايستسلم إلى الذل والهوان ولا يركن إلى الضعف والمسكنة ولايميل إلى الكسل والخمول ولاييأس ولا يقنط من رحمة الله تعالى ووعده ولايخشى فى الله لومة لائم .

وكما يعرف مسئوليته الجماعية ، مسئوليته نحو مجتمعه وأمته والناس أجمعين، ويعرف حده وحدوده ويدرك حقوق الاخرين ومسئولياتهم ولايطغى على أحد ويقف عند حد معين . كما لايرضى بحال من الاحوال أن يتجرد من هذه الروح .

٦ - تربية الناشئة على العزة والكرامة والرجولة والشجاعة :

إن الاسلام دين العزة والكرامة الحقيقة وأهله أعزاء ، لايرضى لأهله أن يكونوا أذلاء . ولذلك بث القرآن الكريم هذه الروح العالية فى نفوس المسلمين فى كل المناسبات لأنه منبع العزة والكرامة ، ومصدرها الأساسية. ومن أراد العزة فى غيره لن يصل إليها بحال من الأحوال . ولا وجود للأمة المحمدية بدونها. فإذا فقدتها أصابها الذل والهوان واستعبادهم من قبل أعدائهم والتاريخ الاسلامى خير شاهد على هذا .

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .. ﴾ آل عمران / ١١٠ . إن هذه الآية الكريمة تبث العزة فى نفوس المؤمنين بأن جعلهم خير الأمم والشعوب لإيمانهم بالله تعالى ولقيامهم بالدعوة إلى الله تعالى آمر بالمعروف وناهيا عن

عن المنكر ، ومن يريد أن يكون من هذه الأمة الخيرة فليؤد شرط الله تعالى منها وهو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع الإيمان بالله تعالى .

ومن يتصف بهذه الصفات الحميدة يستحق له أن يعتز ويفتخر بدينه وعقيدته لأن هذه الأمة لم تستحق هذا الشرف وهذه العزة إلا بتمسكها بمنهج الله تعالى عقيدة وسلوكا ونظام وحياة .

ان الله عز وجل هو رب العزة وحده ، وله القوة والغلبة والكبرياء وله العزة ومن أعزه وأيده من أنبيائه الأخيار والمؤمنين . قال تعالى : ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾(المنافقون / ٨)، إن العزة ليست بكثرة الأموال والاولاد والعشيرة والأتباع وإنما فى اتباع الحق والسير فى منهجه وشرعه والدعوة إليه .

والكرامة الانسانية من لطف الله تعالى وإحسانه على بنى آدم ، وأن الإنسان مكرم كرمه الله تعالى وفضله على خلقه جميعا ، اذ جعل له مكان الصدارة بين مخلوقاته ، قال تعالى : ﴿ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملنهم فى البر والبحر ورزقنهم من الطيبت وفضلنهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الاسراء / ٧٠)

كرمه الله بالعقل والعلم وسخر له الكون كله، ورزقه من الطيبات، وألهم الله تعالى النفس البشرية فجورها وتقواها، وجعل عنده الإرادة القابلة لاختيار، وزوده بأدوات المعرفة والقدرة على التعليم .. الخ ، ومن المميزات والخصائص التى تميزه عن سائر المخلوقات . وبمقابل ذلك لقد كلف الله سبحانه وتعالى الانسان بتكاليف كثيرة ومسئوليات عظيمة ورتب عليها الثواب والعقاب والجزاء .

ولقد تبين مما سبق أن واجب التربية الإسلامية هو إشعار الناشئة بعزته وكرامته على أفضل الأساليب والوسائل اللائقة وتنمية هذا الشعور وهذه الروح فى نفوسهم. ومن هنا يأتى دور الأسرة فى المقام الاول ، لان الطفل فى حاجة ماسة أن يعرف قيمة دينه ومكانته عند ربه ومنزلته بين الناس

ودوره فى المجتمع والامة وذلك عند ادراكه للأمور وتمييزه بين الأشياء ولذلك يجب على الوالدين أن يربوا أولادهم على العزة والكرامة مع نعومة أظفارهم بالأسلوب الآتى والطريقة الآتية :

١ – أن يلقنوا أولادهم أن مصدر العزة والكرامة الحقيقية هو القرآن الكريم . وذلك ببيان أن المسلمين لم ينالوا العزة والكرامة إلا باتباع أوامر الله تعالى وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم وبتمسك كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عقيدة وشريعة ، وان مقياس العزة والكرامة هو الاتباع الكامل لمنهج الله تعالى ، والبحث عن العزة والكرامة فى غير منهج الله تعالى فان مصيره الذل والهوان والانقياد للطاغوت.

٢ – أن يشعروا بكرامتهم الإنسانية وذلك بالمقارنة بين مميزات الإنسان وخصائصه الفردية وبين سائر المخلوقات ، ليطلع الطفل على قيمته الإنسانية وسبب خلقه بهذه المميزات والصفات ، ولاشك أن هذه المقارنة بين الإنسان وسائر المخلوقات تؤدى إلى التساؤل والاستفهام لدى الطفل عن الاسباب والمسببات ، مثل : لما تميز الإنسان بهذه الصفات ؟ ومن الذى زوده بهذه القدرات ؟ وهذا الاسلوب يعمد إلى تربية عقل الطفل ويدفعه دائما إلى حسن التفكير والتدبر والتأمل فى تركيب نفسه وماحوله من الموجودات والكائنات وذلك بالتدريج كما قال تعالى : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات / ٢١ – ٢٢). لان أقرب شىء إلى الانسان نفسه ثم الموجودات التى حوله .

والتدرج فى التأمل والتفكير بهذا الشكل يوصل الفرد إلى معرفة خالقه وبارئه. وان أشعره الوالدان بأن الله تعالى فضله بالإرادة والتمييز وأدوات المعرفة ، وجعل له الشرع وكلفه بتكاليف ومسئوليات ورتب عليها الثواب والعقاب ، أصبح لديه الشعور بالمسئولية يخشى ربه ويلتزم أمره ويستقيم فى سلوكه فى هذه الحياة .

٣ ـ إشعارهم بمكانتهم عند ربهم إذا استقاموا فى الطريق والتزموا شرعه ، ويقول فى ذلك عبد الرحمن النحلاوى فى كتابه "التربية الاسلامية والمشكلات المعاصرة" (١٤٠٥ هـ) : " وإذا علمناه بمكانته عند الله تعالى إن هو آمن واستقام فقد منحناه ثقته بنفسه واعزازا بخالقه وشعورا بكرامته وبعدا عن أى خوف أو تردد أو عبث أو شعور بالضياع أو الحيرة) "(ص ٧٢ ٠)

وبذلك يثق بنفسه ويعتز بدينه وعقيدته ويفتخر بمقدساته وينال الكرامة، يعيش عزيزا كريما ويموت كريما ويبعث إن شاء الله تعالى معززا مكرما ٠

ومن أهم الصفات التى يجب تلقينها فى نفوس الأبناء من قبل آباءهم صفة الرجولة والشجاعة ولاشك أن واجب الرجال يختلف عن واجب النساء،وذلك ناتج عن الاختلاف فى الخلقة والطباع ، والله تعالى لم يفرض الجهاد الا على الرجال -وان كان هناك دور كبير للنساء فى الجهاد ـ لأنهم أقدر على ذلك من النساء٠ ونعنى بالرجولة هي المحافظة على فطرة الإبن خلقة،وتنمية بعض الصفات التى يتصف بها الرجال عادة مثل الشجاعة والخشونة والصبر ، والاعتداد بالنفس وشعور عميق بأداء الواجب ، والوفاء بالعهد والتحمل على الأذى والقوة الجسمية الخ ٠٠ من الصفات التى هى من مميزات الرجال عادة ٠

إن الاسلام أولى باهتمام بالغ بالرجولة مظهرا وباطنا ، وذلك صيانة لخلق الله تعالى وتنمية للمواهب والقدرات التى يتصف بها الرجل ٠ ولقد حدد الاسلام تحديدا دقيقا خصائص الرجال وخصائص النساء،وواجبات ومسئوليات كل نوع منهما، فأراد التمايز بينكل نوع فى المظهر والباطن ٠

ولذلك حرم الإسلام التشبه بين كل نوع من هذين النوعين ٠ روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لعن النبى المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء)(كتاب اللباس رقم ٥٥٤٧)وهذا التشبيه يشمل المظهر مثل: اللباس والحركة والكلام وفى الباطن التشبه ببعض الاخلاق النسائية مثل كثرة اللعن الخ ٠ ولذلك حرم الاسلام لباس الحرير واستعمال الذهب على الرجال ومنع من حلق اللحية ٠٠ الخ من الصفات التي تقتل الرجولة

وتضيّع الشّخصية وتطعن فى الأخلاق والفضيلة .

وكان العصر الاسلامي الأول مظهرا للرّجولة فى جميع نواحيه ، فقد امتلاء بمن كانوا عنوانا للرّجولة والمجد والشرف . كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر الناس رجولةً فى جميع أدوار حياته. فحياته كلّها سلسلة من مظاهر الرّجولة والبطولة . وكذلك المجاهدون طوال العصور قدّموا لنا أروع الأمثلة فى أسمى معاني الرّجولة والبطولة. انّ الشجاعة صفة حميدة، جميلة وهى زينة الرجل وحلية الابطال وتاج الفرسان والشجاعة قوة نفسية تدفع الفرد إلى الإقدام ، وهى ضدّ الجبن والخوف . ولاشك أن الفرد يولد وهو مزود بطريقة فطرية بهذه الصفات بنسبة معيّنة. والتربية الّتى يتلقاها الطفل فى حياته والظروف والمواقف التى يمر بها أثناء تلك العملية تجعله شجاعا أو جبانا، وذلك بظهور علامات كل منها على الفرد بشكل بارز. والتربية الاسلامية تربّى الفرد على أخلاق حسنة وخصال حميدة، وبمقابل ذلك تحارب الاخلاق السيئة والخصال الدّنيئة .

والشجاعة من أبرز الأخلاق الحسنة لدى الفرد المؤمن. لأنها صفة الانبياء والرسل وصفة المجاهدين فى سبيل الله تعالى ، وصفة كل من يريد العزة والكرامة فى الدنيا والآخرة وهى وسيلة النصر بل لبّ النصر. وضدّها الجبن سبب الذل والهوان .

والشجاعة ـ فى مفهومها الشرعي ـ محمودة، فى كل الأحوال وفى كل المواطن وضرورية فى بعض المواقف مثل : الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وتتأكد ضروريّتها فى الجهاد إلى أقصى حدّها وأبعد حدودها ، لأن الموقف يستدعى ذلك .

ولقد غرس القرآن الكريم هذه الصفة الحميدة، والميزة الجميلة فى نفوس المؤمنين وحثّهم فى كل مرة وفى كل المناسبات إلى الاقدام والشجاعة والبسالة . ان قوة الشجاعة لدى المؤمن مقياس لإيمانه ومرآة لإخلاصه ، وميزان ليقينه. ولذلك يحث القرآن الكريم على التحلى بهذه الصفة ويعاتب المؤمنين فى خشيتهم من إعدائهم وذلك بأسلوب الإغراء والتحريض ، قال تعالى : ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم

بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾(التوبة/١٣).

والنبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس كما ورد في الاخبار الصحيحة. والصحابة الكرام كانوا يتقون به حين التحام الجيش كما سبق ذكره ، وكان عمره صلوات الله وسلامه عليه سلسلة من مظاهر الشجاعة والبطولة والبسالة التي بلغت الذروة. ولقد ربى أصحابه في مدرسة الجهاد على أسمى معاني الشجاعة والبطولة والفداء والتضحية والامثلة على ذلك تفوق الحصر والعدد ، كلهم كانوا أعلاما يهتدى بهم في النضال والكفاح .

إن واجب الأبوين أن يربوا أبناءهم على هذه المعاني الرفيعة والمفاهيم العظيمة التي هي من الصفات الاساسية والاصلية للمجاهدين في سبيل الله تعالى ، ولتحقيق هذه الصفات في نفوس أبنائهم . وأما غرس صفة الرجولة وهي تتحقق كالتالي :

١ ـ أن يختاروا لأبنائهم الالعاب الملائمة لفطرتهم وخلقهم ، مثل: اختيار العرائس وأدوات المطبخ للبنات والبندقية والمسدس والسيارة الخ للبنين ، إن هذا الاختيار ينمي في نفوسهم الشعور بالنوع ، ذكرا أو أنثى .

٢ ـ ان يختاروا لابنائهم الملابس الملائمة لفطرتهم.لان التشبه شامل في المظهر والباطن كما سبق بيانه ، وأن يهتموا بمظهر الطفل عناية تامة مثل: اطالة الشعر للبنات وقصره للبنين واستعمال الذهب والحرير للبنات وعدم استعماله للبنين .. الخ .

٣ ـ تنمية بعض الصفات الخاصة والمتعلقة لكل نوع في نفوسهم ، مثل تنمية الشجاعة والجرأة والجد والعدل للبنين ، والرحمة والعطف والطاعة للبنات .

٤ ـ أن يصطحب الولد إلى المسجد ومجالس الرجال حتى يتعود الطفل على أخلاق الرجال وآدابها ، وكما يتعود على حياة الجد .

٥ ـ تحميل الولد بعض المسئوليات المتعلقة بالرجال مثل: البيع والشراء والعمل .

٦ - ان يعاملوهم معاملة الرّجال فى كل المناسبات ، وأن يبعدوهم بكل الوسائل الممكنة عن كل مايحطم رجوليتهم وشخصيتهم وأخلاقهم مثل مظاهر التخنث والميوعة والانحلال وأن يجنبوهم عن الوقوع فى مواطنها وأماكن التهم .

وبذلك يكتسب الولد صفة الرّجولة التى تدفعه إلى الشجاعة والبسالة، يحافظ على عزته وكرامته وشخصيته ويستقل فى هويته وذاتيته .

وأما الشجاعة والفداء والتضحية فإن غرسها في نفوس الناشئة يبتغى عناية فائقة واهتماما بالغا من قبل آباءهم وأمهاتهم وإخوانهم فى أسرتهم .
إن مجالات الشجاعة واسعة جدا وهى أكثر بروزا وظهور عند الرّجال. وهذه متولدة من طبيعتهم وجبلّتهم ومهمّتهم فى الحياة ، وإنها تحتاج إلى الصبر والمصابرة والتحمل على الأذى والفداء والتضحية وكما أن الفداء والتضحية بحاجة مساة إلى الشجاعة والجرأة والاقدام وكلها أعمال متسلسلة تسلسلا تلازميا .

ولغرس هذه الرّوح لابد من مراعاة الآتى :
١ - محاربة مظاهر الخوف عند الأطفال لان الخوف يترك آثرا فى نفس الطفل مهما كان أسبابه ينشأ على ذلك ، ويغطى على طبيعته ويؤدى إلى عدم الثقة بالنفس والشعور بالنقص وكما يؤدى إلى الإنعزالية والانطوائية والانكماش وعدم مواجهة المشكلات بعقل متزن وتفكير سليم .

ولقد حارب الاسلام كلّ مظاهر الخوف ، إن المؤمن لايكون جبانا ولاخوّافا وانما يكون شجاعا باسلا ، لأنه يستمد هذه الروح من عقيدته الاسلامية السمحة وايمانه الراسخ ، ومن مصدر عزة وكرامة .وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله تعالى من الجبن لان الجبان لايستطيع أن يحافظ على دينه وعرضه ودمه وماله كما لايقدر أن يدافع عن وطنه وأمته .

٢ - ترسيخ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر فى نفوس أبناءهم. لأن الايمان بالقضاء والقدر يدفع الفرد إلى الجرأة والاقدام ولا يخاف من الموت، لأنه

يعرف يقينا أن أجله محدود مقدر من قبل المولى لايزيد ولاينقص ، يأخذ بالأسباب ويعتزم أمره وويتوكل على الله تعالى ويباشر عمله دون تردد أو ارتياب ، قال تعالى : ﴿ وماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ﴾ (آل عمران / ١٤٥) . إذا تعمق هذا الإيمان فى قلب الولد لايخاف فى الله لومة لائم ، ولايقبل الذل والهوان والظلم . يدافع عن إيمانه ونفسه ودينه وأمته بشوق واخلاص يحافظ على مقدساته ولايرضى ابدا الاساءة إليها والنيل منها .

٣ ـ التدريب العملى والتمرين ، ويقول فى ذلك الشيخ عبد الرحمن حبنكه الميدانى فى كتابه «الأخلاق الاسلامية» عند كلامه عن وسائل اكتساب خلق الشجاعة : " الوسيلة الأولى : التدريب العملي بدفع الإنسان الى المواقف المحرجة التى لايتخلص منها إلا بأن يتشجع . وينبغى أن يكون ذلك بالمقدار الذى يغذى خلق الشجاعة ولايزيد نسبة الجبن)(ج ٢ ص ٥٨٨) .

٤ ـ طريقة الإقناع . وللاقناع تأثير فعال فى غرس الأخلاق . فمن عرف معنى الشجاعة وفضائلها ومنافعها وخيرها ، ورذيلة الجبن ومضارها وأضرارها تكونت لديه عناصر مهمة مساعدة على تكوين خلق الشجاعة وأكتسابها . ولابد من وضع هذه وهذه فى كفتىّ الميزان ، ميزان الخير والشر والفضيلة والرذيلة وبذلك يقتنع الطفل اقناعا جيدا عندمايشاهد أويتعرف على النتائج والمحصلات .

٥ ـ القدورة الحسنة ، وعرض مشاهد الشجعان والابطال وذكر قصصهم وذلك لإثارة عنصر المحاكاة .

٧ ـ تعويد الناشئة على التقشف :

ان التقشف ليس بمعنى ترك الدنيا كليا والسعي للآخرة ، وإنما أعني به إبعاد الناشئة عن الترف والراحة الزائدة عن الحد المعتاد . وللمسلم حق التمتع بالطيبات من الرزق ونعيم الدنيا ، بل واجب لانه أولى الناس في ذلك لاتباع شرع الله تعالى ومنهجه والجهاد في سبيله .ثم إن الدنيا مزرعة الآخرة مهما تزرع في هذه الحياة الدنيا تحصده في الآخرة . والله سبحانه وتعالى خلق الانسان في سطح هذه الكرة الارضية وجعل حياته ورزقه فيها وقدر قوته عليها .

ومن المعلوم أن الجهاد يقتضي ترك الراحة وإنفاق النفقة والبذل والفداء والتضحية والبعد عن الملذات . والذي يتعود على الترف من الصعب جدا أن يترك هذه الحياة وينتقل الى البساطة . انها مسألة نفسية يحتاج المرء إلى جهادها وقليل من ينجح في ذلك إلا من رحم ربي .

ولايفهم من قولنا هذا أننا ضد الغنى ، كلا ، ان الغنى شيء والترف شيء آخر .والغنى مطلوب في الشرع مستحسن فيه ، إن اليد العليا خير من اليد السفلى، والمؤمن يكون غنيا فيعيش حياة كريمة معتدلة دون الترف والإسراف، يصرف في حدود الشرع وفي المباحات دون المحرمات، ينفق في سبيل الله تعالى.ثم إن الترف عادة يؤدي إلى الخروج من جادة الصواب والخوض في المحرمات، النفس البشرية تطغى عندما استغنى .

واذا نظرنا إلى المترفين في السابق نجدهم فاسقين ونهايتهم الهلاك ، والدمار قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾(الاسراء : ١٦) .

إن الترف يؤدي إلى الاسراف والاسراف حرام شرعا ومذموم طبعا ، والأمة المجاهدة لاتكون مترفة ولا مسرفة .ولا يجتمع ترف وجهادا بحال من الاحوال، واذا وجد أحدها انعدم الآخر. والترف والاسترخاء يحول بين المؤمن والجهاد ،

كان النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام يعيشون بالبساطة بعيداً عن التكلف والترف والاسراف وكان الأغنياء منهم ينفقون أموالهم فى سبيل الله تعالى وكانوا رضى الله عنهم جميعا يتسابقون فى الخيرات والإنفاق. والامثلة على ذلك كثيرة لاتحصى والمقام لايتسع لذكرها نكتفى بذكر مثال ، يصور حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إمام المجاهدين ، كما جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها رواه الامام مسلم أنها قالت : (ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض)(كتاب الزهد ، رقم ٢٩٧٠).

فقد كان الصحابة الكرام رضى الله عنهم جميعا يقاتلون وهم حفاة ولايجدون الظهر الذى يحملهم ، وكانوا يأكلون أوراق الشجر كما جاءت فى الروايات الصحيحة. ولقد عودهم قائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحياة البسيطة التى لاتكلف فيها بالتدريب العملى على تحمل المشاق وعلى التقشف والبعد عن التنعم والترف إستعداداً للبذل والعطاء والفداء والتضحية والجهاد .

ومن واجب الآباء المسلمين أن يربوا أولادهم على الحياة البسيطة التى لاتكلف فيها وأن يعودهم على الإعتدال فى المآكل والمشرب والملباس وسائر متطلبات الحياة . ولانريد بذلك أن يحرمهم من الطيبات ولكن نريد أن لايتقلب الناشئ فى النعيم الزائد ولا يسترسل فى الملذات والطيبات ولا يسعى وراء الشهوات والمحرمات ينسى مهمته فى الحياة وهو غير قادر على تحمل مسئولياته الملقاة على عاتقه ، يفقد شخصيته وهويته وذاتيته ، وسرعان مايستسلم لمغريات الحياة الدنيا ونعيمها وتخمد فى نفسه روح الجهاد والسعى فى مناكب الارض .

وأن الواجب على الوالدين أن يسعيا دائما جاهدين فى الحئوول بين أبنائهم والترف والتثاقل والاسترخاء حتى ينشئوا نشأة إسلامية معتدلة فى حياتهم استعداداً لتحمل أعباء الرسالة بالصبر والمصابرة والبذل والتضحية. وبذلك تحيا فى النفوس روح الجهاد فى سبيل الله تعالى بكل معانيها وتستقر .

٨ ـ تعويد الناشئة على النظام :

قبل الحديث عن النظام يجدر بنا أن نقدم كلاما موجزا عن الحرية. لان النظام نوع من تحديد الحريات ، إن الانسان بصفة عامة فى حاجة ماسة الى الحرية ، لأنه مفطور عليها ، والحرية حاجة من حاجات الطفل الأساسية يولد مزودا بها فلابد من تهذيبها وتوجهها. وإن إطلاقها دون قيود يفضى الى الفوضى والاعتداء على حقوق الاخرين وإحلال حريتهم ، والاسلام دين الحرية الحقة ، لقد حدد للحرية حدودها وربطهابالعقيدة والأخلاق وبالحلال والحرام وبالمسئولية والحقوق وكل حرية فى الاسلام منوطة بمسئولية ، وعلى سبيل المثال ، إن حرية الأكل والشرب محدودة بالمسئولية عن الاسراف والتبذير وعن الشكر مقابل النعيم قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الاعراف / ٣٠).

ثم إن الانسان ليس حرا مطلقا فى تصرفاته بالكلية وعلى سبيل المثال: ولادته وموته ومرضه ، فإنه تحت سلطان الله تعالى مطلقا ، فانه يستسلم لهذه السلطة العليا ، ثم ان الشريعة الاسلامية ترسم حدود حرية الفرد وتوجهها. فهى المصدر الحقيقى الوحيد لجميع السلطات ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الاسلام قد نظم حياة المسلم كلها تنظيما دقيقا وذلك بالعبادات والمعاملات تنظيم فى أوقات الصلاة وتسوية الصفوف فيها وتنظيم فى الزكاة : مصاريفها ومقاديرها .. الخ كلها بتنظيم من المولى تبارك وتعالى ومن الرسول صلى الله عليه وسلم .

واذا نظرنا إلى سيرة النبى صلى الله علية وسلم فى المدينة المنورة نجد أن أول عمل قام به تنظيم أمور الدولة وترسيخ دعائمها وتأسيس بنائها ثم تنظيم الجيش للجهاد فى سبيل الله تعالى . وكما كان صلى الله عليه وسلم يقوم بتسوية الصفوف قبل المعركة كما مر معنا فى حديثنا عن معركة بدر الكبرى فى الفصل الثالث من هذا البحث .

إن الله تبارك وتعالى يحبّ الّذين يقاتلون صفوفا لإعلاء كلمته ورفعة شأنه قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (الصف / ٤) .

وخلاصة القول أن الاسلام دين نظام، فقد نظّم الله تعالى لنا حياتنا كلّها، فقسم اليوم الى ليل ونهار وجعل لنا وظيفة ومهمّة فى كل قسم ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ النبأ / ١٠ – ١١ . وفى كل قسم من هذه الأقسام مهمّات أخرى بالتنظيم الدقيق ، بعبارة أخرى إن الاسلام نظّم أوقات المسلم كلّها تنظيما دقيقا لايعتريها الفوضى بشكل من الاشكال إذا التزم المؤمن بتعاليم ديننا وشعر بمسئوليته فى الحياة .

ويقول فى ذلك الشيخ سعيد حوى فى كتابه جند الله (١٣٩٩هـ) لبيان أهمية ضرورة النظام فى حياة الأمة : " لا جماعة إلا بشبات ، ولا ثبات إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا بقيادة وطاعة وانضباط "(ص ٢٥٦) .

ولاشك أن النظام ضرورى لتكوين الجماعة ، وأن هذا النظام لا يتحقق إلا بالقيادة والطاعة والإنضباط الكامل .

ومن هنا يظهر بوضوح ضرورة تعويد الناشئة على النظام منذ الصغر من قبل آباءهم وأمهاتهم ومن يلي تربيتهم. ولتحقيق ذلك فإن على الأسرة اتباع مايلى :

١ ــ تربية نفوسهم على الطاعة كما سبق بيانه فى بداية هذا الفصل .

٢ ــ تعويدهم على تقسيم أوقاتهم منذ الصغر مثل : أوقات الأكل ، والنوم واللّعب .

٣ ــ تعويدهم على العبادات .

٤ ــ تعويدهم على التقيّد بالمواعيد والتعاليم .

٥ ــ تدريبهم على بعض الاعمال التنظيمية فى المنزل مثل : تنظيم المكتبة المنزلية .

٦ - إدراك الناشىء أهمية النظام فى حياة المؤمن وضروريته ، ولزومه لزوما قطعيا .

وبذلك يتعود الناشئة على النظام ، ينظم الواحد منهم أوقاته وأعماله في مرضاة الله تعالي ، ويرى يقينا فائدة النظام حينمايطلع على ثمراته ونتائجه الطيبة .

ان المؤمن بحاجة ماسة الى النظام فى حياته الجهادية ، لأن الجهاد لايتم الا بالجماعة، والجماعة لاتتحقق الا بالتنظيم والإنضباط الكامل تحت قيادة موحدة ، والمؤمن الذى تعرف على قيمة النظام وتعود عليه فى حياته اليومية لاشك يكون حريصا على تدعيم أواصر الأخوة بين المؤمنين عامة وبين صفوف المجاهدين خاصة ويبذل جهده كله لتوحيد الصفوف وجمع الكلمة ويتألم من تفرق الكلمة وافتراق الصفوف .

٩ ـ تبصير الأولاد بحقيقة الجهاد فى الإسلام :

ومن أهم واجبات الأسرة هى تبصير أبناءهم بحقيقة الجهاد فى الإسلام. وقبل هذه العملية فلابدّ من إدراك حقيقة الاسلام والدّعوة الإسلامية ، لانّ الجهاد إنما شرع لتحقيق أهداف الإسلام على وجه الارض .

عندما يبلغ الطفل مرحلة الادراك والتمييز يجب على الوالدين أن يبيّنوا له لماذا خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ؟ وما الهدف من الرّسالات السماويّة وإرسال الرّسل وإنزال الكتب ، فاذا ادرك الطفل عن سرّ وجوده فى الحياة ومهمّة الرسل والانبياء حينئذ يأتى بيان حقيقة الجهاد فى الإسلام وأهدافه وثمراته ، وأضرار القعود عنه ، لأن أهداف الجهاد فى الاسلام هى أهداف الإسلام نفسه ، وهى تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى على مستوى الأفراد والجماعات والأمم ، أو بعبارة أخرى نشر الدّين الاسلامى وتبليغه إلى العالم جميعا أو بتعبير أدق إقامة منهج الله تعالى فى الأرض .

إن بيان هذه الحقائق وتبصير الناشئين بها بالغ الأهمية ، لانّ الإسلام قد تعرّض فى هذه الأيّام لبعض التحريف من قبل الأعداء فى الدّاخل والخارج ومن قبل بعض الجاهلين عن حقيقة دينهم ممّا أدى إلى الالتباس على بعض عامة المسلمين . ومن هذا التحريف إن الاسلام عبارة عن المعتقدات والعبادات فقط وليس له علاقة بالدّولة والسّياسة ، وأن الجهاد إنما شرع للدّفاع عن الوطن فقط ، وان الإسلام إنما انتشر بالسيف .. الخ من التحريفات الّتى قد أثرت تأثيرا بالغا فى بعض ضعفاء النّفوس من المؤمنين وفى بعض عامة الناس هذ من جهة ، ومن جهة أخرى أنّ دعاة القوميّة الوطنيّة يحاولون فى كل مرّة النيل من حقيقة الجهاد الإسلامى .

فواجب الأب المسلم تبصير أبنائه بهذه الحقائق وذلك ببيان حقيقة الإسلام موضّحا بأن الإسلام دين دولة ، عقيدة ونظام ، عقيدة،وسلوك،وأخلاق. وأنه مصحف وسيف وأنه دستور الحياة ، وأن الجهاد شرع لإعلاء كلمة الله

تعالى ، وأنه دفاعيّ وهجوميّ فى نفس الوقت بالمفهوم الاسلامى، وأن الاسلام إنما انتشر بالحجة والبيان والبرهان والأخلاق أكثر مما انتشر بالسيف مع تقديم الأمثلة والنماذج والصور من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة والتاريخ الاسلامي المجيد مراعيًا فى ذلك عمر الطفل ومداركه وثقافته .

وقد سبق القول عن بعض أهداف الجهاد فى الاسلام فى الفصل الأول والثانى من هذا البحث .

إن هذه الخطوات خطوات نظرية أو خطوات يغلب عليها الجانب النظري بحيث لايمكن الفصل بين الجانب النظري والجانب العملي فى العملية التربوية فى غرس الروح الجهادية فى نفوس الأبناء من قبل آباءهم وأمهاتهم .

وأما الخطوات العملية أو التطبيقية فيمكن لنا ترتيبها كالتالى :

(١) أن يكون الآباء والأمهات قدوة حسنة لأبناءهم فى حياتهم الجهادية :

إن القدوة ذات أثر كبير فى سلوك الناشئين ومن المسلّم به أن الفرد يميل الى الاقتداء بالآخرين يحاكيهم فيكتسب منهم أنواعا مختلفة من السلوك ، والطفل حين يجد فى أبويه ومربيه القدوة - ايجابيا أو سلبيا - فانه يحاكيها ويقتدى بهما فى سلوكه ، ومهما حاول الأبوان أن يقدموا لأبناءهم من معلومات ، ومهما استخدموا من الطرق والوسائل ، فإن الغاية المرجوة لايمكن أن تتحقق على الوجه الأكمل إلا بوجود مثال حي ، يقتفى أثره ويهتدى بنهجه .ولذلك كان من أهم مسئوليات الوالدين أن يكونا نموذجا حيًا وتطبيقيا عمليًا لِمَا يقوما بتعليمه وتلقينه وتعويده ، بحيث يجعلون من أنفسهم قدوة حسنة لأبناءهم فى جميع تصرفاتهم داخل البيت وخارجه .

إن الناشىء يحتاج دائما إلى القدوة الحسنة فى أسرته لكى يتشرب المبادىء الإسلامية والأخلاق الحميدة منذ نعومة أظفاره ، ولذا ينبغى أن تكون أفراد الاسرة نظيفة من الشوائب وذلك لصيانة فطرة الطفل وتوجيهها توجيها إسلاميا سليماً .

يقول فى ذلك محمد قطب فى كتابه «منهج التربية الاسلامية» (١٤٠٤ هـ) :

" وحين توجد القدوة الحسنة متمثلة فى الأب المسلم ذات الدين فإن كثيرا من الجهد الذى يبذل فى تنشئة الطفل على الاسلام يكون جهدا ميسرا وقريب الثمرة فى ذات الوقت . لأن الطفل يتشرب القيم الاسلامية من الجو المحيط به تشربا تلقائيا وستكون تصرفات الأم والأب أمامه فى مختلف المواقف ، مع بعضها البعض ومع الآخرين ، نماذج يحتذ يها ويتصرف على منوالها . "(ج ٢ ، ص ١١٩).

إن وظيفة الانبياء والرسل عليهم السلام لم تكن مقصورة على تبليغ الرسالة فقط بل كان كل رسول أو نبى يقوم بتطبيق رسالته على نفسه قبل تبليغها إلى الناس . وكان سيدنا محمد صلى الله علية وسلم المثل الأعلى والقدوة الحسنة للبشرية جمعاء ، يرون فى شخصه الكريم الترجمة الحسية للمنهج الاسلامى ، يقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(الاحزاب / ٢١).

ولقد تمثلت فيه صلى الله عليه وسلم جميع المميزات والخصائص التى جعلت منه أكبر قدوة للبشرية كافة،وهو الأصل فى الباب ، وإنه صلى الله عليه وسلم صاحب القدوة الحقيقية،وكان يعلم أصحابه ويربيهم بالقدوة والعمل. يصلى ويقول : (صلوا كما رأيتمونى أصلى) ويحج ويقول : (خذوا عنى مناسككم) ويصوم فى السفر ثم يفطر فى الطريق ويدعو بماءٍ فيرفعه فى يديه ليراه الناس . ولذلك حرص الصحابة الكرام كل الحرص على التأسى بنبيهم والاقتداء بسيرته العطرة ،وبذلك أصبحوا قدوة للأجيال القادمة إلى يوم القيامة ، لأنهم خير أمة أخرجت للناس رضى الله عنهم جميعا .

فليعلم الآباء والأمهات بصفة خاصة والمربون بصفة عامة أن التربية بالقدوة الحسنة هى الاساس فى ترقية الولد نحو الفضائل والمكرمات ، وبدون هذه القدوة لاينفع مع الأولاد وعظ ولا إرشاد ولا مجرد التلقين.وصدق من قال :

لاتنه عن خُلق وتأتى مثلَه
عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

ولايمكن للطفل أن يكتسب صفة الصدق وهو يرى أبويه يكذبان ، ولا يمكن أن يكتسب صفة الرحمة والرأفة والحنان ، وأبواه يعاملانه بالقسوة والغلظة والشدة والجفاء. والولد الذى يرى والديه منغمسين فى المعاصى والمنكرات فلا يتكون فى نفسه الطاعة لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم. والولد الذى يشاهد والديه وهما يتقلبان فى النعيم والترف ويسعيان وراء شهواتهما وملذاتهما فلا يمكن أن يتعود على حياة التقشف والبساطة والعفة. والولد الذى يرى والدين وهما لايتفكسان إلا فى مصلحتهما الشخصية وجمع حطام الدنيا ، ولا يهتمان بأمور المسلمين ولا يلتفتان من جانبهم فلا يمكن أن يعوّد على الجود والكرم والانفاق والفداء والتضحية ولا الشعور بالمسئولية والأخوة الاسلامية ولا .. ولا .. إن الجهودكلها تذهب دون جدوى . فلابد من وجود القدوة الصالحة والحسنة فى الأسرة حتى تتم عملية التربية والتعليم بشكل صحيح .

٢ ـ تحفيظ الولد سورة الانفال والتوبة والاحزاب وسورة محمد صلى الله عليه وسلم ونصوصا أخرى من آيات الجهاد مع شرح معانيها وبيان أسباب نزولها ليطلع الناشئ على أحكام الجهاد ومراحله وأهدافه وفضله . ولاشك أن حفظ هذه السور يحرك مشاعر الولد عندما يتعرف على تفاصيل أحداث المعارك البطولية والحروب المجيدة وكما يتعرف الناشئ على مسيرة الحركة الجهادية فى عهد النبوة . لأن هذه السور والآيات كلها نزلت عقب المعارك التى حدثت بين الفئة المختارة من المؤمنين وبين جموع المشركين .

ثم إن هذه الآيات والسور الجهادية تتضمن كثيرا من التشريعات الحربية والإرشادات الالهية التى يجب على المؤمنين اتباعها فى قتالهم لأعداء الله تعالى ، كما تبين ماينبغى أن يكون عليه المسلم من الشجاعة والبطولة والشهامة والإباء والشهم ، والوقوف فى وجه الباطل بكل شجاعة وجرأة، يتعرف على صفات المجاهدين فى سبيل الله تعالى فيتوجه إلى التحلى بهذه الصفات

الحميدة ، ويطلع على عوامل النصر وعوامل الهزيمة ، والطاعة والإنقياد للقيادة العليا فى السلم والحرب وكما يتعرّف على الأعداء الداخلية فى قلب الامة الاسلامية وهم المنافقون .

ويعيش الناشئ فى جوّ هذه السّور حياة جهادية بطولية ، يزداد حماسة وشجاعة وبطولة، وبذلك تتكون فى نفسه الروح الجهادية الأصيلة تحرك مشاعره وعواطفه ويتعرف على أسلوب الدّعوة الاسلامية ومنهجه وطرقه. وقد رأينا عند حديثنا فى بداية الفصل الثالث ان الصحابة الكرام رضى الله عنهم كيف اتخذوا سورة الانفال نشيد القتال يقرؤنه قبل القتال ليزدادوا شجاعة وثباتا عند اللقاء والشوق إلى الحصول إلى إحدى الحسنيين ، اما الشهادة واما النصر، ويتخذ الناشئ هذه السور الجهادية نشيد حياته طول عمره يقرءها فى صلاته وبذلك يبنى شخصيته على الجهاد والبطولة .

٣ - دراسة السيرة النبوية الشريفة والتاريخ الاسلامى للاطلاع على مسيرة الحركة الجهادية وبيان المواقف الجهادية الّتى وقفها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام والمؤمنون البواسل من بعدهم طوال التاريخ الاسلامى المجيد . وتذكير الناشئ بصفة مستمرة بالمواقف البطولية التى وقفها أبناء الصحابة الكرام من الشباب .

ان السيرة النبوية الشريفة بصفة خاصة وحياة الصحابة رضى الله عنهم مليئة بالمواقف الجهادية التى وقفها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدون الصحابة الّذين تربوا فى المدرسة النبوية الشريفة على يد إمام المجاهدين وقائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . لقد قدّموا أروع الأمثلة فى الشجاعة والبطولة والفداء والتضحية ، والذى يقرأ سيرتهم فى هذا المجال يكاد لا يصدّق لما وصلوا إليه من البذل بالنفس والمال والاهل والوطن ، ويقف حائرا أمام مواقفهم ، ويسأل نفسه ماهى القوة التى دفعت بهم إلى تلك المواقف ؟ ولاشك انها قوة الايمان ، وحبّ الرسول صلى الله عليه وسلم. وكانوا رضى الله عنهم جميعا يتسابقون فى البذل والعطاء والفداء والتضحية وخاصة الشبان منهم كانوا يتنافسون فيها .

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نقدم مثالا لبعض المواقف البطولية التى وقفها أبناء الصحابة من الشباب .

روى الامام مسلم عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه قال : (بينما أنا واقف فى الصف يوم بدر نظرت عن يمينى وشمالي فإذا انا بين غلامين من الأنصار - حديثة أسنانهما . تمنيت لو كنت بين أضلع منهما فغمزنى أحدهما ، فقال : ياعم . هل تعرف أبا جهل ؟ قال ، قلت : نعم . وما حاجتك إليه ؟ يا ابن أخى ؟ قال : أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده . لئن رأيته لايفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا قال : فتعجبت لذلك فغمزنى الآخر فقال مثلها . قال : فلم انشب أن نظرت إلى أبى جهل يزول فى الناس . فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه . قال : فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه . فقال : (أيكما قتله) فقال كل واحد منهما أنا قتلت . فقال : (هل مسحتما سيفيكما ؟) قالا : لا . فنظر فى السيفين فقال : (كلاكما قتله) وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح (والرجلان : معاذ بن عمر بن الجموح ، ومعاذ بن عفراء)(كتاب الجهاد : رقم ١٧٥٢) .

إن هذا موقف مثالى لشباب الصحابة فى الجهاد أن نفوسهم لاترضى أبدا إلا برؤيتهم لاعداء الله ذليلين مقتولين وأن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تجرى فى عروقهم ودماءهم وكل واحد منهم يتمنى أن ينال الشرف شرف قتل فرعون هذه الامة . إن هذا لشرف عظيم يستحق كل التقدير والفخر والإعتزاز .

وعندما يسمع الناشئ هذه القصص البطولية من الشباب من أمثاله فهو بلا شك يتمنى أن يكون فى مكانهما ، وكما أنها تحرك مشاعره وعواطفه نحو الشجاعة والفداء والبطولة سيتخذهم أسوة وقدوة لنفسه ، ويذكرهم فى كل مناسبة ، ويقيس نفسه بهؤلاء الأبطال من شباب الصحابة الكرام وبذلك يتعرف على موقفه من الشجاعة والبسالة والاقدام .

وأكبر فائدة من ذكر هذه القصص هي تقوية عنصر الاقتداء والتأسى عند الناشئ وربطه بالجيل المثالى من هذه الامة ، ليهتدى بسلوكهم واخلاقهم وبطولاتهم ومشاعرهم ومحبتهم لله تعالى ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعرفة مصدر هذه القوة الدافعة الى تلك المواقف بكل جرأة وشجاعة، وكيفية تربية النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه على تلك المعانى النبيلة .

ان كتب السيرة النبوية والمغازى فائضة الذكر بذكر هذه الأمثال والأخبار والمواقف الجهادية . وأما كتب التاريخ الاسلامى ففيها مئات وآلاف من أصحاب القدوة والدعوة والفداء والتضحية ماتفتخر به الأجيال على مر العصور .

ان فائدة الاطلاع على تاريخنا الحافل هى معرفة حركة الدعوة الإسلامية وسير الجهاد الاسلامى والوقوف على نقاط الضعف والاختلاف والتمزق وعلى أسباب الوحدة والاتفاق بين المسلمين بصفة عامة . ويتعرف الناشئ على مواقف المجاهدين البطولية عبر العصور وتتكون لديه الشعور بمسئولية نشر الدعوة الاسلامية والجهاد فى سبيلها ، ويتخذهم قدوة لنفسه فلا يتكاسل فى مهمته نحو الجهاد فى سبيل الله تعالى فى الوقت الحاضر .

٤ ـ تعويد الناشئة على الانفاق فى سبيل الله تعالى منذ صغرهم وذلك بتعويدهم على الجود والكرم والايثار والبذل وإبعادهم عن البخل والشح والإسراف. ان الاسلام شجع على البذل والجود والكرم والسخاء وكما ابتعد فى هديه عن المن والأذى والرياء ونفر من البخل والشح والإسراف. والمسلم كريم يؤثر إخوانه على نفسه ويقدم من كسبه الحلال إلى اخوانه الاتقياء الصالحين، وينفق ماله فى مرضاة الله عز وجل ويقرض الله قرضا حسنا ، ويبذله بسخاء فى سبيل الله تعالى .

إن الجود والسخاء يتمثلان فيمن اصطفى الله من عباده كالنبيين والصديقين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس . وقد حث

رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على الانفاق فى سبيل الله من أحسن مايحبون ، قال تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾(آل عمران / ٩٢).

وكان بذل الصحابة الكرام مضرب الأمثال . والامثلة على ذلك كثيرة لاتحصى ، ولقد حذر الاسلام من البخل والشح ، لأنه يقطع الأواصر ويحبط الاعمال ولايورث إلا التباعد والتباغض والتحاسد . ان النفس الشحيحة لن تصدر عنها خير والنفس المجدبة لن تستطيع التأثير والإفادة ، ولو زعم صاحبها أنه من كبار الدعاة الى الله تعالى .

والواجب على الوالدين أن يغرسوا خلق الكرم والسخاء والجود فى نفوس الناشئة . فالنفس التى تعود على البذل ، ستكون باذن الله نفسا خيرة معطاءة مجاهدة فى سبيل ربها مرتفعة على شهوات الدنيا وملذاتها ومغرياتها .

ولأجل ذلك يجب على الابوين جعل الناشىء يدرك أن هذه الدنيا دار ابتلاء بالنفس والمال . ان المال مال الله تعالى وأن المؤمن يحاسب عليه فى الآخرة يسأل من أين اكتسبه وفيما انفقه . والله تعالى أمرنا بالانفاق على النفس والأهل ووجوه الخير وفى سبيل الله تعالى . يجب عليهم أن لايكتفى بهذا التلقين فلابد من ادراك الناشىء فضل الكرم والسخاء والبذل ومضار البخل والشح والاسراف وأن يكون قدوة حسنة لابناءهم فى التحلى بهذه الصفات .

٥ ـ الحفاظ على صحة الابناء وتربيتهم جسميا وعقليا ونفسيا :

ان الطفل بحاجة ماسة إلى من يقوم بعنايته ورعايته ، لانه يولد ضعيفا لايقدر بنفسه على رعايته والقيام بأموره ، فهو بحاجة إلى التغذية وإلى الرعاية الصحية والجسمية . ومن المسئوليات الكبرى التى حملها الإسلام على الوالدين مسئولية التربية الجسمية لينشأ الأولاد على سلامة الأبدان وقوة الأجسام وعلى مظاهر النشاط والحيوية .

وقد أوجب الاسلام على الأب مسئولية وجوب النفقة على الأهل والولد . قال تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾(البقرة / ٢٢٣).

وهذه النفقة تشمل الغذاء الصالح والمسكن الصالح ، لينشأ الأولاد على صحة كاملة بعيدة عن الأمراض والأسقام .

ولذلك يجب على الآباء والأمهات أن يرشدوا أبناءهم إلى التقيد بالتعليمات الصحية النبوية الكريمة مثل: الاعتدال فى المأكل والمشرب وغسل اليدين قبل الطعام وبعده ، والاهتمام بالنظافة فى المأكل والملبس والمسكن ، والأخذ بالوسائل الوقائية فى الحفاظ على صحة الولد . وكما يجب عليهم أن يراعوا فى ذلك التعليمات الطبية الحديثة للحفاظ على صحة الابناء حتى ينشأوا خالين من الآفات المرضية والأمراض السارية المعدية وهذا من جهة، ومن جهة أخرى أن الطفل بحاجة الى اللعب وممارسة الرياضة لتنميته جسميا وروحيا ونفسيا وعقليا ، لأن الرياضة تساعد على النمو الجسمى والذهنى .

ولقد اهتم الاسلام بالتربية الرياضية اهتماما بالغا وذلك لتحقيق هدف واحد وهو إعداد المؤمن إعدادا كاملا للقيام بأعباء الدعوة والجهاد فى سبيل الله تعالى ، ويقول فى ذلك محمد الغزالى فى فقه السيرة ( ) " وتمشيا مع توجيه الوحى وسياسة الواقع وحفاظا على حق الله وحق الحياة درب النبى صلى الله عليه وسلم رجاله على فنون الحرب واشترك معهم فى الاستعداد للمعارك وعد السعى فى هذه الميادين خطوات من أجل القرب وأقدس العبادات ، ولعله بذلك يفل شوكة الكفر ويكسر عن المسلمين آذاه "(ص ٢٢٢).

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على أن يتدربوا على السباحة والفروسية والرمى ، وقد سبق فى حديث عقبه بن عامر البجلي رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كيف فسر القوة بالرمى مجرد الرمى دون تقييد .

وروى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ستفتح عليكم أرضون ، ويكفيكم الله ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه) :(كتاب الامارة رقم : ١٩١٨).

وعنه أيضا انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من علم الرمى ثم تركه ، فليس منا أو قد عصى)(مسلم : كتاب الامارة ، رقم ١٩١٩).

وأخرج الامام البخارى عن مسلمة بن الاكوع رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على نفر من أسلم ينتضلون فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (ارموا بنو اسماعيل فإن أباكم كان راميا ، ارموا وأنا مع بنى فلان ، قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال عليه الصلاة والسلام: مالكم لاترمون . قالوا كيف نرمى وأنت معهم فقال صلى الله عليه وسلم ارموا فأنا معكم كلكم) : كتاب الجهاد رقم ٢٧٤٣ .

والاخبار فى ذلك كثيرة لاتحصى. وقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقتناء الخيل والقيام عليها لما فيها من الاجر والغنيمة والقوة المرهبة لاعداء الله وقد وردت أحاديث كثيرة فى ذلك وسبق ذكر بعضها .

وهذا يدل على أن الإعدادالجسمي والتنمية بالتدريب العملى أمر ضرورى فى منهج التربية الاسلامية ، ثم ان الجهاد مشتق من المجاهدة والمكابرة لشدة مافيه من المهام والاعباء والبأس والشدائد والمعاناة والمخاطر والمخاوف . وكما يحتاج الى أجسام قويةوعزائم وهمم عالية متينة كالجبال الراسخات الشامخات .

فلا بد اذا من إعداد الأجسام المناسة والملائمة للجهاد ومن ثم تدريبها لتتمرس على الصعاب وتتعود على المكاره حتى لايفاجأ بما لم يكن بالحسبان . ومن الأهمية بمكان أن الرياضة فى الوقت الحاضر تمارس بعيدة عن الروح الاسلامى وعن الآدب الاسلامية بحيث تؤدى إلى الانتصار الزائف والتنافس غير الشريف وتبث بذور الشقاق والتنافر بين أفراد هذه الامة. تمارس الرياضة لأجل الرياضة فى كثير من المجتماعات الاسلامية دون مرعاة الآداب الاسلامية .

ولاشك أن هذه من مخططات اعداء الاسلام لإبعاد الشباب المسلم عن رسالته ومهمته فى الحياة .

والواجب على الوالدين خاصة وعلى المربين وعلى المسئولين عن تربية

الشباب عامة ان يراعوا فى الرياضة الروح الاسلامية والآداب الاسلامية الشريفة، وذلك بتشجيع الناشئة على الحماس والتنافس الشريف بروح آخوية إسلامية بعيدا عن التحاسد والتباغض والتنافر والتشاتم ، مراعين فى ذلك آداب اللباس وستر العورة والابتعاد عن الاختلاط بالنساء الخ من الاداب الشرعية التى تجب مراعاتها ، ثم ان الرياضة فى الاسلام هدفها اعداد المسلم جسميا للقيام بمهمته فى الحياة خير قيام وتوفير اللياقة البدنية والعسكرية للجهاد فى سبيل الله تعالى .

وخلاصة القول فى واجب الأبوين نحو أبناءهم فى تربيتهم الجسمية :

أولا : إشباع حاجاته الضرورية من التغذية والرعاية الصحية بالأساليب الوقائية. وأود أن اقول فى هذا المقام أن الاساليب الوقائية فى الرعاية الصحية تنحصر فى عدة نقاط :

١ ـ الاهتمام بتغذيتهم ونظافتهم وفقا للقواعد الصحية .

٢ ـ تبصيرهم بطرق الوقايه من الامراض .

٣ ـ تجنيبهم من العادات السيئة ، مثل التدخين ، والمسكرات ، والمخدرات والشذوذ وذلك بتكوين الوعى الدينى والوعى الصحى والاجتماعى لديهم بطرق علمية .

٤ ـ مراقبتهم ومتابعتهم فى سلوكهم وأخلاقهم .

ثانيا : تنمية اجسامهم بالممارسات الرياضية بروح اسلامية عالية وبروح جهادية باسلة .

٦ ـ الاهتمام بشئون المسلمين عامة وبالقضايا الاسلامية الراهنة :

لقد سبق وان قلنا أن المسلم أخ المسلم ، والمؤمنون جميعا يجمعهم رابطة الاخوة الدينية على اختلاف السنتهم وأجناسهم وأوطانهم ، المؤمن للمؤمن كالبنيان وكمثل الجسد الواحد . فلابد للمؤمن أن يهتم بأخيه المسلم يشترك معه فى حزنه وسروره يتألم بآلامه ويؤثره على نفسه .

ان الاهتمام بالمؤمنين لايعنى التعرف على اسماءهم وصفاتهم وانما يعنى المسئولية ، وحب المشاركة الوجدانية المخلصة فى حل مشكلاتهم وقضاياهم .

يقول فى ذلك سعيد حوى فى كتابه جند الله (١٣٩٩ هـ) :" والإهتمام بأمر المسلمين يشمل معرفة بلدانهم ، وأحوالهم فى بلدانهم ، والمؤامرات عليهم والدوائر التى تكيد لهم والمصائب التى تنزل بهم ، وهذا كله لايتم بلا معرفة مباشرة وتحسس مباشر ، وتألم مباشر وتجاوب دائم " ص ١٤١ .

وكذلك معرفة توزيع المسلمين فى العالم ومعرفة أوضاعهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحركات الاسلامية ومعرفة علاقاتهم مع أخوانهم فى العالم .

إن الاهتمام بأمور المسلمين دليل الإيمان ، ومن ثمرات الإيمان ومقتضياته قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ .

(الحجرات / ١٠)

والمؤمنون أمة واحدة ، هدفهم واحد ومصيرهم واحد . ومن مقتضيات هذا الايمان فى هذا العصر الاهتمام بأمور المسلمين سواء كانت داخل المجتمع الاسلامى أو خارجه وفى كل بقعة من بقاع الأرض فيها مؤمنون .

ولعل أولى الناس بنصرتنا هذه الايام إخوان لنا تحت ظلم الإحتلال يقاسون من آلامه مايصعب وصفه ، إن نصرة اخواننا فى الاراضي المحتلة فى

فلسطين واجب مقدس على كل المسلمين . إن قضية أفغانستان هي قضية إسلامية محضة ، غزاها الشيوعيون الملحدون لطمس العقيدة الاسلامية والمعالم الاسلامية ، لقد قام ويقوم المجاهدون الأفغانيون بجهادهم منذ عشرة سنين بإمكاناتهم المادية والمعنوية. وإن دعمهم ومساندتهم واجب على كل مسلم وكذلك اخواننا فى الفلبين وأرتيريا والأقليات المسلمة فى روسيا وبلغاريا وأفريقيا وسائر بقاع الأرض يستمدون من إخوانهم فى الدين كل العون والمساندة والتأييد ولذلك يجب على كل مسلم الاهتمام بأمور إخوانه فى كل مكان وفى كل زمان للتعرف على أحوالهم ومشكلاتهم وقضاياهم ، ودعمهم دون ملل أو كلل حتى يأتى نصر الله تعالى .

ومن الجدير بالذكر أن أعداء الله من اليهود والنصارى يبذلون جهودهم كلها لنشر عقائدهم الفاسدة وأفكارهم الباطلة . والذى يلقى نظرة على مخططات الصهيونية العالمية والتبشير العالمى يدرك تمام الإدراك واجبه فى هذه الحياة، وهم يسعون بكل جد واخلاص في سبيل الباطل ، فما لأهل الحق لايسعون فى سبيل الحق !

ومن واجب الوالدين أن يكونا على وعى تام بمهمتهم نحو إخوانهم فى الدين وأن لايقطعوا علاقاتهم وروابطهم بحال من الاحوال عن العالم الاسلامى الذى يمثل كيانا واحدا وأمة واحدة .

والولد الذى يرى والده لايلتفت الى من حوله من المسلمين ولا يتألم بآلامهم بل لايفكر إلا فى مصلحته الشخصية ، لايستطيع أن يتربى على الاخوة الاسلامية وعلى البذل والفداء والتضحية .

والولد الذى يرى والده وهو يتقلب فى النعيم ويسعى وراء شهواته وملذاته وصرف ماله فيما لا يرضى الله لا يتعلم العفة والايثار والعطاء والانفاق فى وجوه الخير ، لانه لم يتعود عليه ولم يره فى أسرته .

ومن هنا يظهر بوضوح أهمية القدوة الحسنة فى التربية ، إن الطفل الذى يشاهد والديه يهتمان بامور المسلمين ويتابعان أخبارهم ويقدمان لهم كل العون والمساعدة لابد يتأثر بسلوكهما وينشأ على هذا الشعور إن شاء الله تعالى .

المبحث الثاني

(واجب المدرسة في التربية الجهادية)

—

ويشتمل هذا المبحث على :

* مقدمـــة في مكانة المدرسة في التربية عامة وفي التربية الجهادية خاصة .

* الخطوات النظرية في دور المدرسة في التربية الجهادية وهي :

١ ـ تقوية الإيمان وترسيخه في نفوس التلاميذ بالوسائل المختلفة .
٢ ـ تزكية نفوس الناشئين بالعبادات والأخلاق الحسنة .
٣ ـ غرس خلق الشجاعة والجرأة والرّجولة والخشونة في نفوس التلاميذ .
٤ ـ تعويد التلاميذ على النّظام .
٥ ـ غرس روح الاستشعار بالمسئولية وتنمية الرّوح الجماعيّة لـــدى التلاميذ .
٦ ـ غرس روح الفداء والتضحية بالنّفس والمال فـي أذهان التلاميذ .
٧ ـ إدراك معنى الولاء والبراء في نفوس التلاميذ .

* الخطوات العملية في دور المدرسة في التربية الجهادية وهي :

١ ـ دراسة آيات الجهاد في القرآن الكريم .
ـ دراسة أحاديث الجهاد في كتب الحديث .
ـ دراسة فقه الجهاد في كتب الفقه .
ـ دراسة شعر الجهاد في كتب الأدب .
٢ ـ دراسة السّيرة النبوية الشريفة دراسة واعية .
٣ ـ دراسة التاريخ الاسلامي بشكل عام بصبغته الاسلامية ، وذكـــر قصص الأولين من الأنبياء والمرسلين .
٤ ـ التربية البدنيّة للفرد .
٥ ـ حفظ التلاميذ عن أخطار الغزو الفكري والثقافي والتعليمي .
٦ ـ الإستفادة من المسرح المدرسي .
٧ ـ جمع التبرعات المالية دعما للحركة الجهادية وتعويدهم على الانفاق في سبيل الله تعالى .

* مكانة المدرسة في التربية :

إن المدرسة هي المؤسسة الثانية التي تتسلم الناشئة من البيت، وتقوم على تربيتهم وتعليمهم وتنشئتهم وفق المناهج التي رُسمت من قبل المسئولين عليها. وهي مؤسسة وتنظيم إجتماعي ، أنشأها المجتمع خاصة لتربية الأجيال وتعليمها. وهي مؤسسة متخصصة خُصصت للتربية والتعليم بطريقة علمية منظمة ومنسقة . وأنها بيئة تربوية موسعة تضم جميع أبناء المجتمع دون تفريق .

إن دور المدرسة واضح جلي في تثقيف الناشئة وتربيتهم بما تقدمه لهم من خبرات منظمة ومتنوعة وأنشطة مختلفة، ومعلومات تغطي مختلف مجالات المعارف الإنسانية، كل ذلك في إطار حِكْمة تربوية تنبثق من الإطار العام لأهداف المجتمع وحياته ، وحاجات التلميذ ومتطلبات الحياة. ولاشك أن الحكمة التربوية الاسلامية منبثقة عن الغايات والأهداف التي وُجد الانسان من أجلها في ضوء علاقاته مع خالقه ، والكون والحياة ومع أخيه الإنسان .

ولذلك تتأثر المناهج والأساليب والوسائل إلى حد ما بهذه الحكمة التربوية التي تنبثق عن الأهداف العامة للمجتمع ، وعلى سبيل المثال : إن المجتمع الاسلامي من الضروري أن يضع أهدافا عامة يسعى إلى تحقيقها من خلال العملية التربية ، وهذه الأهداف هي نفس الأهداف من إرسال الرسل وانزال الكتب والجهاد في سبيل الله تعالى ، إذْن أن هدف التربية الإسلامية هو تحقيق العبودية لله تعالى على وجه الأرض على مستوى الأفراد والجماعات والأمم وتحقيق السعادة للبشرية جمعاء. إن الاسلام دعوة ورسالة ، ولابد من وضع الأهداف والغايات في المؤسسات التربوية لإخراج الدعاة وأصحاب رسالة ، وبعبارة أخرى أن الحكمة التربوية أو فلسفة التربية منبثقة عن عقيدة المجتمع ودينه .. ونظامه السياسي ونظرته الى الانسان والكون والحياة ، ومن هنا أن فلسفة التربية الاسلامية منبثقة عن الإسلام .

والمجتمع الشيوعي يسعى إلى تحقيق أهداف ايدولوجية الشيوعية في العملية التربوية ، وبناء على ذلك يضع الأهداف والغايات وينظم المناهج ويستخدم الوسائل والأساليب لإخراج مواطن شوعي موالٍ لنظامه وحكامه ، وكذلك المجتمعات الرأسمالية وغيرها من المجتمعات يسعون إلى تحقيق أهدافها من خلال مؤسساتها التربوية .

اذنْ أُن المدرسة وجدت أصلا لتحقيق أهداف المجتمع بطريقة منظّمة منسّقة مبسّطة وذلك بتنشئة جيل يحقق أهداف ذلك المجتمع .

ثم إن المدرسة هي واسطة من وسائط التربية ،لها وظائف عدّة وخصائص مختلفة ، يقول في ذلك عبدالرحمن النحلاوي في «أصول التربية الاسلامية» (١٣٩٩ هـ) مقارنا بين وظائف المدرسة الغربية وبين أهداف التربية الاسلامية :

" إن الوظيفة الأولى للمدرسة التبسيط والتلخيص، بحيث أن الناشيء بحاجة ماسة إلى تقريب المبادىء التي بنيت عليها الحضارة المعاصرة ، وتبسيطها بحيث يستطيع فهمها والتعامل معها ، والوظيفة الثانية هي التصفية والتطهير ومعناها تطهير الأفكار والعلوم من الشوائب والعواطف الكاذبة . والمدرسة تقدم الأفكار أو العلوم إلى الناشئة بعد تصفيتها وتنقيتها من كل الشوائب والأكاذيب ، والوظيفة الثالثة توسيع آفاق الناشيء وزيادة خبراته بنقل التراث إلى الأجيال ، والرابعة وظيفة الصهر والتوحيد وإيجاد التجانس والتأليف بين الناشئين وأما الوظيفة الخامسة هي تنسيق الجهود التربوية المختلفة وتكميل مهمة المنزل التربوية " .(ص ١٣٥ - ١٤٦) ، ثم قام بمقارنة هذه الوظائف بأهداف التربية الاسلامية .

ومما لاشك فيه أن هذه الوظائف المنوط من المدرسة القيام بها متضمنة في التربية الاسلامية ، ومن ذلك على سبيل المثال :

إن وظيفة التبسيط والتلخيص هي قاعدة أساسية في منهج التربية الاسلامية ، ولقد جاء في حديث رواه مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره ، يقول : (بشّروا ولاتنفّروا ويسّروا ولاتعسّروا)(كتاب الجهاد ، رقم : ١٧٣٢). فأما وظيفة التصفية والتطهير ، وهي من طبيعة التربية الاسلامية ومن أهم أهدافها ، ولذلك حارب الاسلام البدع والخرافات والأساطير ونهى عن التشاؤم والتطيّر . ولقد إهتم الاسلام إهتماما بالغا بتطهير العقل والنفس ، وهذه من أهم سمات هذا الدّين الحنيف .

وكذلك نقل التراث وإيجاد التجانس والتآليف بين الناشئين وهي من أهم خصائص هذا الدين ، ومن أهم مميزات التربية الاسلامية . لاتوجد أمة على وجه الأرض أشد تمسكا بتراثها من هذه الأمة الاسلامية ، وخير شاهد على هذا اهتمام الأمة بإحياء تراثها وذلك بتحقيق المخطوطات القديمة ونشرها وطبعها بعناية فائقة . إن هذه المبادئ من أهم خصائص المدرسة الإسلامية التي يجب على المسئولين والمؤسسات التعليمية في البلاد الاسلامية - تنفيذا وتخطيطا - مراعاتها في المناهج الدراسية في جميع مراحل التعليم والتربية .

ثم إن المدرسة لها وظيفة أخرى وهي ترسخ الأخلاق والقيم في نفوس الناشئين ، إن العملية التربوية تعتبر - في الأساس - عملية خُلُقِيّة ، تقوم على القِيَم ، وتنمّي الأفراد عليها ، ثم إن هذه القيم يجب أن تتخلل جميع المناهج الدّراسية ، إذ لابد أن تسيطر على كل ميادين الدراسة، ومن الجدير بالذكر أن الأخلاق والقيم في الاسلام ثابتة لاتتغيّر بتغيّر الزّمان والمكان ولاتختلف من شخص إلى شخص .

إن غرس هذه القيم لايتّم إلا بإشعار التلاميذ بأهمية هذه القيم بالنسبة لهم وبالنسبة للجماعة الّتي ينتمون إليها ، وربطها بالقدوة الصالحة المتمثلة في المعلم الخيّر الكفء الّذي يكون في درجة عالية من المهارة والإتقان .

والمعلم في المدرسة هو المثل الأعلى والأسوة الحسنة في نظر الناشيء، يحاكيه سلوكيا ويقتدى به خلقيا من حيث يشعر أو لا يشعر، ولايكفي أن يكون معلم واحد في المدرسة قدوة حسنة للناشئين ولابد أن تتمثل هذه الصفة في جميع المعلمين لئلا يضطرب هذا المفهوم في نفوس الناشئين .

إن للأطفال حاجات نفسية وهي لاتقل أهمية عن الحاجات الجسمية ، وأن الصحة النفسية لاتنفصل عن الصحة الجسمية ، هذا مايقرره علماء النفس المعنيون بالطفولة ولابد من مراعاة هذه الحاجات في المناهج المدرسية وفي معاملة المعلم لتلاميذه ، وأما بعض هذه الحاجات فقد ذكرها عبد الرحمن الباني في كتابه : مدخل إلى التربية في ضوء الاسلام (١٤٠٣هـ)، وهي : " الحاجة إلى المغامرة والمخاطرة ،والحاجة إلى الأمن والطمأنينة والمحبة والعطف والتكريم والتقدير والحرية ،والحاجة إلى سلطة ضابطة وموجهة، والحاجة إلى النجاح والتشجيع " (ص ٤٧)

وهذا يقتضى أن يكون المخططون للمناهج والمعلمون على إلمام كاف بعلم نفس النمو وخصائص ومميزات مراحل الطفولة والشباب ، وهذه احدى صفات المعلم الكفء الذي يجب أن يتصف بالمهارات المهنية في مجال التربية والتعليم .

وخلاصة القول أن المدرسة مؤسسة متخصصة في التربية والتعليم، أوجدها المجتمع لتعليم أبنائه وتربية أجياله ، وهي تقدم للتلاميذ المعلومات والمعارف والخبرات المختلفة والمصاحبة بالأنشطة المتنوعة وكما هي ترمي إلى تنمية الناشيء من الناحية الجسمية والعقلية والاجتماعية والجمالية والنفسية وإعداده إعدادا كاملا للحياة بالطرق والأساليب التربوية المختلفة .

* مكانة المدرسة في التربية الجهادية :

وقد قلنا في الصفحات الماضية من هذا البحث أن شباب الإسلام شباب دعوة وجهاد ، يتأسون بالصحابة الكرام في جهادهم في كل ميدان ومعركة ، وصراعهم الدائم مع الأعداء ، ومقاومتهم الباطل في كل مكان بوسائل الجهاد وأسلحته كلها. إن الصحابة رضي الله عنهم جميعا قد تربّوا في مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم بتربية جهادية ، والمدرسة لابد لها من أهداف ، ومناهج ومحتوى ، ومعلمون . وكانت أهداف تلك المدرسة هداية العالم بنور الاسلام وكانت مناهجها الكتاب والسنة ، ومعلمها معلم البشرية كلها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى يديه تخرّج هؤلاء الأبطال الذين باعوا أنفسهم لله تعالى رخيصة بجنّة عرضها السّموات والأرض ، نشروا هذا الدين بأخلاقهم وأدبهم قبل سيوفهم إلى العالم.

وقد درج المسلمون من بعد ذلك على إنشاء المدارس لتربية الأفراد المسلمين مقتدين بالرسول صلى الله عليه وسلم في تربية أصحابه رضي الله عنهم ، ولقد مكّنهم ذلك من إقامة حضارات إسلامية لها شهرتها ووزنها ، وكانت لها الغلبة على كل الحضارات في حينها ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة / ١٣٤). ولقد أدى أسلافنا رحمهم الله تعالى جميعا مهمتهم وقاموا بواجبهم نحو دينهم وأمتهم ، ولذا علينا أن نكون خير خلف لخير سلف. إننا لسنا بمسئولين عنهم ، وإنما نسأل عن أنفسنا وعن أداء واجبنا وعن إمكانياتنا ، هذا ما يهمّنا في الدرجة الأولى في هذه الأيام. والمنهج هو المنهج موجود بين أيدينا، كتاب الله كيوم نزل محفوظا في الصدور ومسطورا في السطور ، والأهداف منبثقة منه وهي جلية كالشمس، والمعلمون هم العلماء والأمراء وكبار المسئولين من هذه الأمة وهم موجودون، والطّرق والأساليب كما هي في الكتاب والسنة ، وزيادة على ذلك أن هذه الطّرق والأساليب والوسائل التربوية قد تطوّرت. إذنْ ماهي أسباب الضعف والفشل؟ والجواب على هذا السؤال سهل ، يعرفه العامة والخاصة ، هو ضعف الهِمَم وعدم الإخلاص والتبعية للغرب والشعور بالعجز ، عدم الثقة بالنفس وعدم الشعور بالمسئولية. ومادام كل أركان العملية التربوية موجودة فما ينقصنا؟

وقد تأسست عدة مدارس على الطّراز الاسلامي في بعض البلدان الاسلامية وتم تخريج الآلاف من الشباب على أمل إحياء الرّوح الجهادية وإذكاءها من جديد، ولم تثمر الجهود المبذولة كما ينبغي ، إذنْ أين التقصير؟ وفيمن؟

وللاجابة على ذلك ، فلابد وأن نلفت النّظر إلى نقاط الضّعف في هذه العملية ، وأن نبحث عن جذور المشكلة وأصولها .

إن التقصير إما أن يكون في التخطيط ، وإما أن يكون في التنفيذ أو في كليهما معا، وفي رأيي أن أسباب فشلنا تكمن أولا في سوء التخطيط؛ أخذنا مناهج الغرب بكل حذافيرها دون الإنتقاء والاختيار وقد طبّقناها في مدارسنا ، وقد غفلنا أن تلك المناهج متشبعة بأهداف الغرب وأخلاقه وقيمه وتقاليده وبظروفه الخاصة.

ومن الجدير بالذكر أن العلوم الاجتماعية بصفة خاصة والعلوم الإنسانية بصفة عامة وثيقة الصلة بالدّين والقيم ، وحتى العلوم التجريبيّة والطبيعيّة ولها علاقة وثيقة بالباحث ، ومن المستحسن أن نضرب مثلا للايضاح : أن خالق الكائنات والكون هي الطبيعة نفسها ، وأنّ الطبيعة وجدت هكذا صدفة في نظر الغرب ، وهذا الفكر فكر إلحادي ، تسرّب الى مقرراتنا ومناهجنا في مدارسنا بسبب بعض المترجمين الغافلين . وهو يخالف عقيدتنا الاسلامية ، والأمثلة على ذلك كثيرة.

ثانيا ، في التنفيذ ، حيث تدرس جميع المناهج الدراسية في أغلب بلدان العالم الاسلامي بعيدا عن الرّوح الجهادية بمعنى أن المعلم لايُشعر تلاميذه بأنهم أصحاب دعوة ورسالة وجهاد ، وأن دراسة جميع هذه المقررات ترمي في النهاية إلى اخراج جيل مسلم متمسك بدينه وعقيدته ويسعى إلى نشر دينه والدّعوة اليه والفداء والتضحية في سبيله . وإنما يقدم لتلاميذه المعلومات النظرية دون العملية والتطبيقية.

إن هذا مخالف لأسلوب السلف رحمهم الله ، إذ كانوا لايفرّقون بين القول والعمل وبين النظرية والتطبيق ، كانوا رهبانا في الليل

وفرسانا بالنهار ، ولقد حملوا القرآن بأيديهم، والسيف بالأيدى الأخرى وانطلقوا إلى مواقع العزة ومنازل الشهداء .

والمؤمن جندي من جنود الحق ، ومجاهد في سبيل الله تعالى أينما كان وحيثما كان، دون النظر إلى عمله أو موقعه أو تخصصه ، وهو مسئول عن الدفاع عن عقيدته ونشرها وأن يقدم تضحيات في سبيلها ، ولابد من إعداد الأجيال على هذه الروح والشعور ، وإن النصيب الأكبر في هذا على عاتق المسئولين عن التربية والتعليم ، ولاشك أن المدرسة هي المؤسسة المتخصصة في ذلك كما سبق بيانه .

إذن فلابد من إعداد الأجيال المسلمة على تربية جهادية من خلال مدارسنا في جميع مراحلها بالأساليب المناسبة والطرق الملائمة والأنشطة المختلفة . ومن خلال الصفحات التالية يقوم الباحث إن شاء الله تعالى - بتحديد واجب المدرسة بشكل عام - دون النظر إلى اختلاف المراحل الدراسية - بأمل المساهمة في تضافر الجهود نحو بناء تكامل الشخصية للفرد المسلم . والله المستعان .

١ ـ تقوية الإيمان وترسيخه في نفوس التلاميذ :

ذلك بالوسائل المختلفة ، وما يترتب على الإيمان من مسئوليات والتزامات دينية وأخلاقية واجتماعية وانسانية وسياسية .

إن المدرسة مؤسسة متخصصة في التربية والتعليم كما قلنا، ولذلك فلابد وأن تسعى إلى تقوية الإيمان وتنميته وترسيخه في نفوس التلاميذ بطرق علمية صحيحة وبالوسائل والأساليب المختلفة .

إن الايمان يترتب عليه مسئوليات والتزامات ، منها الالتزامات الدينية في الدرجة الأولى. كما سبق وأن قلنا أن الايمان ليس بالتحلّي ولا بالتمني ولكن ماوقر في القلوب وصدقته الأعمال ، والإيمان هو الانقياد بالظاهر والطمأنينة بالباطن والعمل بحسب الأمر والنهي رغبة ورهبة .

إن الايمان يدعو إلى العمل والقيام بالعبادات على أحسن الوجه كما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. واذا قال العبد ((لا اله إلا الله محمد رسول الله)) يلتزم بتعليمات الإسلام وأوامره ونواهيه كلّيا . لابد أن يؤدي الصلوات الخمس والصيام والزكاة والحج ، وذلك من مقتضيات إيمانه .

وكذلك من الإلتزامات الأخلاقية ، أن الايمان يدعو إلى التحلّي بالمكارم والفضائل والآداب الحسنة، والتخلي عن الرذائل وسوء الأخلاق ، فلابد للمؤمن أن يتّصف بهذه التعليمات الخلقيّة ، وقد نفى صلى الله عليه وسلم الإيمان عن مرتكبي بعض المخالفات الدينية حال فعلها ، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يزني الزّاني حين يزني وهو مؤمن ، ولايشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ،ولايسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولاينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن " . (كتاب الحدود ، رقم ٦٣٩٠).

وفي هذا الحديث الشريف بيان أن الجوارح تابعة للإيمان في القلب، فصدور الفعل المنافي للدين دليل على عدم رسوخ الإيمان وعلى عدم التصديق

بالباطن ، وأما الالتزامات الاجتماعية فكثيرة لا تحصى وعلى سبيل المثال ، إن المؤمن مطالب بأداء حقّ جاره، وللجار حقوق كثيرة مثل : السّلام ، وأن يعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ، ويشترك معه في مسرّاته ومضرّاته ، وأن يسد عوزه عند الحاجة .

ولقد روى الامام البخاري بسنده عن أبي شريح رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " والله لايؤمن والله لايؤمن ، والله لايؤمن " قيل : من يارسول الله ؟ قال : " الذي لا يأمن جاره بوائقه "(كتاب الآداب ، رقم ٥٦٧٠).

وقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم كمال الايمان عن المؤمن الذي لايأمن جاره شروره وإن صلى وإن صام ، لأن الأحسان إلى الجار بصفة خاصة وإلى المؤمنين بصفة عامة دليل الإيمان الكامل وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالمعروف .

وأما الالتزامات الإنسانية فهي من أهم سمات المؤمن ومميّزاته الأساسية ، لأن الايمان يقتضي معاملة الناس بإحترام كرامتهم الإنسانية وصفتهم البشرية ، روى الامام البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مامن مسلم غرس غرسا فأكل منه إنسان أو دابّة إلا كان له صدقة " (كتاب الأدب ،رقم ٥٦٦٦).

نستدل من هذا الهدي النبوي الشريف أن المؤمن يسعى دائما لإسعاد البشريّة جميعا وذلك بتقديم خدمات انسانية لهم ، والإحسان اليهم.ولايقف إحسان المؤمن عند أخيه الإنسان بل يتعدى إلى جميع الكائنات الحيّة من دابة أو طير.وكذلك الالتزامات السياسية أن المؤمن ملتزم بتقديم النّصح والارشاد ، والمشورة إلى أولي الأمر والقادة والولاة وكل من يلي أمور المسلمين ، لأن إيمانه يدفعه إلى صيانة مجتمعه وحفظه من الإنتهاك لحرمات الله تعالى ، ولاشك أن انتهاك محارم الله تعالى يفضي إلى ضياع الايمان أو نقصه في قلوب المؤمنين .

ويتبين مما سبق أن واجب المدرسة أن تشعر تلاميذها هذه المسئوليات والالتزامات ، ولاتكتفي بتلقين الإيمان في نفوسهم ، فلابد وأن تسعى إلى إظهار دلائل الايمان وأماراته في المجال العملي السلوكي الواقعي وربطها بالحياة اليومية للناشئة ، وببيان أن الايمان عمل القلب والجوارح في نفس الوقت ولايمكن الإيمان أن يثمر لدى صاحبه إلا بالممارسات العملية التي تدفعه إلى الامتثال والاستسلام الكامل لمنهج الله تعالى نصّاً وروحا ،وسلوكا ، ثم ان من أهم واجبات المدرسة تعريف الناشئة العقيدة الاسلامية الصحيحة وذلك بمعرفة أنواع التوحيد من ألوهية وربوبية ومعرفة أسماء الله تعالى وصفاته بأسلوب مبسّط على طريقة القرآن الكريم ،والاستدلال على وجود الله تعالى بالآيات الكونية وبطريقة العقل والنظر في مخلوقات الله تعالى وآلاءه جل جلاله .

فبالوحي من جانب ، وبمعرفة الأسماء والصفات والتأمل والتفكير والتدبر في المخلوقات من جانب آخر يعرف الناشيء ربّه ويهتدي إليه ، ولابد من تعريف التلاميذ بأهمية التلازم في التوحيد ، حيث أن كل نوع منهالاينفك عن الآخر ، وشرح كل نوع منها بما يؤدي الى فهم التلميذ له .

وأما معنى هذه الأنواع ، يقول الدكتور محمد أحمد خفاجي في كتابه العقيدة الاسلامية (١٣٩٩هـ):

" توحيد الربوبية يعني الإقرار أن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي والمميت ، النافع الضار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله ، القادر على مايشاء ليس له في ذلك شريك . وهذا التوحيد هو الذي جبلت الفطر على الإعتراف به ، والخضوع له سبحانه وهو لايكفي العبد في حصول الاسلام ، بل لابد أن يأتي مع ذلك يلازمه من توحيد الالهية وهي بمعنى أن يعبد الله وحده ولايشرك بعبادته أحد من خلقه ،وأما توحيد الأسماء والصفات معناه أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف أو تعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل " ص ٢٠٢ – ٢٢٤ ، (نقل بتصرف).

وإذا تأصلت هذه المعاني في قرارة نفوس الناشئة وترسخت استشعروا بعظمة الله تعالى وتعلّقت قلوبهم بمحبته ، يعتمدون عليه في أمورهم كلّها ولايشركون بالله تعالى في عبادتهم وحياتهم ، ويفردونه بالعبادة ولا ينحنون لأحد إلا الله ، ولايخضعون إلا لله تعالى ، ولا يطلبون الرّزق إلا من الله ، لأنه هو الرزاق ذو القوة المتين ، وكذلك يتعرفون على أسماء الله الحسنى ويتدبرون معانيها عندما يقلبون النظر فيها بحيث كلها تشعر بصفات الكمال والجلال والجمال ، وبذلك يتدربون على العقيدة الاسلامية الصحيحة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ٠

ومن الجدير بالذكر أن الاطلاع على الأسرار في المخلوقات وغرائب الكون الفسيح يقوي الايمان ويزيده رسوخا ، ولذلك يجب على المدرسة تقوية إيمان الناشئة وذلك بدراسة الآيات الكونية وآيات الأنفس والآفاق في ضوء المكتشفات العلمية الحديثة ، وينبغي هُنا أن نُنبّه إلى أن الخطر كلّ الخطر في دراسة الآية الكونية من القرآن الكريم في ضوء النّظريات والفرضيّات التي لم تثبت صحّتها علميًا ولم تصل إلى درجة القانون ، قد تؤدي إلى الشك والارتياب عند بعض الناشئة ، ولذلك يجب على المعلمين أن يتناولوا في شرحهم ودراستهم لآيات القرآن والحقائق العلمية الثابتة الّتي لاتطرأ عليها الشك بحال من الأحوال ، وبذلك يزدادون رسوخا ويقينا عندما يشاهدو التوافق بين آيات الرحمن والآيات الكونية ، ولاشك أن الحقائق العلمية لاتتعارض بحال من الأحوال أو بشكل من الأشكال مع الآيات القرآنية ، لأن مصدر كل منهما هو الله سبحانه وتعالى ، وإن يُرى أنّ هناك تعارضا، وهذا ناتج إما عن قصور الانسان لفهم آيات القرآن ،أو القصور في المادة العلمية التي تجب اعادة النظر فيها، ومن واجب المدرسة في هذا الصدد أن يشعر التلاميذ حدود العقل عند الانسان ، وذلك ببيان أن هناك عالمين عالَم الغيْب وعالَم الشهادة ، وأنّ حدود العقل في نطاق عالم الشّهادة ، الحياة الدنيا ، وإنما عالم الغيْب أو مايسمى بالغيبيّات في الدار الآخرة ، وهذا ليس للعقل أن يتدخل فيه ، لأنه، فوق طاقته وقدرته ، إن الوحي هو الذي يزودنا بالمعلومات عن ذلك العالم ٠

واذا تعرف الناشيء على هذا يعرف حدود العقل البشري ويطّلع على مواضع بحثه ، فلا يبحث في الغيبيات ، وانما يؤمن بها كما جاءت ويستسلم كما وردت ويقول : آمنت. لأن البحث في الغيبيات كما قلنا يؤدي إلى الحيرة والشك ، لأنه فوق طاقة هذا الميزان البشري . هذا من وجهة ، ومن وجهة أخرى أن الايمان بالغيبيات اختبار من الله تعالى لعبده ، ولاشك ان هذه تربية للعقل في نفس الوقت ، وبذلك يتدرب عقل الناشيء وهو في أولى مراحل حياته على الإختبار والإمتحان ، يعرف قدراته ومكانته وذاتيّته ، ويُبدي العجز وعدم القدرة أمام قدرة القادر الجبّار ، وهذا يفضي إلى الاستسلام لخالق الكون والآخرة .

إن واجب المدرسة لاينتهي عند هذا الحد ، فلابد من التّصدّي للتيّارات الفكرية الجارية والأفكار الإلحادية الهدّامة الّتي تقصد هذا الجوهر الإلهي في قلب المؤمن وسلوكه وعمله ، وتريد النّيل من هذا النّور الرّبّاني. لأن الناشيء في هذه الفترة الدراسية لم يكن قد وصل إلى درجة النّضج العقلي والكمال الشخصي بالصورة الّتي تمكنه من التصدي بوعي وبصيرة لمثل هذه التيارات الفكرية المضادة للدين الاسلامي .

وبذلك تنحصر واجب المدرسة في ترسيخ الايمان في نفوس الناشئة في أمرين أساسيين :

الأول : تحقيق الايمان وترسيخه وتنميته في نفوس الناشئة .
الثاني : صيانة هذا الإيمان وحفظه من مبطلاته .

إن الجهاد في الاسلام إنما شرع لأجل العقيدة ، لترسيخها في القلوب والدفاع عنها ، وللحفاظ على معتنقيها ، وإيصالها إلى كافة النّاس في العالم هذا من جهة . ومن جهة أخرى أن الايمان إذا لم يكن راسخا في قلوب المسلمين ، ولم يتحقق فيها ، فلا يتوقع منهم أبدا أن يضحّوا بشيء من أموالهم وأنفسهم في سبيله ، لأن الايمان الصادق الراسخ هو الذي يدفع الفرد إلى الفداء والتضحية، والعقيدة الصحيحة الثابتة هي التي تدفع صاحبها إلى الايثار والبذل في سبيل الله تبارك وتعالى .

٢ - تزكية نفوس الناشئين بالعبادات والأخلاق الحسنة :

إن وظيفة المدرسة بعد ترسيخ الايمان بالله تعالى في نفوس الناشئة هي تزكية نفوس التلاميذ بالعبادات وتحليتها بالأخلاق الحسنة والخصال الجميلة والآداب الاسلامية الجميلة.

إن العبادات كلها صلة بين العبد وربه ، تحي معاني الإيمان في قلب المؤمن ، أن الطفل يذهب إلى المدرسة وقد تعود على ممارسة بعض العبادات في أسرته ، مثل الصلاة وقراءة القرآن ، وتتلقى المدرسة هذا الطفل وتبني على ماتعلّمه الطفل في أسرته وتبذل جهدها لاستكمال البناء كما يريده الله تعالى .

وفي المدرسة يتعلم الناشيء كيفية ممارسة هذه العبادات بشكل منظّم ومنسّق بيد المعلمين الأكفاء أصحاب القدوة الصالحة . يتعرف على أركانها وواجباتها وسننها وآدابها مدعوما بالأدلة من الكتاب والسنة وعمل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

إن واجب المدرسة يختلف اختلافا جزئيا عن واحب الأسرة في هذه العملية التربوية بحيث أن المدرسة تقدم المعلومات بشكل صحيح مبنيّ على أسس سليمة بعد الإنتقاء والإختيار لما يتناسب مع طبيعة المجتمع ونبذ ما لا يتناسب ، ولاشك أن هذه العملية عملية تخصصية تنفرد بها المدرسة دون باقي المؤسسات التعليمية .

وبعد أن تعرف الناشيء على كيفية أداء العبادات بأركانها وواجباتها وآدابها ، فلابد للمدرسة أن تنتقل إلى مرحلة أخرى وهي بيان أن تلك العبادات تطهّر النفوس من الأدناس والذّنوب وتنهي الفرد عن ارتكاب المنكرات والفواحش والخوض في المعاصي ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (سورة العنكبوت / ٤٥).

وببيان أن الصلاة تمدّ المؤمن بقوة روحيّة تُعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا وخاصة في الجهاد ، قال تعالى : * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * (سورة البقرة / ١٥٣)٠

وكذلك باقي العبادات كلها تمدّ المؤمن بقوة إيمانية روحيّة تدفعه إلى مواجهة المصائب والمشاكل بعزم وحزم٠ وعلى سبيل المثال : إن الزكاة تطهّر النّفس من الشّح والبخل ، وتدفع المؤمن إلى الانفاق في وجوه الخير ، ومواجهة المشكلات الإقتصادية بروح سخيّة كريمة ، وكذلك الصوم يطهّر النّفس من شهواتها ويهذّبها على الصّبر و تحمل الأذى ٠ وكذلك الحجّ وباقي العبادات من الذّكر وتلاوة القرآن ٠٠٠

والواجب على المدرسة في هذه العملية عدم الاكتفاء بالتعريف والعمل ، فلابد من بيان وجوب الإخلاص في كل الأعمال ، لأن الله تعالى لايقبل من الأعمال الا ابتغاء مرضاته ، قال تعالى : * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ٠٠٠ * (البينة / ٥)٠ وقال أيضا: * الّذين هم في صلاتهم خاشعون * (سورة المؤمنون / ٢)٠

وكذلك بيان الإتقان في الأعمال كلّها ، وضرورة الخشوع والخضوع ، و تجنّب الرّياء، لأن الرياء هو الشرك الأصغر كما ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، ولذلك فلابد من إقامة الصلاة في المدرسة مع الجماعة ، خلف المدرسين الأتقياء، لأن صلاة الجماعة خاصة في هذا الموقف تربط الناشيء بالجماعة ارتباطا واعيًا ، وتُكسبه لذّة الشعور بقوّة الجماعة وعواطفها المشتركة بين أفرادها ، وكما تُكسبه أسمى معاني العزّة والكرامة والأخوّة الإيمانية ٠

والجدير بالذكر في هذا المقام أنه لابدّ للمدرسة أن تشرح للتلاميذ المقاصد العليا والأهداف الكبرى من إقامة الصلاة وصوم رمضان وإيتاء الزّكاة وحج بيت الله تعالى مقترنا بآثارها الفردية والجماعية ، مثل :

الآثار السلوكيّة والدينيّة والاجتماعيّة والاقتصادية والسياسيّة والنفسية والروحيّة والعقليّة ، وبذلك يتعرف التلميذ على الرّوح الحقيقية لهذه العبادات ، ويؤديها عن طيب نفس دون المراقبة القانونيّة والسلطة الحاكمة ، يؤديها بإخلاص في كل الظروف والمناسبات .

وأما تحلية نفوس الناشئة بمكارم الأخلاق فإن الدرجة الأولى في هذه العملية تقع على عاتق المعلمين وناظر المدرسة والإداريين بأن يكونوا أسوة حسنة للتلاميذ بأخلاقهم الحميدة وآدابهم ومعاملاتهم ، لأن قلوب التلاميذ وأعينهم متعلّقة بهم ، والحسن عندهم ما استحسن معلموهم والقبيح عندهم ما استقبح معلموهم ، يقلّدونهم في سلوكهم ويحاكونهم في أعمالهم . ولذلك أن الواجب على المعلّم أن يكون متخلّقا بخلق القرآن إذا أراد أن يؤثر على تلاميذه من الناحية الخلقية .

ثم ضرورة بيان أن الأخلاق والقيم في الاسلام ثابتة وليست نسبية ، ولذلك ينبغي غرس هذه الفكرة في نفوس الناشئة وإظهار محاسن الأخلاق الاسلامية والقيم، وذلك بمقارنتها بمفهوم الأخلاق عند الغرب وعند المجتمعات الأخرى بضرب الأمثلة من الحياة الواقعية والتاريخية . ومن المشاهد اليوم أن المجتمعات الغربية تفسخت وذلك نتيجة الإنحلال الخلقي الّذي أصابها ، لأن الأخلاق عندهم مفهوم نسبي وليس له ضابط ديني أو اجتماعي، وعند كل واحد منهم مقياس شخصي للأخلاق على حسب تفكيره أو هواه .

وأما الأخلاق في الاسلام فلها ضوابط ، ضابط ديني، واجتماعي ، ولكلّ سلوكٍ أخلاقٌ ، بمعنى أن الاسلام قسّم الأخلاق إلى قسمين : أخلاق حسنة محمودة وأخلاق سيئة مذمومة ، وجعل لكل واحد منهما ضوابط ورتّب عليها الثّواب والمدح والعقاب والذّم والكراهية ، ولقد نهى عن السيئات ورغب في الحسنات ، وعلى سبيل المثال : خلق الصدق محمود ، وبمقابله فالكذب مذموم .

روى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه ،قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الصّدق يهدي إلى البر ، وإن البرّ يهدي إلى الجنّة

وإن الرجل ليصدق حتى يُكتب عند الله صدّيقًا ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النّار ، وإن الرّجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذّابا "(البخاري : كتاب الأدب / ٥٧٤٣ ، مسلم : كتاب البر / ٢٦٠٧).

إن الصدق مصيره الجنة ، وإن الكذب مصيره النار . ثم إن مصدر الأخلاق في الاسلام هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وإنما مصدر الأخلاق في الغرب هو الأهواء والمصالح الشخصية والقومية ، وكما أن مقياس الأخلاق هو الكتاب والسنة .

ويتبين مما سبق أن واجب المدرسة هو إشعار الناشئة بأن الأخلاق في الإسلام ثابتة لاتتغيّر بحال من الأحوال ، وأن لها ضوابط دينية واجتماعية وكما أن مصدرها ومقياسها هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فلابد من غرس هذه المفاهيم في أذهان الناشئة. ومن الجدير بالذكر أن هناك قواعد أخلاقية في الإسلام تُنال بتطبيقها كلُّ الفضائل الكمالية وأن هذه القواعد منبثقة عن المصدر الأساسي للأخلاق وهي تضبط سلوك الأفراد ، وتوجهها نحو الكمال .

وفي الختام أود أن أقول أنه من الضروري جدا مراقبة أخلاق التلاميذ من قبل المدرسين إذا وجدوا فيهم الإنحراف فلابد من إصلاحه وتوجيه نحو الصواب ، وأن تلك العملية لاتتم إلا بالتعرف على أسباب المشكلة ومن ثم معالجتها بطرق علمية صحيحة . ولقد ذكرنا في الفصل الثالث أن هناك آدابا للجهاد ، فلابد للمجاهد في سبيل الله تعالى أن يتقيّد بها ، و أن يتحلى بالمكارم من الأخلاق ، لأن الأخلاق وثيقة الصلة بالإيمان ، ولا جهاد ولاعمل في الاسلام بدون أخلاق .

والمجاهدون الأوائل فتحوا قلوب الناس بأخلاقهم وآدابهم ومعاملاتهم الحسنة ، قبل أن يفتحوا البلدان بسيوفهم ، والتاريخ الاسلامي خير مثال على هذا . من الّذي أشهر السيف على وجه الأنصار حتى أسلموا؟ ومن المشهور في التاريخ الاسلامي أن معظم المسلمين في دول الشرق الأقصى قد أسلموا على أيدي التّجار المسلمين نتيجة أخلاقهم الحسنة ومعاملاتهم مع الناس.

٣ – غرس خلق الشجاعة والجرأة والرجولة والخشونة في نفوس التلاميذ:

ان اكتساب الشجاعة لايتم الا بمحاربة كل مظاهر الخوف والجبن لدى الناشئة ، والخوف انفعال غريزي يستشعره جميع الناس ،وتسببه مواقف كثيرة لا حصر لها في حياة مختلف الأفراد. والخوف ليس لونا واحدا ، بل يتدرج من مجرد الحذر والحيطة الى الهلع والرعب .

وان هذه الظاهرة قد تكون طبيعية لدى الأطفال الى درجة ما ،ولكن اذا ازدادت عن الحد المعتاد ،وتسبب القلق والتوتر فعندئذ تعتبر مشكلة نفسية فلابد من معالجتها والقول في ذلك لعلم النفس :

قال حامد زهران في كتابه : "علم نفس النمو" (١٩٨٢م) " أن الخوف انفعال ضروري ، للمحافظة على الحياة في وقت الخطر ،ولكن اذا تعدى الخوف مداه الطبيعي ،أصبح مرضا يعرقل السلوك ويقيد الحرية ".(ص ٤٤٤)

فلايفهم من هذا الكلام اهمال الحذر والحيطة ،فان اتخاذ الحذر والحيطة أمر لازم لتأديب الناشئة وقيادتهم ،ولكن المطلوب أن يكون ذلك بحدود المعقول وألا يسرف في ذلك ، لأن المبالغة في ذلك تقلب حياة الناشيء الى قيود لاتطاق.

ان واجب المدرسة في هذا الصدد هو التعرف على أسباب الخوف والجبن لدى التلاميذ ومعالجتها بطرق علمية ناجحة ، ثم دفعهم الى ممارسة ومزاولة بعض الأعمال التي تكسبهم الثقة بالنفس وتحمل المسئولية ،وحب المشاركة مع الآخرين ،وحثهم على الاختلاط بأقرانهم وزملائهم والتعامل معهم حتى يعتادوا على الاقدام والشجاعة. ومن الأهمية بمكان يجب على المعلمين في المدرسة أن يوجهوا التلاميذ الى المفهوم الاسلامي للجرأة والشجاعة ومن المعلوم أن الشجاعة والجرأة في الحق وليس في الباطل ،ولاشك أن الشجاعة في الباطل :مثل السرقة والغصب والنهب والاختلاس ، وقطع الطريق ،والبطش فان الاسلام منها بريء ، وكذلك الجرأة ولها مواقف وحدود وآداب اسلامية ،فلابد من مراعاتها.

ان محاربة مظاهر الخوف لدى التلاميذ لاتكفي وحدها ، لاكساب الجرأة والشجاعة والاقدام ،فلابد من تذكير التلاميذ بشكل دائم بمواقف بطولية من عصر النبوة وعهد الخلفاء الراشدين والتاريخ الاسلامي المجيد ، خاصة بمواقف بطولية لأبناء الصحابة الكرام ليتأسوا بهم ويمشوا على طريقتهم

ونهجهم ، ولاشك أن هذا يُثير عواطفهم ، ويحرّك مشاعرهم ويُكسبهم العـزة والكرامة والمجد والفخر بأمجاد آسلافهم ، ولايخفى أن في ذلك من تقوية عنصر المحاكاة والاقتداء في نفوسهم بحيث يتمنون أن يكونوا مثلهم طـوال حياتهم .

وأما الرّجولة والخشونة وإنهما صفتان ملازمتان للرّجال دون النساء ، فلابد من إكسابها بصورة لائقة للتلاميذ حفاظا على خِلقتهم وفطرتهـم ، واعدادًا لتحمّل أعباء الحياة والصّبر على الأذى في سبيل الدّعوة الاسلاميـة والجهاد في سبيل الله تعالى .

ولذلك يقترح محمد قطب في كتابه "منهج التربية الاسلامية" (١٤٠٤هـ)

> " أن يسيطر على المدرسة وعلى الدّراسة جـوّ الرجولة في مدارس الرجال ، وجو الأنوثة فـي مدرسة الاناث ، وأن ذلك جزء من الشخصية الاسلاميـة التي ينبغي على الدراسة أن تربيها . فالاسـلام حريص على إعطاء الرجل المسلم شخصية الرجـل الكامل الرجولة ، واعطاء المرأة المسلمة شخصيـة المرأة الكاملة الأنوثة " .(جـ ٢ ص ١٧٨ .)

ولذلك ينبغي للمعلمين أن يبثوا في نفوس التلاميذ روح الرّجولة فـي كل مناسبة ، وأن يعدّوهم إعداد الرجال بكل معانيها ومفاهيمها . ولاشك أن شخصية الرجل تختلف عن شخصية المرأة ، وبطبيعة الحال أن طريقة الإعـداد ستختلف اختلافا جزئيا ، ولذلك ينبغي للمدرسة أن تسلك المسالك الآتية :

١ ـ تكوين جوّ الرجولة في المدرسة بصفة عامة .
٢ ـ إدخال بعض المواد الدراسية الّتي تخص الرجال دون النساء فـي صلب المنهج مثل مادة التربية العسكرية .
٣ ـ تعويدهم على آداب الرّجولة ، مثل : الجدّ في الكلام والعمل ، والوفاء بالعهد ، واحترام المواعيد ، والصدق والثبات ، والإتزان فـي التفكير ، وقلة الضحك والمزاح ، وكذلك آداب المشي والكلام .

٤ ـ تذكيرهم بمواقف الرّجولة الحقّة من أمجاد سلفنا الصالح ،ولاشك أن مواقف الشجاعة هي في نفس الوقت مواقف الرّجولة .

٥ ـ تحفيظهم بعض الأناشيد الّتي تبعث فيهم أسمى معاني الرّجولة والإباء والشّمم .

٦ ـ إشعارهم بمسئولياتهم في الحياة ووظائفهم في المجتمع .

٧ ـ إعدادهم للحياة الأسرية وذلك بإعدادهم على تحمّل مسئولية الرئاسة في العائلة .

٨ ـ إبعادهم عن مظاهر التّخنّث وذلك بالتوعية الدّينية مبيّنًا حرمتَهَا ، وبالتوعية الصّحية موضّحًا أضرارها الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية، ومراقبة سلوكهم في المدرسة ، وإبعادهم عن كل مؤثرات هذه الظاهرة الفتّاكة والمرض الخبيث الذي ينافي الرجولة والمروءة والكرامة .

٩ ـ تدريبهم في المعسكرات الّتي تقام في أوقات معينة على الرّجولة والرّياضة .

١٠ـ معاملتهم من قبل المدرسين والإداريين معاملة الرجال ومشاركتهم في بعض الأعمال الادارية .

وأما صفة الخشونة ولها صلة وثيقة بصفة الرّجولة ، بحيث أنها من خصائص الرجال وطبائعهم غالبا ، وأنها تعني التعوّد على ظروف الحياة القاسية والقدرة على مواجهة الصعاب بروح عالية وبعزم وحزم دون الجزع ، وأنها غير الفظاظة والغلظة ، وهي تكون في الغالب في العيش بالتقشف والبساطة ، والإبتعاد عن الترف والراحة الزائدة .

ومما لاشك ولايقبل الجدل أن طبيعة الرجولة ودور الرّجل ووظيفته في الحياة ومسئولياته في المجتمع تقتضي وجود هذه الصفة عند هذا النوع من البشر ، لأن شروط الحياة قاسية ، تحتاج إلى صبر لا ينفد ، وجهد متواصل لاينقطع ، وتحمل المسئولية إلى أبعد الحدود ، والخوض في المخاطر والمخاوف .

وإذا كان كل مؤمن جنديًّا من جنود الله تعالى ومجاهدا في سبيله فلابد من إعداده وتربيته وتنشئته على هذه الصّفة الملازمة للرّجال ، لأن الجهاد مشتق من المجاهدة والمكابدة ، لشدة مافيه من المهام والأعباء والبأس والشدائد ، والمشاق والمعاناة ... من حمل سلاح وعتاد،ومشي طويل ، ومصادمات ومناورات ، مع معاناة التّعب والإرهاق والسّهر والحرمان.

ويتبين مما سبق ضرورة غرس هذه الصفة في نفوس التلاميذ ، ولذلك يظهر واجب المدرسة في تطبيق النقاط الآتية :

الأولى : غرس صفة الرّجولة في نفوس التلاميذ قولا وعملا وسلوكا كما سبق بيانه .

الثانية : إبعاد التلاميذ عن التّرف والإسترخاء والرّاحة الزائدة.

الثالثة : إبعاد التلاميذ عن الاتصاف بالأخلاق والخصائص التي تخص النساء في الغالب ، مثل : التفكير بالعواطف ، قلّة الصّبر، والضّعف في الحُجّة .

الرابعة : تدريبهم على بعض الأعمال والممارسات الشّاقة ،قد تكون تلك الأعمال والممارسات في الورش أو الأمور الإدارية في المدرسة أو مزاولة بعض المسئوليات في المعسكرات .

الخامسة : تذكيرهم بحياة الصّحابة الكرام ، كيف تحملوا خشونة العيش في سبيل الله تعالى ؟ وكيف صبروا على خشونة الحياة ؟ وبضرب الأمثلة من التاريخ الاسلامي .

السادسة : تفهيم التلاميذ فوائد الخشونة في الحياة العامة ، وفي الحياة الجهادية،واقناعهم بأساليب مختلفة بنتائجها ومحصلاتها المتوقعة والمضمونة إن شاء الله تعالى .

٤ ـ تعويد التلاميذ على النظام :

إن المدرسة مؤسسة نظامية ، ولقد أسّسها المجتمع لتنظيم العملية التربويّة ، وهي كما سبق وأن قلنا مؤسسة منظمة ، وهذه الميزة هي التي تميزها عن سائر المؤسسات التربوية وتفرّقها.

إن تعويد التلاميذ على النظام من أهم واجبات المدرسة، ولايمكن بحال من الأحوال أن يتم التعليم والتربية دون أن يكون هناك نظام متّبع من قبل الجميع . وإن طبيعة الأطفال مفطورة على الحرّية،ولكن إطلاق هذه الحرية دون قيّد أو شرط أو ضابط يفضي في نهاية المطاف الى ظهور الفوضى ، والتي تؤدي إلى الفشل كما هو المعروف من قبل الجميع ، بلا نزاع .

وإذا نظرنا حولنا في الكائنات والموجودات نرى أن هناك نظاما عجيبا ، وتناسقا بديعا ، وتنظيما رائعا يدل على صنع الخالق بديع السّموات والأرض والله الّذي خلق هذا الكون بنظام دقيق ، قد جعل لنا دينا ـ عقيدة وشريعة ـ بنظام دقّق . دين كلّه نظام ، بعده نظام،وهو دين النظام .

لقد أنزل الله تعالى كتابه بنظام ، وقد رتب حياة المسلم على النظام ،في العبادات والمعاملات ، وفي الجهاد وفي الأمور كلها.

وقد استطاع قائد هذه الأمة وإمامها صلى الله عليه وسلم أن يبني جيلا مثاليا فريدًا منظّما بنظامه النبوي الشريف ، يُرتّب مراحل الدّعوة ، وينظم الصّفوف في الصلاة وكذلك ينظّم الصّفوف في المعركة ، حياةُ كلّها عبارة عن النّظام .

إن النظام له فوائد عظيمة ومنافع جمّة ومصالح غفيرة، يؤلف الأبدان والقلوب ، ويقوّي العزائم ، ويوفرّ الجهود والطّاقات ، ويولد المحبّة والعطف والإحترام ، والثقة بين الأفراد ، يجعلهم كجسد واحد،

يدعم الروابط الاجتماعية والأواصر الأخوية ، والعلاقات التعاونية ،ويجسد الإعتزاز والفخر بالمجتمع الاسلامي والولاء له . وكما أنه يؤدي إلى النجاح وتحقق الآمال والأمنيات .

ولتعويد التلاميذ على النظام فلابد من مراعاة الآتي:

١ - يجب أن يكون هناك نظام بالفعل في المدرسة ، وإذا لم يكن في المدرسة نظام فلايمكن تعويد التلاميذ عليه .

٢ - أن يكون مدير المدرسة والمعلمون ملتزمين إلتزاما دقيقا بالنظام ، وبتعبير آخر أن يكونوا قدوة حسنة للتلاميذ في التقيد بالنظام في المدرسة .

٣ - تعويد التلاميذ على التقيد بالنظام وذلك في الحضور والإنصراف ، والدخول إلى الفصل والخروج عنه .

٤ - تربيتهم على التقيد بالتعاليم والتعميمات التي يصدرها الاداريون في المدرسة .

٥ - تدريبهم عمليا على النظام وذلك باقامة الصلاة في وقتها مع الجماعة في المدرسة .

٦ - توجيههم من قبل المدرسين على تنظيم أوقاتهم ومذاكرة دروسهم بأساليب مقنعة موضحا أهمية هذا النظام في حياة المسلم .

٧ - تربية قلوبهم ونفوسهم على إجلال النظام ، واحترامه من قرارة أنفسهم ولذلك لابد من ربطه بالمسئولية الدينية ، موضحا لهم أن هذا النظام إنما وضع لتحقيق الأهداف الدينية وتحقيق مرضاة الله تعالى ،وبذلك يقتنع التلميذ بأهمية النظام ، ويدافع عنه ويضحي في سبيله .ولاشك أن للوسائل حكم الأهداف والغايات . ومن المعروف في أصول الفقه أنه مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

إن تربية الأجيال المسلمة لاتتم إلا في المدرسة في الغالب ، و أن تحقيق أهداف تلك المدرسة لاتتم إلا بالنظام . ومن هنا أصبح النظام واجبا .

وفي الختام أود أن أقول أن النّظام له فوائد عظيمة في حياة المسلم سواء كانت في الأمور الدنيوية أو الأخروية . إن المسلم الّذي تعوّد على النظام ينظّم أوقاته كلها بدقّة بالغة ، يتعاون مع إخوانه في أمور الدّعوة والجهاد يُطيع أوامر رؤسائه وقوّاده في الحرب ، ويتقيّد بتعليمات قيادته في السِّلم والحرْب .

٥ – غرس روح الاستشعار بالمسئولية وتنمية الروح الجماعية لدى التلاميذ :

إن مجرد دخول الطّفل إلى المدرسة يعتبر مسئولية ، وهي مسئولية الإستعداد للحياة بتربيته وتعليمه وتنميته من كل الجوانب .

وينبغي أن تعمل المدارس على تنشئة الأفراد ، العارفين بمنزلتهم المعتزين بها ، وتكوين الشخصية الّتي تتحمل المسئولية والّتي لاتعتمدعلى حسب أو نسب ، والتي تتقن العمل إتقانا دون حاجة إلى رقيب من البشر ، وبوازع من الضمير . والإيمان الشخصي الصّادق والّتي تعمل حسابا ، وألف حساب للأهداف البعيدة وتضع الخُطط السليمة لبلوغها. فلكل إنسان طائره في عنقه ، وكل انسان سيجني ثمار جهده وتعبه ، ويلقى جزاء عمله دون نقص. ولقد منح الله تعالى للانسان العقل والقدرات ، وميّزه بكثير من المميزات وفضّله على سائر المخلوقات والكائنات ، وبمقابل ذلك لقد كلّفه ببعض المهام والمسئوليات والواجبات ، وقد أوجده سبحانه وتعالى في الجماعة ، وجعل قوام حياته في المجتمع ، وربط مصالحه الفردية والاجتماعية باخوانه من بني البشر ، وقد أمره سبحانه وتعالى بتكوين الجماعة على وجه الأرض لتحقيق الأهداف السامية الرّبانية والغايات النبيلة الإلهية ، ولايمكن بحال من الأحوال أن يعيش الفرد حياة إسلامية منعزلة عن الجماعة والمجتمع ، ولايمكن له أن يحافظ على دينه وعِرضه وماله وكرامته وحياته دون حياة نظاميّة اجتماعيّة تحت قيادة موحّدة ، يشعر كل فرد من الأفراد دوره ورسالته وتحمل أعباء الوظيفة الملقاة على عاتقه ، ويبذل قصارى جهده لتحقيق المصالح الجماعية قبل مصالحه الفردية الشخصية .

إن للاستشعار بالمسئولية وتنمية الروح الجماعية مظاهر، إن توفرت في المسلمين حققوها بإذن الله تعالى ، ورسالة المدرسة اليوم العمل تحقيقها وفق الممارسات العملية ، وبعض هذه المظاهر تتمثل فيما يلي :

١ ـ تعريف التلاميذ بروح الدين الاسلامي، ومن هنا إدراكهم بمهمتهم في الحياة وواجباتهم نحو أنفسهم ومجتمعهم وأمتهم ودينهم.

٢ ـ إشعار التلاميذ بعناصر وحدة هذه الأمة ومكونات وجودها ، من الأخوة الدينية ، والتعاون والتكافل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي .

٣ ـ غرس مفهوم إنكار الذات في سبيل الجماعة لدى التلاميذ ،وذلك ببيان أن سعادة المؤمن في الحياة والأخرة ، وفلاحه متوقفه على سلامة المجتمع، وأن المؤمن ليس له مكانة ولاكرامة إلا في ظل الجماعة المؤمنة. وكما أن المؤمن ليس له حق الحياة إلا في المجتمع الاسلامي الذي أقيم على أسس متينة ودعائم قوية.

٤ ـ تعويدهم على التفكير الجماعي والعمل الجماعي بدل التفكير الفردي والعمل الفردي .

٥ ـ اقامة الصلوات مع الجماعة في مسجد المدرسة بصفة مستمرة.

٦ ـ مشاركتهم في بعض الأعمال المدرسية والأنشطة ، وتكليفهم ببعض الواجبات خارج المدرسة ، مثل : التعرف على بعض الكتب أو المجلات أو الوسائل التعليمية .

٧ ـ تبصير التلاميذ بصفة علمية على أسباب التفرقة والاختلاف والتمزق والتنافس والتباغض ، ومن ثم بيان حرمتها في الإسلام بالأدلة المقنعة من الكتاب والسنة وبضرب الأمثلة من التاريخ والحياة اليومية.

إن الجهاد في الاسلام مسئولية المؤمنين كافة، ولايمكن أن يتخلى عن أدائه أحد مهما كان. ثم أنه لايتم إلا بالجماعة ، والجماعة لاتتكون إلا من الأفراد ، ولتكوين هذه الجماعة وللحفاظ على دوامها فلابد من تنمية هذه الروح الجماعية لدى الشباب وتعريفهم بأهم عناصر الوحدة ومكوناتها الأساسية.

٦ - غرس روح الفداء والتضحية بالنفس والمال في أذهان التلاميذ:

ان غرس هذه الروح في النفوس وتنميتها إلى أن تصل إلى الذروة من أهم مميزات التربية الاسلامية ومدرسة النبوة ، وبدون غرس هذه الروح في النفوس المؤمنة لايمكن أن نتصور أبدا الدعوة والجهاد . إن الفداء والتضحية بالنفس والمال أثقل شيء على النفس ، فهل هناك شيء أثقل من هذا على النفس ؟

وهذا اختبار من المولى لعبده بعد أن وهبه الصحة والمال، إن الفداء والتضحية بالنفس يقتضى ترك الفراش والبعد عن الراحة والترف ،والملذات والإفتراق عن الأهل والولد والوطن ، والتعرض إلى المخاطر والهلاك والتعذيب والموت في سبيل الله تعالى ، وكذلك التضحية بالمال .

إن الوصول الى هذه المكانة العالية يقتضي تربية استقرت في أعماق القلوب ، وتزكية النفس من كل الأمراض ، وتنشئة متشبعة بالروح الاسلامي الحقيقية . ولقد تخرجت من مدرسة النبوة أسمى معالم الفداء والتضحية في سبيل الله تعالى وأروع الأمثلة والنماذج في الإيثار والبطولة ، وكانت هذه من محصلة التربية القرآنية تحت تربية أكبر الفدائيين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن المدرسة القرآنية قدمت لنا آلافا من هذه الصور طوال التاريخ ، وهي قادرة على إخراج هذه الصور المثالية في كل زمان ومكان في ضوء توجيهاتها وأوامرها وتعليماتها إذا اتبعت بإخلاص وطبقت كما ينبغي ، ولها مناهج معروفة وأهداف واضحة ، ليس فيها أية غموض أو التباس .

إن المدرسة اليوم وهي قادرة بإذن الله تعالى على إعداد هذه الصور المثالية الواقعية إذا أدت رسالتها موافقة للشرع ومرضية لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

ولغرس هذه الروح في نفوس التلاميذ وتنميتها نحو الكمال، فلابد من البدء من الأصل، وهو غرس الإيمان في قلوب الناشئة – كما سبق بيانه قبل عدة صفحات من هذا الفصل – لأنه إذا لم يستقر الإيمان في النفوس فكيف يتوقع من المرء أن يضحى نفسه وماله في سبيله ، فلابد من توطيد أركان الإيمان والعقيدة الإسلامية في القلوب أولا وقبل كل شيء .

ثم تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفوس التلاميذ، وهذه العملية شرط من شروط الإيمان ، وهي تدفع الفرد إلى الشجاعة والبسالة والجرأة أمام المصائب والمتاعب ، وعدم الخوف من الموت ، لأنه يعرف بيقين أن الله تبارك وتعالى قدر له أجله ورزقه وطلب منه أن يجاهد في سبيله ، وأن أجله آت لا مفرمنه ، وهو ميت لا محالة أينما كان وكيفما كان، والأفضل له أن يختار أشرف ألوان الموت حتى يصل إلى الفردوس الأعلى من الجنة ، وبذلك تتحرك مشاعره وعواطفه ويزداد شوقا إلى لقاء ربه عن طيب نفس راضية مرضية ، آمنة مطمئنة دون خوف أو ملل ، ولايبالي ما أصابه، إذ كان في سبيل الله تعالى وهو الذي يتقبله بقبول حسن . وهذا ثانيا.

وأما الثالث : فهو تصغير الدنيا في أعين التلاميذ . ان هذا لايعني الابتعاد عن الدنيا أو التقليل من قيمتها ، وإنما نعني به ألا يكون هم الناشيء وقصده هو الدنيا فقط دون الآخرة ، وألا يغفلوا بزخرفة الدنيا عن الآخرة ، ولاشك أن من مال بكليته إلى الدنيا ينسى الآخرة ، ويصعب على نفسه فراق ملذاتها ، ولذلك يجب الإهتمام البالغ لإعطاء تصور إسلامي حقيقي للدنيا والآخرة ، وبعبارة أخرى بيان نظرة الإسلام إلى الحياة وإلى الآخرة ، حتى لايميل التلاميذ إلى أحداهما دون الأخرى ، فيخسروا كليهما.

فأما الرابع : فحثهم على الجود والكرم والسخاوة والإيثار وإبعادهم عن البخل والشح والإسراف ، وبذلك تحي في نفوسهم أسمى معاني الفداء والتضحية بالمال. وذلك لايتم إلا بطريقتين :

الأولى : التوعية الدينية ، حيث أن الإسلام حث على الجود والكرم والإيثار ، وجعلها من صفات المؤمنين الأخيار ، ووعد الله سبحانه وتعالى بالثواب الجزيل لأصحاب الجود والكرم والايثار، وذلك بشرح النصوص القرآنية وآحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأخبار الصالحين التى تتحدث عن الجود والكرم .

كما أن الإسلام نهى عن البخل والشح والإسراف ،وذكرها القرآن الكريم في مقام الذم ، ورتب عليها العقوبة، وجعل المسرفين والمبذرين من إخوان الشياطين ، وما أشبه ذلك .

الثانية : التوعية الاجتماعية والأخلاقية ، وذلك ببيان فوائد الجود والكرم والايثار من الناحية الاجتماعية والعلاقات الإنسانية ، بطرق علمية وأساليب مقنعة عملية وكذلك بتوضيح مضار البخل والشح والإسراف والتبذير من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية .

وأما الخامس : عرض مشاهد الشجعان والأبطال من الصحابة الكرام، والسلف الصالح وذكر قصص الكرماء والمنفقين أموالهم في سبيل الله تعالى دون خشية الفقر، وذلك لتقوية عنصر المحاكاة والاقتداء .

ان الجهاد يقتضي الفداء والتضحية بالنفس والمال بكل غال ونفيس، ولذلك فلابد من اعداد الشباب على هذه المعاني والمفاهيم السامية بجد وإخلاص .

٧ ـ إدراك معنى الولاء والبراء في نفوس التلاميذ:

إن الولاء والبراء أصلان من أصول الإيمان يقصد منهما وجوب موالاة المؤمنين ونصرتهم والتعاون معهم في جميع أمور الخير وكف أنواع الأذى عنهم ، مع البعد والخلاص والبراءة من الكافرين بأن لاانتنازل لهم عن شيء من الدين ، ولانساعدهم على مسلم ، وأن لا نتخذ منهم بطانة وأعوانا وبمعنى آخر موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين .

وقد نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن موالاة الكافرين ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة المائدة / ٥١).

هذا تحذير من المولى عز وجل فى غاية الشدة عن مولاة اليهود والنصارى ، ومن يتولاهم من المؤمنين يخرج من عُنُقِهِ ربقة الإسلام ،لأن المرء مع من أحب ، ولاشك أن الكفر ملة واحدة ، لأن هدفهم هو العداوة للإسلام مهما اختلفوا فيما بينهم.

وقد بين الله سبحانه وتعالى أولياء المؤمنين بصورة واضحة ،قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (سورة المائدة / ٥٥ ـ ٥٦) .

ومن لوازم الولاء حب المسلمين في الله ، وصلتهم ، وأداء حقوقهم المشروعة في الإسلام من الصلة والزيارة وتشييع الجنازة وعيادة المريض وتشميت العاطس ، ونصرتهم والوقوف في جنبهم ، واحترام أهل الفضل منهم، وطاعة ولاة أمرهم فيما لامعصية فيه ، والبعد كل البعد عما يناقض هذا الولاء من تكفير المسلمين أو سبهم أو شتمهم ، او استحلال دماءهم أو أعراضهم أو أموالهم ، وأن لايهجرهم.

والبراء هو البعد والخلاص والعداوة لأعداء الله ورسله من الكافرين ومن والاهم ، يقول في ذلك الأستاذ عبد الوهاب بن لطف الديلمي في كتابه «معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم» (١٤٠٦هـ) :

" فمعنى البراء : البعد عما عليه الكفار وأصحاب المنكرات والفواحش والتنزّه عن ذلك ظاهرا وباطنا وعدم الميل إليهم أو محبّتهم أو الإقرار لهم على ضلالتهم وأن يظهر عداوتهم وخلافهم ، ونبذ لما هم عليه "(ج ١ ، ص ١١٦).

كما تبين من الحديث السابق أن الولاء والبراء أصلان من أصول الايمان ، وأن أمرهما خطير ، خطير على العقيدة الاسلامية والأمة الاسلامية ، وغرسهما في نفوس التلاميذ بالغ الأهمية وفي غاية الضرورة ، فإن تحقيقهما واجب على كل مؤمن. ومن واجب المدرسة أن تغرس هذه المعاني القيّمة في نفوس التلاميذ لسلامة إيمانهم وتحقيق عقيدتهم وللحفاظ على شخصيّتهم ، وعدم ذوبانهم في المجتمع ، وإن خطورة الموقف تظهر غالبا عند التلاميذ الّذين درسوا في بلادهم حتى تخرجوا من المرحلة الثانوية ، ثم يسافرون إلى البلاد الأجنبية لمواصلة دراستهم الجامعية أو الدراسات العليا ، فلابد من إيقاظهم ونصحهم ببيان أهمية تحقيق هذه المفاهيم في نفوسهم حتى لايختل إيمانهم نتيجة احتكاكهم بالمجتمعات الغربية . وأما دور المدرسة في هذه العملية فيمكن أن نحدده كالتالي :

١ – وجوب إدراك التلاميذ حقيقة الدّين الاسلامي من منبعه الأصلي صافيا خاليا من الشوائب .

٢ – بث معاني العزة والكرامة والفخر بعقيدتهم ونبيهم ودينهم وكتابهم وأمتهم في نفوسهم .

٣ – بيان حقيقة أن الكفر ملّة واحدة مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وألسنتهم ونظام حياتهم الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة .

٤ – بيان عدم الإغترار بمعالم الحضارة الغربية وزينتها ومظاهرها الخادعة وذلك بتوضيح أصالة الحضارة الاسلامية وزيف الحضارة الغربيّة .

٥ - الإنتباه إلى مكايد الأعداء من الصهاينة والماسونية بدعاياتهم الكاذبة لدعواتهم الهدامة للانسانية والحرية والمساواة وحقوق المرأة والإخاء .

٦ - وبعد ذلك كله الإلتزام الكامل بتعاليم الاسلام بكل حذافيره .

وأود أن أشير في هذا المقام أن لايفهم من الحديث السابق وجوب قطع علاقاتنا كليا مع العالم الخارجي ، وهذا مخالف لطبيعة ديننا الذي غايته وهدفه اخراج الناس من الظلمات الى النور ، وأن لنا معهم علاقات، قد فصلت في كتب الفقه وكتب السياسة الشرعية ،وقبل ذلك في الكتاب والسنة . وقد بين علماؤنا المجالات التي يجوز التعامل معهم فيها وحدود هذا التعامل فيما لا يصل الى حد الموالاة،وهي بايجاز المناصرة .

وفي الختام أود أن أشير إلى ضرورة تعريف التلاميذ بحقيقة الإسلام وأهدافه السامية ، وبعالمية الدعوة الاسلامية وشموليتها ومن ثم الى حقيقة الجهاد الاسلامي ، وأهدافه ، وأنواعه وثمراته المعنوية منها والمادية ومكانته من الدين .

فلابد من تعريف هذه المفاهيم بصورتها الحقيقية مستمدة من مصادرها الأصلية والأساسية إلى التلاميذ . لأن التلميذ هو عضو فعال في المجتمع ، وله دور ورسالة في هذا المجتمع الاسلامي فلابد من أدائها على أكمل وجه . واذا لم يتعرف على حقيقة هذه المفاهيم أو تعرف على صورتها المشوهة لها كيف يدعو اليها ، ويدافع عنها ويضحي في سبيلها ؟ فلابد من معرفة الشيء قبل الدعوة اليه ، فان واجب المدرسة مهم جدا في هذا الصدد ، لأنها مؤسسة متخصصة ويقضي فيها الناشيء ربيع شبابه ، من عشرات السنوات، فلابد من صياغة المناهج كلها بهذه الروح وبهذه المفاهيم ، صياغة إسلامية بعيدة عن التأثير الخارجي، والواجب على المعلمين أن يتعلموا هذه الحقائق قبل تدريسها في المدرسة . وقد تكلمنا بشيء من التفصيل عن حقيقة الجهاد في الاسلام وأهدافه ... في الفصل الأول والثالث من هذا البحث .

إن هذه الخطوات خطوات نظرية أو خطوات يغلب عليها الجانب النظري ، وأما الخطوات العملية يمكن لنا ترتيبها كالآتي :

١ ـ دراسة آيات الجهاد في القرآن الكريم وأحاديث الجهاد في كتب الحديث الشريف ، وفقه الجهاد في كتب الفقه وكذلك دراسة شعر الجهاد بما يتناسب وقدرات الطلاب في كل مرحلة دراسية :

إن دراسة هذه الآيات والأحاديث مع شرح معانيها وبيان أسباب نزولها تبعث في نفوس التلاميذ روح الجهاد الاسلامي ، وتبعث فيهم أسمى معاني الفداء والتضحية والشجاعة ، يتعرفون على فضله وفضل المجاهدين في سبيل الله تعالى وما أعد الله تعالى لهم من نعيم مقيم في جنات النعيم ، وكما يتعرفون على أخلاق الجهاد وآدابه .

ومن المعروف أن كثيرا من آيات الجهاد نزلت متعلقة بالحركة الجهادية في عصر النبوة ، كما مر معنا عند حديثنا عن سورة الأنفال التي نزلت عقب غزوة بدر الكبرى ، وبذلك يتعرف التلميذ على مسيرة الحركة الجهادية ويعيش في جو جهادي اسلامي ، ويتحقق في نفسه موالاة المؤمنين والبراء من الكفر والكافرين .

وأما فقه الجهاد فان التلميذ يتعرف من خلاله على أحكام الجهاد وعلى مدى اهتمام الفقهاء بهذا الأصل من أصول الدين ، بحيث درسوا أحكامه بكل تفاصيلها وبكل عناية ، ولاشك أن التلميذ بهذه المعرفة يقدر موقفه ومسئوليته في نشر الدعوة الاسلامية والجهاد في سبيل الله تعالى .

وأما دراسة شعر الجهاد فانها تدعم الروح الحماسية لدى التلميذ ، ومن المعروف أن شعر الجهاد له أثر كبير في نفوس المجاهدين ، وهو يعتبر بمثابة الحث والتحريض على الجهاد . وإذا نظرنا إلى كتب الحديث والتاريخ الاسلامي فنشاهد أن هناك شعرا كثيرا ألقي في المعارك الاسلامية والذي يعبر عن تلك الروح الجهادية والشعور البطولية والشجاعة الاسلامية عند المؤمنين .

وهذا ابن اسحق لقد بوّب في السيرة بابا مستقلا عمّا قيل من الشعر في يوم بدر ، ج ٢ ، من ص ٣٥٨ الى ٣٨٧ . وقل ما نحد معركة اسلامية إلا وقد ألقى فيها شعرلدعم الروح القتالية والروح الحماسية لدى المجاهدين .

فمن واجب المدرسة أن تدخل هذه الدراسات في صلب المنهج الدراسي ، و من واجب المعلمين أن يدرسوا هذه المعاني السامية بروح حيويّة تدفع التلاميذ إلى ميادين العز والشرف وساحات البطولة والشجاعة.ولدوام هذه الروح العالية لدى التلاميذ فلابد من تحفيظهم بعض الآيات القرآنية المتعلقة بالجهاد يقرؤونها في كل الأحيان وفي صلواتهم ، وكذلك تحفيظهم بعض الأحاديث النبوية في الجهاد وبعض شعر الجهاد.

٢ ـ دراسة السيرة النبوية الشريفة دراسة واعية :

وذلك للوقوف على المنهج النبوي الشريف في مسيرة الحركة الجهادية . ان هذه الدراسة بالغة الأهمية في تربية الجيل الجديد ، وبذلك يتعرّف على مراحل الدّعوة الإسلامية قبل الهجرة وبعدها وخصائص تلك المراحل ، وذلك ليتمثل بهذا الأسلوب والمنهج في حياته الجهادية. لأن دراسة السيرة بإمعان وإتقان وبالتدبّر والتفكّر تبرز لنا خلاصة المنهج النبوي الشريف في الدّعوة والجهاد.

إن هذه الدراسة لاتثمر أية ثمرة بمجرد سرد الأحداث سردا تاريخيا ، أو مجرد الوقوف على الوقائع التاريخية ، وإنما باستخراج فقه السيرة واستنباط بعض الدروس والعظات من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة الصحابة الكرام في عصر النبوة ، ويقول في ذلك محمد رمضان البوطي في كتابه « فقه السيرة » (١٣٩٨هـ) مشيرا إلى تلك الحقيقة من دراسة السيرة النبويّة الشريفة حيث قال :

" ان الغرض منها أن يتصور المسلم الحقيقة الاسلامية في مجموعها متجسدة في حياته صلى الله عليه وسلم ، بعد أن فهمها مبادئ وقواعد وأحكاما مجردة في الذهن . أي أن دراسة السيرة النبوية الشريفة ، ليست سوى عمل تطبيقي يراد منه تجسيد الحقيقة الاسلامية كاملة ، في مثلها الأعلى محمد صلى الله عليه وسلم . ومن أهداف دراستها :

أولا : فهم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها .

ثانيا : أن يجد الانسان بين يديه صورة للمثل الأعلى في كل شأن من شئون الحياة الفاضلة

ثالثا : أن يجد الانسان في دراسة سيرته عليه الصلاة والسلام مايعينه على فهم كتاب الله تعالى وتذوق روحه ومقاصده .

رابعا : أن تتجمع لدى المسلم من خلال دراسة سيرته صلى الله عليه وسلم أكبر قدر من الثقافة والمعارف الاسلامية الصحيحة .

خامسا : أن يكون لدى المعلم والداعية الاسلامي نموذج حيّ عن طرائق التربية والتعليم .

((ص ١٧ – ١٨ (نقل بتصرف) .))

إن التعرف على حياته صلى الله عليه وسلم يقدم لنا نماذج سامية في كل مجال من مجالات الحياة ، لأن حياته صلى الله عليه وسلم شاملة لكل النواحي الانسانية والاجتماعية والسياسية .

فلابد من تدريس هذه المادة بهذه الصّفة والكيفيّة ، ومن الضروري جدا أن تكون هذه المادة مادة أساسيّة في كل مراحل التعليم ، تُدرس في كل مرحلة بطريقة تناسب مدارك تلاميذها ، وبأسلوب يلاءم ثقافة طلابها ،وأن يكون غرض المعلّم من هذه الدراسة هو إشعار التلاميذ وإفهامهم بإمكانية تطبيق هذا المنهج النبوي الشريف في واقعنا المعاصر ، ووجوب تطبيقه .

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أنه لابد من تدريس هذه المادة من مصادرها الأصيلة والأساسية ، إذ أن جميع كتابات المستشرقين في هذا المجال مليئة بالتّشويه والتّحريف والتّبديل ، ولذلك من واجب المدرسة أن -

تختار في تدريسها أوثق المصادر في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، مثل سيرة ابن اسحق وكتب السنة النبوية وغيرها ممّا هي معروفة عند أهل هذا الفنّ والإختصاص .

٣ ـ دراسة التاريخ الاسلامي بشكل عام لمعرفة المسيرة الجهادية طوال التاريخ الاسلامي المجيد من عهد الخلفاء الراشدين إلى يومنا هذا ، وذكر قصص الأولين من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام مع أقوامهم ، للإطلاع على مسيرة الدعوة إلى الله تعالى ،منذ آدم عليه السلام الى الوقت الحاضر :

ان التاريخ الاسلامي صورة حيّة للأمة الاسلامية ،ترى فيها ملامح الأمة الحقيقية ، ومعالمها الخاصة المميزة لها عن سائر الأمم ، ولذلك ينبغي أن يدرس دراسة تحقيق وتمحيص لا أن يقرأ قراءة سرد للأحداث ومتابعة للوقائع .وأن التاريخ يدرس للاعتبار ،والاتعاظ وللاقتداء بالحسنات والإبتعاد عن الأخطاء .

ان دراسة التاريخ الاسلامي بالغة الأهمية من ناحية ، وبالغة الخطورة من ناحية أخرى ، وأما أهمّيتها تكمن في كونها من مكونات هذه الأمة الأسلامية ، ومن أهم عناصر وحدتها ، لأن التاريخ من أهم روابط الأمة ، وأوثق عراها . وأما خطورة دراستها تكمن في الإعتماد على مصادرها ومراجعها وفي مؤلفيها ، ومن المؤسف جدا أن التاريخ الاسلامي الّذي يُدرس في كثير من البلدان الاسلامية يحتوي على كثير من المفهومات المغلوطة التي تجعل التاريخ الاسلامي تاريخ الفتن والحروب والخلافات والدّسائس ، ممّا أدى الى تحريف بعض الحقائق التاريخية وتبديلها وتشويهها ،وهذا التشويه راجع الى أن الّذين تعرضوا لكتابة هذا التاريخ ليسوا مؤهلين له ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن كتابات المستشرقين أصبحت مرجعا أساسيا في التاريخ عند بعض المخطّطين والمنفذين والمشرفين والمدرسين ، الذين لا يهمهم دينهم ولاعقيدتهم ولاثقافتهم ولاآدابهم ، وفي الحقيقة أن هؤلاء المستشرقون يشوّهون كثيرا من الحقائق التاريخية باسم العلم

والإستشراق . وكتاباتهم حرب على الإسلام والمسلمين وعلى كل شيء إسلامي ، وكل مايهمهم هو الطعن في الاسلام بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

إن مناهج التاريخ في المدارس يجب أن يكون بداية لإعادة النظر في كتابة التاريخ الاسلامي بيد من تتوفر فيهم الأهلية والقدرة والكفاية للقيام بهذا العمل ، وبتعبير آخر يجب صياغة التاريخ صياغة إسلامية .

ولذلك يدعو أكرم ضياء العمري في كتابه " المجتمع في عصر النبوة " (١٤٠٣هـ) إلى اعادة صياغة التاريخ الاسلامي وفق التصور الاسلامي لحركة التاريخ من ناحية التفسير التاريخي وفق مناهج المحدثين من ناحية البحث في التاريخ الاسلامي ، (ص ١٧) .

وخلاصة القول أن هناك ضرورة قصوى وحاجة ملحة لإعادة صياغة التاريخ الاسلامي وتقديمه للأجيال خاليا من التشويه والتحريف والأكاذيب . إن ذلك مسئولية عظيمة ملقاة على عواتق أفراد هذه الأمة ، وأن ذلك جهاد في سبيل الله تعالى ، جهاد باللسان والقلم ، وجهاد التربية والتعليم .

ومن هنا تظهر بوضوح ضرورة دراسة التاريخ الاسلامي في المدارس في صياغة اسلامية بروح جهادية حيوية ، وذلك لاخراج جيل يعتز بدينه وعقيدته وأمجاد تاريخه وتراثه ، ويفتخر بأجداده البواسل الباذلين أنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى ، وبذلك تتحرك مشاعر التلاميذ وعواطفهم ويندفعون بسرعة إلى الاقتداء بأسلافهم والتأسي بآبائهم وأجدادهم في نشر الدعوة الاسلامية والجهاد المقدس .

وأما ذكر قصص الأولين من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، يتعرف التلميذ من خلالها على بعض أساليب أعداء الرسل في الصد عن الإيمان بهم واتباعهم ، بما كانوا يوجهونه من المطاعن والشكوك نحو الرسل عليهم السلام ، وكما يتعرف على الوسائل الجديدة التي يتخذها أعداء الاسلام اليوم ليصرفوا الناس عن دين الله تعالى ، ويتجلى في ذهنه أن الهدف من جميع الرسالات السماوية هو الدعوة إلى التوحيد والأخلاق الحسنة وتنظيم

حياة الناس نحو الفضيلة والكمال ، وكما يتعرف التلميذ على أساليب الدعوة طوال عصور التاريخ ومالقي الأنبياء وأتباعهم من أنواع الأذى والتعذيب ، ويستقر في ذهنه أن طريق الدعوة مملوءة بالأشواك والمتاعب ، فلابد من التسلح بالايمان والعمل والاخلاص والصبر والتوكل والجهاد والفداء والتضحية ، وبذلك يتخذهم التلميذ قدوة في حياته وسيره ويواجه مشكلات الحياة والدعوة بروح الصبر والمصابرة وبالعزم •

ونخلص مما سبق أن من واجب المدرسة تدريس التاريخ بصيغته الاسلامية، وبروح جهادية وربط الحاضر بالماضي بتوثيق الروابط بين الأجيال الحالية والأجيال الماضية ، وتكوين روح الفخر والإعتزاز بأمجاد التاريخ الاسلامي العريق ، وذكر قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام للوقوف على سيرة الدعوة والجهاد طوال التاريخ •

٤ ـ التربية البدنية للفرد :

للإسلام توجيهاته في مجال الإعداد الجسمي والبدني • وان هذه التوجيهات لاتقتصر على جانب في الجسم دون جانب ، بل الجسم كله من حيث صحته ووقايته وتنميته ، وأثره في جوانب الإعداد الأخرى كالاعداد العقلي والروحي ••• لأن العقل السليم في الجسم السليم •

والاعداد الجسمي لايقتصر على الرياضة التي يمارسها القلة ويفتن بها الكثرة ، إنما يشمل أيضا الجهود التي تبذلها الدولة في سبيل تقديم خدمات صحية عامة ، ورعاية الأمومة والطفولة ، والثقافة الصحية والتغذية المدرسية ، وسبل الوقاية من الأمراض •

ولذلك فلابد من جعل الثقافة الصحية والوعي الصحي من محتويات المنهج الدراسي ، وإيجاد الوسط الصحي الذي يعيش فيه الشباب ، سواء أكان في البيت أو المدرسة وغيرها • و الرياضة تحقق اللياقة البدنية بما يكسب التلاميذ درجة عالية من التحمل ، ويزيد من قدراتهم في تحمل مشاق العمل والتعب ، وكما يمكن دعم السلوك الأخلاقي للشباب من خلال

الرّياضة الّتي تعمل على غرس المبادىء الحسنة والقيم الرفيعة، وبناء علاقات اجتماعية على أسس إسلامية ·

ولقد أصبحت الرّياضة اليوم بعيدة عن الروح الاسلامية وآدابها وأخلاقها ، فهي تمارس لأجل الرّياضة لا لأهداف عليا وغايات سامية ،فهي أصبحت انتصارا زائفا وتنافسا غير شريف ، فلقد أدت إلى الإنقسامات والكراهية والتباغض والتحاسد والتشاجر بين شباب المسلمين ·

ولاشك أن هذا مالاينبغي للمسلمين أن يفعلوه ، لأن عمل المسلم كله تحت هدف محدود ، وتحت غاية نبيلة ، وإذا قصد المؤمن من الرّياضة تقوية جسمه للعبادة وأعمال الخير والجهاد في سبيل الله تعالى فحينئذ تصبح الرّياضة وسيلة للعبادة ويؤجر عليها ·

وقد رأينا توجيهات النّبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بتعليم أبناء المسلمين السّباحة والرّمي وركوب الخيل ، ويقاس على ذلك أنواع الرّياضة المستخدمة التي تربي أجسام الشباب ، وتزيدها قوة ومتانة على هدي تعاليم الإسلام · ومن الواجب أن تمارس هذه الأنواع بروح إسلامية وبآداب اسلامية ،وأن لايتطرق اليها موانع شرعية من الخطر والحرام ، وأعني بذلك أن تكون تلك الممارسة موافقة لحكم الاسلام ومبادئه وتعليماته، مثل أن يكون لباس الشاب ساترا للعورة وأن يكون بعيدا عن الإختلاط بالنساء ومواقع التّهم ، وأن لا ترتبط الرياضة بنوع من أنواع القمار ، وأن لا تكون مانعة من أداء الفرائض والواجبات ·

وخلاصة القول أن الرياضة ممدوحة ولازمة لاعداد الشباب المسلم بحدودها الشرعية وآدابها الاسلامية ولتحقيق الأهداف العليا لا الأهداف الخسيسة والهابطة ·

ومن هنا يتبين بوضوح واجب المدرسة لتنمية أجسام الشباب وتقويتها ويمكن لنا تحديده في النقاط الآتية :

١ - تكوين الوعي الصحي لدى التلاميذ وذلك بجعل الثقافة الصّحية من محتويات المنهج ، ويجب التركيز على توعية التلاميذ بمضّار بعض الظواهر الخطيرة والمتفشية بين الشباب خاصة وبين الناس عامة والتي تضرّ الصحة وتوقع في المهالك ، مثل: ظاهرة التدخين والمسكرات والمخدرات والزّنى والشذوذ الجنسي ...

والواجب على المدرسة كمؤسسة متخصصة أن تبيّن للتلاميذ مضارّ هذه الظواهر من الناحية الصحية والنفسية والاجتماعية والعقلية والإقتصادية بطريقة علمية تثبت الوقائع بوضوح وتكشف عن الحقائق وتضعها أمام عيون التلاميذ ، هذا من جهة ،ومن جهة أخرى يجب مراقبة سلوك التلاميذ من قبل المسئولين في المدرسة ادارة ومدرسا ومتابعتها، واتّخاذ اللّازم عند الإعوجاج.

إن التوعية الصحية لاتكفي وحدها للاقلاع عن مضرّات الجسم فلابد وأن تصحبها التوعية الدينية . فكثيرا مانشاهد بعض الأطباء وهم يدخّنون أو يشربون المسكرات وحتى المخدرات ، وهم يعرفون مضارّ هذه الظواهر صحيّا بطريقة علمية متخصصة ، ثم إن طبيعة النّفس البشرية تميل عادة إلى ملابسة بعض الظواهر الضارة وممارستها وهي عارفة بها ، ولكن النفس الأمارة بالسوء تأمره بدوامها والشيطان يزيّنها، فلابد من توعية دينية للإقلاع عنها.

إن التوعية الدينية لاتتم إلا ببيان وجوب المحافظة على الصّحة ومحاربة كل ما يضرها شرعا. لان الصحة هبة من المولى لعبده، وأن المرء مسئول عن صحته أحافظ عليها أم أضرّ بها ؟ يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ... ﴾(سورة البقرة /١٩٥)ويقول أيضا جل شأنه : ﴿ ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴾ سورة النساء / ٢٩ .

ولاشك أن الإضرار بالصحة هو التدّرج نحو الموت ، وقد نهى الله تعالى عن ذلك ، ثم يجب على المدرسة أن تبين للتلاميذ حكم

هذه الظواهر في الشريعة الاسلامية مقترنا بالأدلة المقنعة من الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء ، مع بيان العلة من التحريم أو الكراهية ... على حسب حكم الشرع فيها ، ثم ببيان جزاء هذه الظواهر في الآخرة . ولاشك أن التلميذ بهذا الأسلوب والطريقة سيقلع عن تلك الظواهر إن شاء الله تعالى .

٢ ـ ممارسة الرياضة كما سبق بيانها.

٣ ـ إقامة الدورات التدريبية والمعسكرات والرحلات التي تصقل الشباب وتزيد من خبراتهم وتجاربهم وتكسبهم عزما وقوة وتعريفهم حب المشاركة مع زملائهم والإيثار والتضحية وتدريبهم على بعض الممارسات العسكرية الجهادية .

٤ ـ الزيارات إلى معسكرات القوات المسلحة ليزداد التلاميذ حماسة، وللاطلاع على المستجدات في الأنظمة والمعدات والأسلحة المتطورة .

٥ ـ حماية الشباب من أخطار الغزو الفكري والثقافي والتعليمي :

إن أعداء الله من اليهود والنصارى وغيرهم من الكفرة والملحدين عندما تيقنوا من أنهم لن يقدروا على غزو المسلمين عسكريا، التجأوا إلى أساليب أخرى ، ولقد اختاروا أن يغزو المسلمين في مجالات ثلاثة: مجال الفكر والثقافة والتعليم . وبطبيعة الحال أنهم التجئوا إلى هذه المجالات قاصدين معركتهم ضد العقيدة . لأنهم يعرفون يقينا أن مصدر قوة هذه الأمة هي عقيدتها ، وصمموا على أن تكون المعركة الحقيقية ضد العقيدة. وهم يعرفون جيدا أنه ليس من السهل طمس هذه العقيدة من نفوس المسلمين مباشرة وإنما قصدوا أن يطمسوا معالم هذه العقيدة، وأن يشوهوا على المسلمين أهم مكوناتها وعناصرها ومبادئها بطريقة غير مباشرة .

ومن هذه المكونات الجهاد في سبيل الله تعالى ،وهم فهموا حق الفهم المعنى الحقيقي للجهاد الاسلامي وتعرفوا على أهدافه وغاياته ،ولقد

شاهدوا ثمرة تطبيقه خلال القرون الزاهرة من الفتوحات الاسلامية شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا • ولقد أضاعوا سلطانهم ومناصبهم وهيبتهم أمام سلطان الله تعالى وهيبة الإسلام والمسلمين، وكما شاهدوا الحضارات الاسلامية التي أسسها المؤمنون المجاهدون والتي طمست معالم الشرك والكفر بضيائها اللامع ونورها الساطع والتي هزت عروش الطغاة وصناديد الظلم والاستبداد وغيّرت الحياة نحو الفضيلة والكمال والانسانية والعدل والحرية •

وبالجهاد الاسلامي ذهبت مصالحهم الشخصية واستعبادهم للناس وأكل أموالهم بالقهر والجبر والظلم ونهب خيراتهم بدعوى الإصلاح والتعمير وتقديم خدمات انسانية !

ولقد عرفوا قوة الإيمان والعقيدة ودور الجهاد الاسلامي في الحروب الصليبية التي استمرت عدة قرون وانتهت بفشل أهل الكفر بعد أن وكبدتهم خسائر فادحة في الأرواح والمعدات الحربية ، ولم ينج منهم إلا القليل •

ولذلك ركزوا جهودهم كلها للنيل من هذا المفهوم الاسلامي السامي بالتشويه والتغيير والتحريف والتبديل ، وقد سبق بيان بعضها في الفصل الأول من هذا البحث عند حديثنا عن تحريف معنى الجهاد في الوقت الحاضر •

ومن واجب المدرسة المحافظة على أفكار التلاميذ من أخطار الغزو الفكري والثقافي والتعليمي ، ولذلك يمكن أن نحدد دورها في هذه العملية الخطيرة كالتالي :

١ ـ تعريف الحقائق الاسلامية تعريفا صحيحا وتثبيتها في قلوب التلاميذ تثبيتا متينا ، لئلا تختلط الأفكار وتضطرب المبادىء وتمتزج الثقافات •

٢ ـ تعريف التلاميذ بأساليب الغزو الفكري والثقافي والتعليمي وبيان أهم النقاط التي يركزون عليها ، وبيان أهدافهم وغاياتهم الخبيثة والكشف عن مخططاتهم •

٣ ـ اختيار المقررات الدراسية الخالية من سموم هذه الأعداء وأدناسهم.

٤ ـ تثقيف التلاميذ والطلاب بثقافة إسلامية صحيحة قبل ابتعاثهم إلى البلاد الأجنبية ، لأن المستشرقين يؤثرون غالبا في نفوس التلاميذ والطلاب الذين لم يتلقوا تعليما أسلاميا وثقافة اسلامية كافية في بلادهم.

٥ ـ تكوين الشعود الدفاعي لدى التلاميذ ، بحيث يجعلهم يدافعون عن عقيدتهم ودينهم وأمتهم أينما كانوا ، رافعي رؤوسهم واثقين بأنفسهم ولايخافون في الله لومة لائم .

٦ ـ تزويد التلاميذ والطلاب بالمعلومات الخاصة والمتنوعة عن الثقافة الغربية والفكر الغربي ، وعن دياناتهم ، وأنظمة حياتهم وسياساتهم الداخلية والخارجية وعاداتهم وتقاليدهم ليكون الطلاب على بينة من أمرهم ولئلا يقعوا صيدا في مصيدهم وضحية من ضحاياهم.

٧ ـ تنقية المناهج الدراسية كلها عن آثار الغزو الفكري والثقافي والتعليمي وصياغتها بصيغة إسلامية صحيحة.

٦ ـ الإستفادة من المسرح المدرسي :

إن تقديم التمثيليات له أثر كبير في نفوس التلاميذ ، إذ يرون الأحداث والمواقع في صورة حية عملية ، يزدادون تأثرا وانفعالا عند تخيلهم لتلك الأحداث والوقائع ، ولاشك أن التمثيليات تحرك مشاعر التلاميذ وعواطفهم وتجعلهم لاينسون الوقائع التي شاهدوها طوال السنين ، بل طوال العمر كله.

ان التلاميذ مهما قرؤوا البطولات الجهادية ومواقف الشجعان في بطون الكتب ، ومهما استمعوا إليها من أفواه معلميهم ومدرسيهم بأساليب مختلفة ، فإنهم بحاجة ماسة الى أن يشاهدوها ولو بطريقة تمثيلية ، ومن ذلك يتجلى دور المسرح المدرسي لتقديم تمثيليات البطولية الجهادية والتي تصور أهم احداث التاريخ الاسلامي لإحياء روح الجهاد والفداء

والتضحية الشجاعة وإذكائها في نفوس التلاميذ . وعندما يشاهد التلاميذ زملاءهم وهم يقدمون أروع التمثيليات وأحسنها ويظهرون بمهاراتهم الفائقة وقدراتهم البنّاءة المفاهيم السّامية من فداء ، وتضحية وبسالة وكفاح، ويلعبون دورهم بجدّ وإخلاص ، وبروح الرّجولة، يزدادون شوقا إلى ممارسة تلك الأعمال في حياتهم القادمة. ومن المعروف أن رجال التربية ينصحون تربية الأطفال والتلاميذ في وسط أقرانهم وزملائهم حتى يستأنسو بعضهم بعضا ، ولاشك أن تقديم مثل هذه التمثيليات من قبل التلاميذ يفتح أمام التلاميذ جميعا مجالا للمنافسة، فلابد لإدارة المدرسة من دعم التلاميذ وتشجيعهم لتقديم مثل هذه التمثيليات ، وخاصة في المناسبات التاريخية الاسلامية .

٧ - جمع التبرعات المالية - ولو رمزا - دعما للحركة الجهادية وذلك لتعويدهم على الكرم والسخاء والانفاق في سبيل الله تعالى .

إن الممارسات العملية لها أثر كبير في التربية ، و التلميذ مهما تعلّم في المدرسة فضل الكرم والسخاء والإنفاق في وجوه الخير والأعمال الانسانية ، ولم يمارسها في حياته اليومية فإن التربية ستبقى قاصرة على الجانب النظري لاتتعدى إلى الجانب العملي التطبيقي. ولذلك يجب على المدرسة أن تعود التلاميذ على الكرم والسخاء والبذل والعطاء ، وذلك بجمع التبرعات المالية - ولو رمزا - لمساعدة إخوانهم في شتّى بقاع الأرض وأن يخصص لذلك صناديق خاصة في المدرسة. ولاشك أن التلميذ في هذه الفترة الدراسية يشق على نفسه أن يتبرع بشيء من النقود الّتي أعطاها أبوه لينفق على حاجاته في المدرسة ، ولكن هذا التبرع مهما كان ضئيلا فان التلميذ سيتعود عليه ، ويتّخذه شعارا في حياته ،ويعتزّ به ، وأن عمله هذا سيؤديه إلى التفكير بقضايا إخوانه ومشكلات أمّته ، وعلى الأقل يحسّ بالأخوة الدينية ويشعر بالأخوة الإيمانية، ويطلع لى وجوب مساعدة المؤمنين ومساندتهم ماليا وبالتكافل الاقتصادي بين أفراد المجتمع. عسى يخصص جزءا من دخله أو راتبه عندما كبر وتحمل المسئولية على الجهاد الاسلامي ،وإذا نادى منادي الجهاد إلى الانفاق في سبيل الله تعالي فانه يسعى عن طيب نفس إلى تلبيته وإجابته ويحث الناس عليه ويلوم من تقاعس عنه .

المبحث الثالث

(واجب المسجد في التربية الجهادية)

—

ويشتمل هذا المبحث على :

* مقدمة عن مكانة المسجد في الاسلام عامة وفي التربية والتعليم خاصة .

١ ـ غرس التربية الايمانية والأخلاقية في نفوس المؤمنين عامة وفي نفوس الناشئة خاصة .

٢ ـ دعم روح الأخوة والتّعاون بين المؤمنين .

٣ ـ إنتهاز المناسبات التاريخية لاحياء الرّوح الجهاديّة في قلوب المؤمنين .

٤ ـ الإهتمام بالدعوة الاسلامية والجهاد في سبيل الله تعالى .

٥ ـ الإهتمام بالقضايا الاسلامية الرّاهنة .

* مكانة المسجد في الإسلام عامة وفي التّربية خاصة :

ان المساجد بيوت الله تعالى ، تقام فيها الصلوات وتتلى فيها آيات الكتاب العزيز ، يذكر فيها اسم الله عز وجل بكرة وأصيلا ، قال تعالى : * وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا *(الجن / ١٨).

ومما يدل على مكانة المساجد عند الله تعالى أنه سبحانه وتعالى هو الذي فضّلها على غيرها من الأماكن ، وأمر في بنائها وعمارتها وجعل أصل وظائفها الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح والتمجيد ، قال جل شأنه : * فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ * (النور : ٣٦ - ٣٧).

وممّا يدلّ على مكانة المسجد في الإسلام ، أنّ أوّل عمل قام به النّبي صلى الله عليه وسلم عندما وصل إلى المدينة المنوّرة إقامة المسجد، لأنّ المسجد هو الّذي يضمّ المسلمين ويجمعهم للعبادة ولتحقيق أهدافهم وحلّ مشاكلهم ويجمع شملهم تحت سقف واحد. المساجد مهبط النّفحات الربّانيّة ومحطّ ملائكة الرّحمة ومحاريب ذكر الله تعالى ، وان ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوزع في المساجد ،وميراثه العلم. يجتمع فيها المسلمون يصلّون ويتدارسون العلم ويذكرون الله تعالى ويتلون كتاب ربّهم ويدعون اللّه تعالى رغبة ورهبة.

ان المسجد هو أول بناء في الاسلام ، بناه النبي صلى الله عليه وسلم لتحقيق أغراض كثيرة غير كونه مكانا للعبادة . لأن حاجة الدّعوة إلى الله وتبليغ الرّسالة كانت تقتضي اقتضاءا لازما أن يكون للدّعوة مكان عام يتناسب مع عمومها وخلودها،يجتمع فيه رجال الدّعوة يتشاورون في أمر الدّعوة ونشرها ، ويخططون ويرسمون فيه أمورهم.

إن المسجد مكان تملكه الأمة حيثما كان أفرادها وجماعاتها،ويحمي هذه الملكية أفراد الأمة بأنفسهم ، ويتحملون مسئولياتهم تجاه إقامته

وصيانته وعمارته وتحقيق وظائفه وواجباته .

ولقد كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرّا رئيسيا لإدارة الدّولة بجميع شئونها تقريبًا ، وكان مكانًا للعبادة والذّكر والدّعاء وقراءة القرآن، وكان مكانًا للقضاء يقضي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المتخاصمين ، وكان رباطًا يأوي إليه المحتاجون والفقراء والمساكين والمسافرون . وكان مقرًّا لاستقبال الوفود وإجراء المفاوضات كما كان ميدانا للتدريب البدني ومكانا لعقد الألوية والرّايات للجيوش .

وفوق ذلك كله فإن المسجد كان في عصر السعادة مدرسة وجامعة إسلامية، يقوم فيه النّبي صلى الله عليه وسلم بتربية أصحابه وتزكيتهم وتعليمهم، كما كان الصحابة الكرام يتدارسون فيه العلم فيما بينهم ويتذاكرونه ويتلون كتاب الله تعالى ويحفظونه ويعملون بما فيه . ومن المشهور أن أهل الصفة كانوا يقيمون في المسجد ويتعلمون أمور دينهم على يد نبيّهم المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ومما يدل على مكانة المسجد في مجال التربية والتعليم مارواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ... " (كتاب الذكر ، رقم : ٢٦٩٩) .

إن تلاوة كتاب الله تعالى تشمل تلاوته وحفظه معًا ،ومدارسته هي مذاكرته وتعلم هديه وأحكامه وفقهه ومواعظه وقصصه ، وتعاليمه ،والتخلق بأخلاقه . وهذه قصّة عمليّة واقعية عن مهام المسجد تربويا ، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه قال : " كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة ،وكنّا نتناوب النّزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يوما وأنزل يومًا ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ،وإذا نزل فعل مثل ذلك ... "(كتاب العلم / رقم ٨٩) .

ونفهم من هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يربـّـي أصحابه ويعلمهم بصفة مستمرة في مسجده ، والصحابة الكرام كانـوا يداومون على تلقي هديه وتعلّمه يوميًا في المسجد . وإذا عجز أحدهم عن الذّهاب إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم كان يبعث أحدا مكانه أو يستفسر عن الحاضرين أخبار ذلك اليوم ، أو كانوا يتناوبون للذّهاب مع جيرانهم كما كان يفعل عمر الفاروق رضي الله عنه .

وكان الصحابة الكرام حريصين كلّ الحرص على حضور مجالس النّبـي صلى الله عليه وسلم ليتلقوا العلم والعرفان من منبعه الأصلي الصافي النقي مباشرة دون واسطة ، ولكن ظروف الحياة كانت لاتسمح بذلك لبعض الصحابة ، إما لاشتغالهم بالزّراعة أو التّجارة ، أو بُعْد المسكن عن المسجد ، ولكن هذه العقبات والموانع لم تمنعهم من التّفقه في الدّين ومن تعلم الهدي النبوي ، وكانوا يتلقونه بعضهم عن بعض ، ويخبرون بعضهم بعضا عما سمعوا من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وعمّا شاهدوا من أعماله صلوات الله وسلامه عليه .

ثم إن المسجد النبوي الشريف كان مدرسة مستقلّة بذاتها ، ومنها تخرج ذلك الجيل ، المثالي الفريد ، جيل الصحابة الكرام ، ولقد تلقوا فيها تعليمات دينهم ، وتربوْا تربية جهادية بطولية على يد قائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد أو في بيته وهو يتلوه على أصحابه في مسجده ، والصحابة الكرام كانوا يتلقونه حفظا وعملا وسلوكا وتعليما ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرشدهم بالوحي الثاني وهي السنة ، وكان تعليمه لهم بالقول والعمل والتقرير .

وكان المسجد منطلق تحركات الصحابة الكرام في الدّعوة والجهاد ، وإرسال العمّال والأمراء إلى الأقاليم والأمصار . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في الأمور الهامة في المسجد ، ويدعو النّاس إلى الجهاد في مسجده ويلبس سلاحه ويخرج إلى أصحابه في مسجده ، كما كان ينطلق بهم للجهاد من مسجده .

وفي ضوء البيانات السابقة يمكن لنا أن نحدد وظيفة المسجد في عصر النبوة فيما يلي :

الأولى : العبادة: من صلاة ، وذكر ، وتلاوة قرآن ،ودعاء واعتكاف .

الثانية : التربية والتزكية: من مذاكرة القرآن الكريم ومدارسته ، وحفظه ، وكذلك حفظ الأحاديث النبوية الشريفة ،وضبطها ومذاكرتها ومدارستها .

الثالثة : وظيفته الاجتماعية: تتضمن تحقيق الأخوة الدينية ،وإعانة الفقراء والمحتاجين، وتفقد أحوال المؤمنين ،وجميع القضايا التي تطرأ على المجتمع .

الرابعة : وظيفته الاقتصادية: من جمع التبرعات للفقراء والمساكين وكذلك جمع النفقات للجهاد في سبيل الله تعالى .

الخامسة : وظيفته الجهادية والعسكرية: من اعداد المجاهدين المقاتلين ، والتشاور في أمر الجهاد والحرب والقتال ، عقد الألوية للغزوات والسرايا ، تدريب الجنود على التدريبات العسكرية .

السادسة : وظيفته السياسية: مثل استقبال الوفود وإجراء المفاوضات وكتابة الرسائل إلى الملوك والرؤساء .

وبعبارة أخرى أن المسجد كان مقرا لتدبير شئون الدولة الاسلامية كلها ، وكانت تلك الوظائف كلها تمارس في آن واحد في مسجده صلى الله عليه وسلم ، ويمكن لنا أن نتساءل في هذا المقام وهو لماذا لم يتخذ النبي صلى الله عليه وسلم أماكن أخرى خارج المسجد ليخفف من ثقله ؟ وكان بإمكانه أن يفعل ذلك بلا شك .

ويجيب على هذا التساؤل الأستاذ عبدالله أحمد قادري في كتابه "دور المسجد في التربية" (١٤٠٧هـ) قائلا :

" فان ذلك يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قصد أن لايفرّق بين أداء الشّعائر التّعبدية ،وغيرها من سياسة الدولة ، ليعرف أمّته أن الدّين شامل لإقامة كل خير في هذه الأرض وليس خاصا بنوع معين من أنواع العبادة الّتي تؤدى لله تعالى. ولو لم يكن هذا المعنى هو مقصوده صلى الله عليه وسلم ، ولو كان المسجد خاصا بأداء الشعائر الدينية المشهورة عند الناس ،ولايليق به غير ذلك ، لسارع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تخصيص مكان آخر لادارة شئون الدولة فيه ، وما الذي يعجزه عن ذلك ؟ ... " (ص ٦٦).

إن ظروف عصر النّبوة من حداثة البناء والتأسيس ، وبساطة الحياة وقلّة السكان والتزهد في الدنيا ... الخ من الظروف التي اختص ذلك العصر ورجاله،قد اقتضت أن يكون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤدي رسالته على الوجه الذي سبق بيانه ، وأن يكون بناؤه على تلك البساطة ، لأن الصّحابة الكرام صرفوا جهودهم وإمكاناتهم كلّها إلى نشر الدّين والجهاد في سبيل الله تعالى ، واكتفوا من أمور الدّنيا بالكفاية الضّرورية والحاجة الملحّة.

ولقد أدّى المسجد رسالته طوال العصور التاريخية ، ولكن بسبب الظروف الجديدة التي طرأت على المجتمع الاسلامي الجديد،ولقد تخلّى عن بعض وظائفه المذكورة ، مثل القضاء وتدبير أمور الدولة الأخرى،واعداد الجنود ، والتعليم ... الخ ، وذلك بسبب الإزدياد في السّكان وفتح البلدان وكثرة الجنود ، وتنظيم الجيش ... الخ .

من الأسباب الّتي اقتضت تأسيس المستشفيات المتخصصة ودور الأيتام والمدارس ، ودور القضاء ومقر إدارة الدولة والمعسكرات للجنود وغيرذلك من المؤسسات الّتي تعتبر من المصلحة العامة للإسلام والمسلمين وعامة الناس.

ولاشك أن الاسلام دين يحافظ على المصلحة العامة ويراعيها في كل زمان ومكان، وان انفصال هذه المؤسسات ـ في المكان والشكل ليس في الروح

والوظيفة – كان من ضروريات الحياة ومسايرة الزمان ، وتلبية لظروف العصور وسلامة الدّعوة ونشر الدين . وليس في ذلك ما يضر المسجد ،لو أن تلك المؤسسات تعاونت مع المسجد وسارت على هديه ونهجه ومنواله، ولم تعاده في أهدافها ومناهجها ووسائلها وطرقها واتجاهاتها . ومن المؤسف جدا أنه حدث في كثير من البلاد الاسلامية الإنفصال المعادي بين المسجد وبين المؤسسات الأخرى ، وأصبحت تلك المؤسسات تحارب المسجد وتحقره وتجابهه، وذلك بسبب بذور العداوة والبغضاء الّتي ألقيت من قبل المستعمرين وعُمّالهم للتقليل من شأن المسجد وعلماءه وطلاّبه وخريجيه ، وأُن أمثاله مشاهد في الأعيان في الوقت الحاضر في كثير من الدّول الاسلامية ،ولايلتفت إلى جانب طلاب المساجد وعلمائها مهما بلغوا من العلم والدراية مالم يدرسوا في المدارس المدنيّة ! ومالم يحصلوا على شهادة المدارس الحضارية ! ولقد نسي المسلمون أو تناسواْ أن العلماء والفقهاء والمفسّرين والمحدثّين والأدباء والفصحاء والمربّين المشهورين أين درسوا ومن أين تخرّجوا؟ أو ليس هؤلاء كلّهم من خريجي المساجد ؟

وقبل ذلك أوليس الصحابة الكرام من خريجي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ؟

ولكن غرض أعداء الدين هو النيل من مساجد المسلمين والتقليل من شأنها بكل الوسائل وفي كل المناسبات ، وبذلك يريدون أن يفرّقوا بين العبادة والمعاملات وبمعنى آخر وبين الدّين والدولة حتى يقصروا الدين على المسجد، وان المسجد لا يصلح إلا للعبادة. وبذلك يمكن لهم أن يُبْعدوا المسلمين عن مسجدهم وعن دينهم ، وأن يسيطروا عليهم فكريا وثقافيا وتعليميا واقتصاديا وسياسيا كما حدث في الوقت الراهن .

ولذلك فلابد من إعطاء المسجد مكانته الّتي كان عليها في عصر النّبوة وعصر الخلفاء الراشدين. ولانريد بذلك أن نجعل المسجد مكانا لتدريب الجيش ولا أن ندخّل المستشفيات والدوائر الحكومية والمدارس بكل مراحلها إلى المسجد ، وهذا لا يقوله عاقل ولايُتصور أبدا تحقيقه، وكما أنه لا داعي له . ولكن نريد أن يؤدي المسجد رسالته الإرشادية والتوجيهية

وأن يبصّر المسلمين أن الدّين شامل - لجميع نواحي الحياة: من عبادة، ومعاملات، واقتصاد، وسياسة، وجهاد ... وأن يعدّهم لأن ينظروا إلى المؤسسات الأخرى على أنها مؤسسات اسلامية ،ولا فرق بينها وبين المسجد إلا في الجزئيات دون الكلّيات ، وكلّها ترمي لتحقيق هدف واحد وهو تحقيق العبودية ونشر الدين الاسلامي واقامة منهج الله تعالى في الأرض ،ولذلك يجب أن يكون هناك تعاون وتنسيق بين هذه المؤسسات في تحقيق الأهداف، وفي المناهج والأساليب .

وقبل أن أتكلم عن واجب المسجد في التربية الجهادية أود أن أشير إلى خصوصية المسجد عن باقي المؤسسات التربوية الأخرى . إن المسجد أكثر شمولية وعمومية عن سائر المؤسسات ، بحيث أنه يخاطب جميع المؤمنين دون الاستثناء ، رجالا ونساءا ، صغار وكبارا ، جهالا وعلماء ، فقراءا وأغنياءا ، مهما كان عملهم وموقعهم . لأن الصلاة فرض على الجميع، فلابد للمؤمنين أن يصلي صلاته في المسجد مع الجماعة ، سواء كانت في مكان عمله أو مسكنه ، فلا يستغني أحد عن المسجد والجماعة إن كان مؤمنا . وإن كان معنى العبادة في الاسلام شاملا لكل تصرفات المؤمن مادام يبتغي بها وجه الله تعالى ويرضيه ويحبّه إلا أن المسجد له خصوصية في أداء الشعائر التعبدية ، لأن المسجد بيت الله تعالى ، خصّص في الدّرجة الأولى للعبادة ، وان الجّوفية جوّ العبادة ، بل مجرد الإنتظار فيه – دون الاشتغال بالعبث – عبادة ورباط كما جاء في الأخبار الصحيحة عن المعصوم صلى الله عليه وسلم . روى الامام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ألا أدلّكم على مايمحو الله به الخطايا ويرفع به الدّرجات ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ،وانتظار الصلاة ، بعد الصلاة ، فذلكم الرّباط ، فذلكم الرّباط ". (كتاب الطهارة رقم : ٢٥١).

وأغرب من ذلك ان مجرد المشي إلى المسجد عبادة ، يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات ثم إن إمام المسجد وعلماءه أقرب الى عامة الناس

من علماء المدارس والجامعات والمعاهد ، لأن النّاس عامة على الأقل خمس مرات في اليوم - يلتقون بإمام المسجد وعلمائه ، وبذلك يذوب بينهم وبين النّاس كلّ الفوارق والإعتبارات' بمعنى يتكوّن بين الإمام وبين الناس نوع من التّعارف والصّداقة الخاصة والّتي تنجم عنها المحبّة والإحترام والتقدير، وذلك يؤدي إلى التّعرف على قضايا المصلين ومن ثم البحث عن حلولها من قبل إمام المسجد وعلمائه في ضوء تعاليم الإسلام .

ثم إن المسجد مفتوحة أبوابه دائما لمن أراد أن يحضر إليه في أي وقت من الأوقات للصلاة أو الذكر أو تلاوة القرآن أو تعلم العلم وتعليمه. وهي مدرسة شعبيّة تشمل جميع أفراد الشّعب ، وهو مصدر آمن وطمأنينة ومصدر السكون النفسي والروحي ، وليس مصدر قلق وخوف واضطراب .

إن للمسجد آدابًا تخصّه دون سائر المؤسسات ، وإن كانت لباقي المؤسسات آداب ، ولكن آداب المسجد مقرونة بجوّ العبادة والروحانية ،بينما آداب سائر المؤسسات بعيدة عن هذا الجوّ إلى حد ما ، والمثال على ذلك نظام المدرسة يصحبه الإلتزام بالتعاليم المدرسية والعقاب .

ثم إن علماء المساجد ووعاظها أكثر تأثيرا من غيرهم في قلوب الناس ونفوسهم' كما أن الناس في المساجد أكثر تقبّلا واستجابة لارشادات علمائها ومواعظها. لأن علماء المساجد قدوة حسنة وأسوة طيبة في عيون الناس ، وهذا ماتوارثه الأجيال . ولا أريد بذلك أن أقلل قدر علماء باقي المؤسسات بحال من الأحوال . ولكن أقول أن علماء المساجد إذا أخلصوا نياتهم وأعمالهم يؤثرون أكثر من غيرهم في قلوب الناس ،لأنهم غالبا مزودون بأصول الخطابة والكلام وبمعرفة الدخول إلى قلوب الناس ومعرفة ترقيقها وتليينها ومعرفة فصل الخطاب والكلام. ولاشك إن ذلك من متطلبات عملهم ومستلزمات صنعتهم.

وبعد هذا العرض يجدر بنا أن نحدد واجبات المسجد أو وظيفته في التربية الجهادية . ولقد سبق وأن قلنا أن للمسجد واجبات هامة لإحياء الرّوح الجهادية وإذكائها وغرسها في قلوب النّاس عامة وفي قلوب الشباب

خاصة. وبدون هذا العمل لاتثمر العبادة ، ولاينفع الذكر والتسبيح والاعتكاف . ولا تنفع تلاوة كتاب الله تعالى والقاء الخطب ، ولا النوافل ولاالتهجد.

وليس من غرض البحث تحديد واجب المسجد من كل النواحي ،وإنما تحديد رسالته في التربية الجهادية . إن الأقلام مهما كتبت ،والألسنة مهما قالت عن رسالة المسجد ومكانته ، فإن وظائف المسجد أكثر إظهارا لمكانته في الاسلام.

وفيما يلي تحديد بعض واجباته في التربية الجهادية :

١ – غرس التربية الإيمانية والأخلاقية في نفوس المؤمنين عامة وفي نفوس الناشئين خاصة :

إن المسجد يحضر إليه جاهل وعالم ، ومثقف وغير مثقف ،وهؤلاء الناس جميعا بحاجة ماسة إلى أن يتعرفوا أصول دينهم وتعليماته وارشاداته ، وأما الجاهل غير المثقف فهو في أشد الحاجة إلى التربية الإيمانية وتهذيب سلوكه وأخلاقه ، لأنه ليس بمقدوره أن يدرس في المدارس وقد فات أوانه ،ودخل في سرب الحياة ، وليس له مؤسسة غير المسجد يتلقى فيها تربيته وتهذيب سلوكه..

وأما العالم المثقف فهو يزداد عِلْما وثقافة ورسوخا عندما يستمع من إمام المسجد أو خطيبه مبادئ دينه وإرشاداته وتعليماته ،لأن المؤمن مهما كان عالمًا فإنه لايستطيع أن يستغني عن العلم والمعرفة والتذكير. إن طلب العلم مطلوب من المهد إلى اللحد طول الحياة ، لأن دعائم الحياة وأسسها تقوم على العلم، ثم ان المسجد يسوده جوّ العبادة كما قلنا ، فيه بركة وجوّ روحاني ، وفيض من الفيوضات الإلهية التي تحيط بساحته ،ولعل سرّ تفوّق علماء المساجد في كل عصر وحتى في وقتنا الحاضر هو تحصيلهم العلْم في ساحة هذا المكان الطّاهر متأثرين بروحانيّته وبركته وفيْضه المتدفّق .

إن غرس الايمان هو الواجب الأول لكل مؤسسة من مؤسسات التعليم في الإسلام ، لأن الإيمان هو الأصل والحجر الأساسي الذي يقوم عليه بنيان الإسلام وقلعة التوحيد. فإن واجب المسجد في هذا المجال أكثر أهمية عن غيره من المؤسسات ، لأن واجبه الأول العبادة ، ولاشك أن العبادة تقوم على عقيدة إسلامية صحيحة والإيمان الصادق ، والمعيار المطلوب للإيمان ليس أن يطهّر الإنسان نفسه من المعاصي فقط وإنما الإيمان الحقيقي هو الذي ينقذ البشريّة المشرفة على الهلاك ، ويحدث في القلب كراهية من الكفر والشرك وأهله ، والقلب الذي لايتألم ولا يتفطّر إذا رأي العالم حوله يتخبّط في الظلمات فاعْلمْ أنه فَقَدَ روحه ولبّه وبشاشته .

وكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانًا لتلقين الإيمان وتقويته بالعلْم والعِرْفان وبالحجّة والبرهان وتزكية النفوس بتلاوة القرآن ، وتحليتها بالفضائل ومكارم الأخلاق . وكان الواحد إذا أسلم في المسجد كان النّبي صلى الله عليه وسلم يدفعه إلى اخوانه المسلمين ليُقرؤوه القرآن ويُفقّهوه في دينه . وهذا عمير بن وهب - فيما يروي ابن اسحق في السيرة (١٤٠٨هـ) :

> " يأتي إلى المدينة المنوّرة متقلدًا سيْفه بعد غزوة بدر الكبرى ليقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيُسلم فوْر قدومه المدينة المنورة ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((فقّهوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره)) ، ويقول عمير : يارسول الله ، إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل ، وأنا أحبّ أن تأذن لي ، فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله يهديهم وإلا آذيتهم في دينهم كما كنتُ أوذي أصحابك في دينهم . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويُؤذي من خالفه أذى شديدا ، فأسلم على يديْه ناسٌ كثيرون ." (ج ٢، ص ٣٠٣- ٣٠٤)

وقد رأينا في هذه القصة مكانة المسجد في التّربية والتعليم وترسيخ عقيدة الإسلام وقراءة القرآن والتّفقه في الدّين. وهذا الصحابي الجليل عندما كان شديد العداوة لله ورسوله حتى همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم- تاركًا وراءه عياله ودُيُونه، وتحمل في ذلك الموت - انقلب بمجرّد نطقه بالشّهادة إلى مجاهد يجاهد في سبيل الله تعالى بقوّة إيمانه ورسوخه، وداعيًا يدعو إلى الله تعالى دون أن يخاف في ذلك لومة لائم، وأسلم على يده ناس كثير .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربّي أصحابه على الأخلاق الحسنة والآداب الحميدة في مسجده هذا بتطبيق عملي وأسلوب جميل لطيف دون أن يكسر قلب أحد أو خاطره ، روى الامام مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال : " بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه أعرابي فقام يُبُول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَهْ مَهْ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تزْرموه ، دعُوه) فتركوه حتى بال ثم ان النبيّ صلى الله عليه وسلم دعاه ، فقال له : (ان هذه المساجد لاتصلح لشيء من هذا البوْل والقذر ، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن " قال : وأمر رجلا من القوم ، فجاء بدلْو من ماء فشنه عليه) " (كتاب الطهارة ، رقم ٢٨٥) .

وقد رأينا كيف أدبّ النبي صلى الله عليه وسلم مَنْ لايعترف آداب المسجد وقدسيّته ومكانته ، ثم بيّن صلى الله عليه وسلم وظائف المساجد ورسالتها من الذكر والصلاة وقراءة القرآن وتعلم مافيه من الأوامر والنواهي والحكم والمواعظ.

وبذلك تبين واجب المسجد في غرس الإيمان في النفوس وتحلية المؤمنين بالأخلاق الاسلامية والآداب الحسنة ، ولأجل ذلك فلابد للإمام مراعاة بعض الأمور ، ومنها :

١ - أن يشرح للناس أهمية العقيدة الاسلامية والإيمان ، مبيّنا مستلزماتها ومسئولياتها .

٢ ـ أن يقدّم لهم البراهين والحجج من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ومن مكتشفات العلم الحديث مايقوّي إيمانهم ويزيد من رسوخهم ، ولذلك يجب على إمام المسجد أن يكون على معرفة من الثقافة العامة وعن المكتشفات العلمية الحديثة، وليس ذلك على سبيل التخصّص والدّراسة العميقة، ولكنّه على سبيل الثقافة العامة.

٣ ـ أن يشرح للناس كيفية المحافظة على إيمانهم وعقيدتهم، وذلك بتجنّب مبطلات الإيمان وطلب العون والسداد من البارئ تبارك وتعالى. ولابد له أن يتطرّق إلى هذه المبطلات بتوضيح خطورتها وحرمتها من الناحية الدينية والعلمية والاجتماعية والانسانية.

٤ ـ في مجال التربية الأخلاقية يجب على إمام المسجد أن يركز إهتمامه في ذلك على الأخلاق الإجتماعية أكثر من غيرها ، وبعبارة أخرى أن هناك اخلاقا فردية أو يغلب عليها الجانب الفردي ، كما أن هناك أخلاقا اجتماعية أو يغلب عليها الجانب الاجتماعي ، والمثال على ذلك أن الكسل خلق مذموم ، وهو ليس مثل الكذب والخيانة والغدر والغيبة والنميمة والحسد والسرقة والزنى . وان هذه الأخلاق مذمومة شرعا وهي ترمي إلى اختلاف المجتمع الاسلامي وتفرق كلمة الجماعة والأمة ، فان خطرها أعظم على المجتمع الاسلامي ، فلابد من التركيز عليها لتقوية الأواصر والرّوابط الأخوية بين المسلمين .

في مقابل ذلك يجب أن يركز اهتمامه على تثبيت الأخلاق الحسنة والتي يغلب عليها الجانب الاجتماعي ، مثل المحبة والرحمة والعطف والتعاون والتساند والوحدة والكرم والسخاء ... الخ . من الخصال الجميلة الّتي تربط المؤمنين مع بعضهم.

ومن الجذير بالذّكر أن الامام في هذه العملية قدوة ، فلابدوأن يكون قدوة حسنة بأقواله وأخلاقه وسلوكه ، ومعاملته مع النّاس ،خاصة مع الصّغار، فلابد وأن يعاملهم معاملة حسنة ويلاطفهم ولايغلظ لهم القول ،ويمازحهم ويستقبلهم بوجه طلق ليجلب قلوبهم إلى المسجد ، لأن الصّغار عادةً ينفرون

من التعنيف والغلظه. وبذلك يمكن تحبيب المسجد للصّغار، ومن ثم تعويدهم على الحضور الى بيوت الله تعالى رغبة وعن طيب نفس.

إن الجهاد في الاسلام يحتاج إلى عمل جماعي مشترك ، والعمل الجماعي لايتحقق إلا بتكوين الجماعة ، وإن عناصر الجماعة ومكوناتها متضمنة في التمسك بالأخلاق الاسلامية السامية ، وذلك بالتحلي بالمكارم والتخلي عن الرذائل ، لأن التحلي بالمكارم يقوّم الأواصر الأخوية بين الأفراد ويدعم الرّوابط الاجتماعية ، كما أن الصّفات الذميمة والأخلاق السيئة تفرّق الوحدة والاتّحاد. والمسلمون في جهادهم الاسلامي في حاجة ماسة إلى الوحدة وجمع الشمل حتى يكونوا أقوياء في كل الميادين ، في السّلم والحرب وفي كل الظروف والمناسبات.

٢ - دعم روح الأخوة والتعاون بين المسلمين مما يؤدي إلى دعم القيم الاسلامية وتوحيد السلوك الاجتماعي ، ونبذ كل ما يضعف الروح الايمانية والاجتماعية من قيم سالبة كالظلم والحسد واحتقار الغير والسّخرية بالآخرين ، والغيبة والنّميمة إلى غير ذلك من أمراض اجتماعية والّتي تضعف البناء الاجتماعي الاسلامي وتفرق قواه :

إن الأخوة من أسمى سمات هذا الدّين وأكبر معالمه ، إن المسجد خير مكان لتحقيق هذه الأخوة الدينية بين المسلمين. لأن المسلمين يحضرون إليه خمس مرات يوميا على الأقل، يسلّم أحدهم على آخر ، فيصافحه. إن التعارف لايعني مجرد معرفة اسم الشّخص أو عمله أو سنّه ، وإنما يعني معنى آخر أكثر شمولية وعمقا من ذلك، التعرّف على شخصيّته وموقعه في المجتمع ، ومشكلاته وقضاياه وظروفه الصحّية والاقتصادية بَغيّة التّعاون معه في بناء مجتمع إسلامي متكافل يشدّ بعضه بعضا كالبنيان المرصوص ، لأن تحقيق هذه الأخوة بهذه الصورة وبهذا الشكل من ضروريات الدّين الاسلامي ، وواجب شرعي . ويجب على الإمام أن يتعرف على جماعته فردًا فردًا، ويتفقّد أحوالهم ويخفّف عن آلامهم المتعدّدة وذلك بالسّعي المتواصل الدؤوب على

حل مشكلاتهم بالتّعاون الجماعي والتساند الاجتماعي .

ولتحقيق هذه الرّوح فلابد من سلوك المسلكيْن الآتييْن :

أولا : بيان أهم عناصر هذه الأخوة وأسسها كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . إن مجرد القاء كلمة : يا أيها النّاس كونوا إخوة ، لاتفيد شيئا ، وعناصر هذه الرّوح معدومة في تلك الجماعة الّتي تسودها الحسد والبغض والسخرية ... الخ من الصفات الذميمة الّتي تعوق تكوين مجتمع متآخ متعاون. فلابد لإمام المسجد وواعظه أن يشرحوا هذه العناصر بوضوح، بشرح الآيات القرآنية والتوجيهات الرّبانية وبشرح الأحاديث النبوية والارشادات المحمدية مبيّنا أهميّتها في تكوين الجماعة والأمّة والأضرار الّتي تنجم عن عدم تحقيقها) بالأمثلة الواقعية الحيّة من المجتمع المعاصر. لأن الأخوة الدّينية مفهوم معنوي وعمل القلب والوجدان ، فلابد من الاستشعار بها حتى يمكن تحويلها إلى واقع عملي ملحوظ ، وبمعنى آخر إنها شعور نفسي تتكون بعد الإيمان الصادق وتدفع صاحبها إلى الشعور بالاهتمام نحو الآخرين .

وإن بعض تلك العناصر هو الحبّ في الله والبغض في اللّه تعالى . وإذا كان حبّ المرء لغرض آخر أو للمصلحة الشخصية فلا ينجم عنه الأخوة الدّينية ، فسرعان مايزول بانتهاء ذلك الغرض أو المصلحة ، والمؤمن لايجد حلاوة إيمانه إلا اذا كان حبّه في الله تعالى وبغضه في الله تبارك وتعالى .

روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون اللّه ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ، وأن يحبّ المرء لايحبّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه اللّه منه كما يكره أن يقذف في النّار " (. البخاري : كتاب الايمان رقم ١٦، مسلم : كتاب الإيمان رقم ٤٣).

وكما روى الامام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلاظلي " (كتاب البر والصلة : رقم ٢٥٦٦).

وإن تحقيق هذا الحب بهذه الصورة لاينالـه إلا المتقون من عباد الله الصالحين ، وليس من السهل أن يحب المرء أخاه في الله تعالى بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى . ثم أن علامات هذا الحب لابد وأن تظهر على العبد وهي الطاعة الكاملة لله عز وجل كما سبق بيانه ، والواجب على الإمام في المسجد أن يظهر هذه الحقائق على الناس ، وأن لايتركهم عند مرحلة لاتثمر ثمرة ، مثل: أن يشرح لهم وجوب الحب في الله تعالى ولايربطه بالطاعة وامتثال الأوامر واجتناب النواهي .

وإذا أحب المؤمن أخاه في الله وأبغضه في الله فلابد و أن يأمره بالمعروف ، وينهاه عن المنكر ويقدم له النصح والإرشاد ويمد له يد العون والمساعدة .

إن هذا المفهوم هو مقياس علاقة المؤمن مع أخيه المؤمن ، وإن هذا المقياس مقياس إلهي ، ومن آخذه واستمسك به يجد حلاوة إيمانه في كل لحظة من حياته ويشعر بلذة العبادة والذكر والتسبيح والتهليل وتلاوة القرآن المجيد.

وأود أن أشير في هذا المقام أن التمسك بهذا المقياس ، سوف يجعل صاحبه مزودا بالأخلاق الحميدة والخصال الجميلة ويرتقي روحيا إلى الدرجات العليا بإذن الله تعالى ، ومن هذه العناصر أيضا إفشاء السلام وتشميت العاطس ، وإجابة الدعوة وزيارة المريض واتباع الجنائز كما جاءت في الأخبار الصادقة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وبكلمة أخرى كل خصال الخير التي أمرها الشرع واستحسنها العقل السليم . والواجب على الإمام أن ينتهز

في ذلك فرصة خطبة الجمعة والتي يحضر لسماعها جمع غفير من المسلمين وكذلك خطبة العيدين في نطاق أوسع وأشمل ، وأن يجعل همّه ترسيخ هذه المفاهيم في قلوب المسلمين عامة وفي قلوب الشباب خاصة بكل وسيلة .

ثانيا : أن يكون الإمام والواعظ وعلماء المساجد قدوة حسنة ومثالا تطبيقيا حيًا في ذلك بمعاملاتهم مع النّاس سواء كانت في المسجد أو خارجه . إن الامام الّذي لا يطبّق ما يقول لايتوقع منه أن يؤثر في النّاس بحال من الأحوال ، فلابد له أن يحقق في نفسه أسمى مظاهر الأخوة الاسلامية حتى يُسمع ويُطاع لئلا ينطبق عليه قوله تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة / ٤٤) .

٣ – انتهاز المناسبات التاريخية لإحياء الرّوح الجهاديّة في قلوب المؤمنين:

وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما ينتهز المناسبات ، ويعظ فيها أصحابه ويرشدهم ، لتكون أبلغ في الموعظة والتأثير في النفوس ، ولقد جاء في المثل: لكل مقام مقال .

ان كتب الحديث والسيرة مملوءة بمواعظ النّبي صلى الله عليه وسلم في المناسبات. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتّخذها وسيلة للدّعوة وللدّخول إلى القلوب والنفوس: لأن القلوب تكون أكثر تقبّلا واستجابة في هذه الحالات . وقد رأينا كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرّض أصحابه على القتال يوم بدر ، فلقد تأثر من ذلك الصّحابي الجليل عمير بن الحمام فألقى التّمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضي الله عنه .

فالواجب على كل مرب ، أن ينتهز المناسبات لإلقاء كلماته المؤثّرة وأن يغتنم هذه الفرص لإتمام مهمّته على أحسن وجه ، لأن فيها فائدة كبرى ومصالح جمّة . ويمكن للإمام أن يخطب ويرشد النّاس في المناسبات التاريخية المختلفة ، مثل نزول القرآن الكريم في شهر رمضان وذكر أمجاد الاسلام في رمضان مثل: غزوة بدر الكبرى الّتي حدثت يوم السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، وكذلك من أيام الاسلام في شهر رمضان يوم

الفتح الأكبر في اليوم العشرين من السنة الثامنة للهجرة • وفتح بلاد الأندلس في الثامن والعشرين من شهر رمضان من السنة الثانية والتسعين من الهجرة •

إن الخطابة في مثل هذه المناسبات توقظ القلوب وتثيرها وترققها وتدفع السامعين إلى الاندفاع والتقبّل والإستجابة السريعة لما يسمعون من الإرشادات الدينية والتوجيهات الإلهية • وينبغي للإمام أن يشرح للناس أمجاد الاسلام في التاريخ الاسلامي المجيد ، وهذه الأمجاد تشهد بأن الصوم حافز من حوافز الجهاد في سبيل الله تعالى ،ودافع من دوافع النّصر والاستشهاد•

ثم عليه أن يربط هذه الأمجاد بواقع المجتمع الاسلامي الحالي ويحلّل القضايا الاسلامية والحركة الجهادية، وأن يقارن بين تلك الأمجاد وماظفر به المسلمون من النّصر والتمكين ومآلت إليه الحركة الجهادية في الوقت الحاضر ، ويجعل تلك الأمجاد التاريخية الاسلامية مثالا يحتذى بها في كل وقت ومكان ، مبيّنا في ذلك ضرورة الجهاد الاسلامي بالنفس والمال وبكل الامكانيات المتاحة لأفراد هذه الأمة المحمدية في عصرنا هذا•

وبذلك تعود الرّوح الجهادية إلى قلوب المؤمنين وتحيا في كل وقت يسمعون فضل الجهاد وأهدافه ورجاله وما اختصّهم اللّه تعالى من الكرامات والمميّزات والخصائص في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة•

٤ ـ الاهتمام بالدّعوة الاسلامية والجهاد في سبيل الله تعالى :

إن الاهتمام بالدّعوة الاسلامية واجب الجميع ، لايتخلّى عنها أحد في المجتمع الاسلامي مهما كان عمله أو موقفه ، لأن المؤمن داعي الله تعالى في أرضه، إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، وإن هذه الدّعوة الإلهية انتشرت من المسجد ، من بيوت الله تبارك وتعالى ، كما سبق وأن قلنا ان المسجد النبوي الشريف كان منطلق الدّعوة إلى الله تعالى ، فيه يتم إعداد الدّعاة والمجاهدين بتربية النبي صلى الله عليه وسلم وتحت رعايته

ورقابته ، ومن ثم إرسالهم إلى أنحاء الأرض ليبلغوا رسالات الله تعالى ورفع الظلم عن النّاس واطلاقهم أحرارا ليتمكنوا من الوصول إلى الهداية والنور.

ان المسجد يتم فيه الدّعوة إلى الله تعالى ومنهجه في كل يوم خمس مرات ، وأن كلمات الأذان هي الدّعوة الحقيقية للإسلام ، والمسجد يعتبر قاعدة أساسية للدّعاة إلى الله تعالى في كل زمان ومكان ،ينطلقون منها ويأوون اليها ، ويجتمعون ويتشاورون فيها في أمور دينهم ودنياهم. إن الدعوة مستمرة إلى يوم القيامة وسيكون لها رجال ، كما ستكون لها مشاكل وقضايا ، وإن قضايا الدّعاة إلى الله تعالى ومشاكلهم لها طابع الخصوصية في كل زمان.وهذه ناتجة عن طبيعة عملهم ومهمّتهم. فلابد للدّعوة من أن تنتشر ، ولابد لرجالها من الرّعاية والعناية والتأييد اللاّزم ، ولابد من متابعة مراحلها ومراقبة تطوّرها وتقويم نتائجها وأساليبها ووسائلها وطرقها ، ولابد من تحريض النّاس وحثهم على القيام بهذه المسئولية الكبرى الملقاة على عاتق كل من يدخل حظيرة الإسلام.

ومن هنا يأتي مسئولية القائمين على المساجد في توعية النّاس وارشادهم إلى ضرورة الدّعوة إلى الله تعالى ، وأن يتحمّل كل واحد نصيبه من هذه المسئولية على الوجه المطلوب ، وذلك ببيان أهمية الدّعوة الاسلامية ونشرها من النّاحية الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ثم بتوضيح أضرار القعود عنها بضرب الأمثلة من الحياة الواقعية اليومية ، حتى يتيقن النّاس أهميتها وضرورتها بقياس الأضرار الناجمة عن تركها وعوائدها إن طبقت كما ينبغي.

اليوم نحن بحاجة ماسة إلى القيام بهذا العمل الجليل حاجة النّاس اليها أكثر من حاجتهم الى الغذاء والكساء والهواء، والنّاس في ضياع ،وهم في حاجة إلى من ينقذهم ويأخذ بأيديهم . لأن كثيرًا من المجتمعات الإسلامية قد تفسخت عقديًّا وخلقيًّا وسلوكيًّا وضاعت معالم الهدى والنور واختفت الحقائق أو شوهت والتبست وإن كانت ظاهرة مثل الشمس.

إن الأمة الاسلامية لايكفي بحكم مكانتها وغاية وجودها - أن تعيش حياة صالحة تقيّة هي نفسها فحسب ، بل عليها أن تعمل لتوجيه العالم وقيادته وهدايته أيضا. فهي عابدة وزاهدة كما هي قائدة ورائدة.

إن واجب المسجد واجب كبير ولابد أن يعمل على أداءه حتى تظهر معالم الهدي والنور مشاهدة للعيان ، ولذلك فلابد للامام أن يراعي في ذلك بعض الخطوات ومنها :

١ - بيان حقيقة الدّعوة الاسلامية من مصادرها الأساسية للناس ،وبيان ضرورتها ، ووجوبها في كل وقت وتوضيح علاقة الجهاد بالدعوة الاسلامية وموقف الجهاد من الدّين .

٢ - إبراز مراحل الدّعوة الاسلامية ومراحل تشريع الجهاد في عهدها المكي والمدني وذلك بتقديم الأمثلة الحية والواقعة من السيرة النبوية الشريفة ، ليتعرف النّاس على أن هذه الدّعوة قد مرّت ببعض المراحل والتطوّرات وأن لها الأصول والقواعد فلابد من اتباعها وتطبيقها للوصول إلى أفضل النتائج.

٣ - توضيح أساليب الدّعوة والجهاد وطرقها وبيان سنن الله تعالى في ذلك. ومن المعروف أن للدّعوة والجهاد أساليب ووسائل وطرقا ، اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام من بعده بكل حذافيرها حتى جذبوا قلوب الناس بمعاملاتهم وأساليبهم الحسنة قبل أن يشرعوا في وجوههم السيف والسنان .

٤ - تقديم نماذج وصور عن مسيرة الدعوة الاسلامية من التاريخ ،ليتعرف المسلمون على أن هذه الدّعوة مسئولية الأجيال ، وكما أنها قوام حياة الشّعوب والحضارات والأمم ، وقد أسست الحضارات وشيّدت المدنيات على أثرها وأساسها ، وكما أن زوال الحضارات وانهيارها بسبب القعود عن الدّعوة والجهاد. إن التعرف على سيّر تاريخ الدّعوة الاسلامية والحركة الجهادية له فوائد كثيرة ، وهو يساعد على تصحيح الأخطاء وتجنب المزالق الّتي وقع فيها أسلافنا،وكما يساعد

على الأخذ بأساليبهم ووسائلهم في الدعوة ومن ثم تطبيقها في الوقت الحاضر إذا كانت ملائمة لواقعنا المعاصر.

٥ ـ الإشارة إلى ضرورة الإستفادة من معطيات العلم الحديث في الوسائل والطرق في الدعوة الى الله تعالى والجهاد في سبيله ، بعد الإنتقاء والاختيار بما يناسب ديننا ومبادئنا.

٦ ـ ضرورة تحذير المسلمين من الدعاوي الباطلة والتي تعادي روح الدعوة الاسلامية والجهاد الاسلامي ، مثل : القومية ، والعلمانية ... وبيان حقيقة هذه المفاهيم التي يمشي وراءها ويدافع عنها مَنْ لا يعرف حقيقة دينه.

٧ ـ تأسيس حلقات الدروس في المسجد تدرس فيها العلوم الدينية على يد الأساتذة الأجلاء ، وتنظم هذه الحلقات وفق حاجة النّاس الى المادة العلمية.

٥ ـ الاهتمام بالقضايا الاسلامية الرّاهنة :

لقد كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرا للدعوة الاسلامية في عصر السعادة عهد الخلفاء الراشدين كما كان منطلق الدعوة إلى الله تعالى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهتم إهتماما بالغا بالدّعوة ورجالها ويرعاهم خير رعاية ، يرسل السرايا ويتابع أخبارها ، وإذا ظهر بين أصحابه شقاق يقوم بنفسه إلى تسويته وحله بشكل حاسم. والمسجد في ذلك الوقت كان مركزا إعلاميا لمتابعة الحركة الجهادية والدّعوة الاسلامية. وكان المرشد في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تنقطع متابعته لأصحابه يوما من الأيام ولا لحظة من اللحظات حتى توفاه الله تعالى ، ومثال ذلك إخبار النبي صلى الله عليه وسلم وهو على منبره في المسجد بما حدث في غزوة مُؤتة من إصابة أمرائه الثلاث زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم كما يرويه ابن اسحق في السّيرة (ج ٤ ، ص ١٩) . وعلى دربه مشى أصحابه الكرام ، وكانوا كالجسد الواحد

والبنيان المرصوص في اهتماماتهم وعلاقاتهم مع بعضهم.

إن الاهتمام بالدعوة ورجالها من الايمان ومن مقتضى الأخوة الدينية، والذي لايهتم بأمور إخوانه المسلمين ولايقدم لهم يد العون والمساعدة فليس منهم. إن المؤمن هو المؤمن مهما اختلف لونه أو جنسه أو بلده،وإن قضاياه هي قضايانا ، وهذا ما فرضه الإسلام علينا وأوجبه وأمره إنْ كنا مسلمين حقاً، فالواجب على كل مسلم أن يهتم بأخيه المسلم وبالمجتمع الاسلامي والأمة الاسلامية وذلك للتعرف على أحوالهم ومشاكلهم وقضاياهم ومن ثم اتخاذ اللازم لعونهم ومساعدتهم . ولايمكن ذلك إلا بمتابعة أخبارهم من مصادر الصدق والإخلاص من الوسائل الإعلامية المختلفة ، ولاشك أن للمسجد في هذا المجال رسالة كبيرة ومهمة فلابد للإمام أن يتابع أخبار المسلمين في العالم سواء كانت في الدول الاسلامية أو الأقليات الاسلامية في العالم، وأن يطّلع على أخبارهم الحقيقية والصادقة ليُطْلع عليها إخوانه المسلمين.إن الامام مصدر صدق وأمانة في الإسلام وهو ثقة في نظر الجميع ،لأن الإمام جُعل إماما ليُؤتم به في صلاته وأخلاقه وسلوكه وأخباره. ولذلك ينبغي له أن يختار مواضيع خطبته يوم الجمعة والعيدين من المشكلات الإسلامية سواء كانت داخل نطاق المجتمع الاسلامي أو خارجه ، ولايجعلها من المواضيع الجامدة غير الحساسة والتي تسبب السآمة والملل . إن الامام باستطاعته إيقاظ القلوب الغافلة والميتة،وتوجيه الناس وارشادهم إلى الاهتمام بأمور المسلمين ، وكم من كلمة مؤثرة وخطابة سحرية فعلتْ مالم تفعلْه الجيوش والأسياف.

وقد انطلقت جميع حركات التحرير في هذا العصر من المسجد ، وهذا يدل على مكانته ومكانة إمامه وجماعته ، يقول في ذلك عبد الرحمن نحلاوي في كتابه "أصول التربية الاسلامية" (١٣٩٩هـ): " وقد انطلقت حركة التحرير في سورية من أكبر مساجد المدن السّورية ، وانطلقت حركة التحرير في الجزائر من الكتائب الاسلامية في المساجدوكذلك حركات التحرير الاسلامي في الباكستان وأفغانستان وغيرهما " .(ص ١٢٠)

إن قضية اليوم قضيّة الجهاد ، وهي في الصّدارة مابين القضايا الاسلامية ، قلّ ما تجد بلدا إسلاميا إلا وفيه هذه القضية ، مع تشعّبها وتعقيدها ، وهذا يدل على أهمية هذه القضايا في الوقت الحاضر . ولذلك يجب على الإمام أن يسلك في عمله الخطوات الآتية :

الأولى : إدراك الناس حقيقة هذا الدين وأهدافه البعيدة منها والقريبة، ونقصد بالأهداف القريبة هي تلك الأهداف التي ترمي الى تربية الفرد شخصيًا ، وأما الأهداف البعيدة هي الرّسالة والدّعوة إلى جميع الناس وتحقيق العبودية في الأرض .

الثانية : إدراك الناس مكانة الأخوة الدينية وضرورتها كما سبق بيانه

الثالثة : حملهم على اتّباع بعض الخطوات العملية ، مثل بيان حرمة الاسراف في تصرفاتهم المالية ، وتوجيههم الى الإنفاق في سبيل الله تعالى ، وذلك بحثهم عليها وتقديم النماذج المثالية حتى يقتدوا بها ويسيروا على منوالها .

ولذلك فلابد من تخصيص صندوق في المسجد لجمع التبرعات المالية لصالح المؤمنين في أنحاء العالم الاسلامي ، فينبغي أن لايستصغر هذا الأمر من قبل الجميع ، لأن البحيرات تتكوّن من القطرات ، وربّ إنفاق ضئيل من الفقير أصبح مفتاحا ووسيلة إلى خير كثير .

وخير مثال على ذلك ما تفعله هيئة الإغاثة الاسلامية التّابعة لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة وذلك بجمع التبرعات المالية المختلفة وصرفها إلى جهات عديدة في مختلف أنحاء العالم الاسلامي .

الرابعة : قراءة الآيات المتعلقة بالجهاد والانفاق في الصلوات المفروضة ، لدعم الروح الجهادية في نفوس الناس ، ولاشك أن استماع الناس إلى هذه الآيات يؤثر في نفوسهم ويجعلهم يعيشون معها في أوقاتهم كلها .

المبحث الرابع

(واجب وسائل الاعلام في التربية الجهادية)

—

ويشتمل هذا المبحث على :

* مقدمة عامة عن دور وسائل الاعلام في التربية وعلاقتها بالجهاد.

١ ـ غرس التربية الإيمانية والأخلاقية في نفوس النّاس عامة وفي نفوس الشّباب خاصة.

٢ ـ الإسهام الجاد لتوثيق أواصر الإخاء والتآزر والتّضامن بين المسلمين.

٣ ـ الاهتمام بالدّعوة الاسلامية على بصيرة ، وتبصير الرأي العام بعالميّة الدّعوة الاسلامية.

٤ ـ تقديم بعض البرامج في الاذاعة والتليفزيون عن الجهاد وأهميته في حياة الأمة الاسلامية في الوقت الراهن.

٥ ـ مواجهة الإعلام المعادي.

٦ ـ الاهتمام بالرّياضة بروح إسلامية عالية.

إن لوسائل الاعلام دورا هاما ومؤثرا في حياة النّاس اليوم، وهي قد انتشرت في كل مكان ، داخل البيوت وخارجها ، وأصبحت جزءا من حياة النّاس ، ولايمكن لنا أن ننظر إليها كنظرتنا إلى قطعة آثاث البيت تزيّن جانبا من جوانبه، كما لايمكن لنا أن نعتبرها وسيلة من وسائل الترويح ، لأنها تؤثر تأثيرا مباشرا أو غير مباشر في حياة الناس ، وهي تبث الأفكار والقيم والأخلاق ، وتُستخدم لنشر الأفكار والعقائد وخاصة في هذه الأيام الّتي تتضارب فيها العقائد ، وتتصارع فيها الأفكار، وأصبحت فيها الحروب حروبا نفسية تعتمد على قوة تأثير الوسائل الاعلامية والاقتصاد.

إن وسائل الاعلام سلاح ذو حدّين ، يمكن إستعماله للخير كما يمكن استعماله للشّر. ولايمكن لنا اعتبارها أداة للشّر فقط أو للخير فقط،وهي تصلح لكليهما على حسب الإستعمال .

فان حكم الاسلام في هذه الوسائل يستند إلى غاية استخدامها ، يقول في ذلك عبدالله ناصح علوان في كتابه "حكم الاسلام في وسائل الاعلام" (١٤٠٧هـ)

> " ولايختلف اثنان أن هذه الوسائل إن استخدمت في الخير ونشر العلم وتثبيت العقيدة الاسلامية ، وتدعيم الأخلاق الفاضلة ، وربط الجيل المسلم بأمجاده وتاريخه ، وتوجيه الأمة على مايصلحها في أمور دينها ودنياها ، وتربية الأبناء على مايقودهم نحو العز والمجد . لايختلف اثنان في جواز استعمالها، والاستفادة منها، وإقتنائها والاستماع إليها، أما إذا استعملت لأجل ترسيخ الفساد والإنحراف ،ونشر الميوعة والإنحلال،وتحويل الجيل الحاضر إلى مبادئ غير اسلامية ،وأخلاق غير اسلامية وتوجيهات غير إسلامية ... فلا يشك عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر باثم اقتنائها وحرمة استعمالها " .(ص ٥ - ٦) .

إن هذه الوسائل من أرقى ماوصل إليه العلم في العصر الحديث ، بل من أعظم ما أنتجته الحضارة المادّية في هذا العصر ،وهي ثمرة العقل

البشري • والعقل نعمة الله تعالى على عبده وهبه إياه ومنحه له تكريما لمكانته وتفضيلا له على سائر خَلْقه • والإسلام ما وقف يوما من الأيـــام عائقا في وجه التقدّم العلمي والحضاري ، بل هو الّذي يفرضه على النّــاس ويحث عليه ويحتضنه ، ويواكب المدنيّة ويساير الحضارة الإنسانية •

فمن واجب المسلمين الإستفادة من هذه الوسائل الإعلامية المختلفـــة المقروءة ، والمرئية والمسموعة لتوعية المسلمين بشئون دينهم ودنياهـم ، وجعلها قادرة على إبلاغ الدّعوة الاسلامية الى النّاس كافة في جميع أنحاء المعمورة وعدم تركهم السّاحة للإعلام الغربي المعادي الّذي يبث سمومه بين أبناء المسلمين ليصرفهم عن دينهم •

وخلاصة القول في حكم الاسلام في هذه الوسائل ، إذا كانت هذه الوسائل في سبيل خدمة الدين والدعوة الإسلامية وفي اطارها الاسلامي وثوبه فهـــي محمودة ، بل يجب استخدامها بأحسن شكل لتحقيق الغاية العظمى •وأمّـــا إذا كانت في سبيل غير ذلك فهي مذمومة ، ولايجوز استخدامها•

وأود هنا أن أشير الى تأثير هذه الوسائل خاصة في هذه الأيّام فـي سلوك النّاس وأخلاقهم وأفكارهم وقيمهم وذلك بعد أن تطوّرت وأصبحت توجّـه الملايين من النّاس في آن واحد.ولقد أصبح الإعلام اليوم إعلاما جماهيريـا ، وعِلْما مستقلّا يُدرس في الجامعات • ولقد استغلّ الأعداء هذه الوسائـــل استغلالا كبيرا لدعم أفكارهم وعقائدهم وبثّها في العالم ، وفرْضها علــى العالم الاسلامي بكل حذافيرها وتوجيهها وتخطيطها وتنفيذها كما يريدون ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى استخدموها ـ ولايزالون يستخدمونها ـ لحرب الإسلام والمسلمين ، واعتبروها نوعا من أهم أنواع الحروب النفسيـــة أو الباردة ضدّ الاسلام والمسلمين ، وقد تضافرت في ذلك جهود الأعداء كلّهـــا من المسيحيين واليهود، والشيوعية ،والرأسمالية والاشتراكية ... علـــى اختلاف أجناسهم وألوانهم، وبذلك انقلبت هذه الوسائل عندهم إلى وسائــل دعاية لا وسائل إعلام ، واستخدموا في ذلك كل أسباب الكذب والخـداع ، وشوهوا الحقائق ولبّسوا الحق ثوب الباطل والباطل ثوب الحق لتحقيـــق أغراضهم وأهدافهم•

ولاشك أن الاعلام الاسلامي يختلف عن الإعلام الغربي في أهدافه وأساليبه وآدابه وأخلاقياته ، وهي مفصلة في مؤلفات خاصة عند أهلها ، ولوسائل الاعلام دور كبير في التربية والتعليم ، وخاصة في هذه الأيام التي يقضي فيها الكثير من الناس جزءا كبيرا من أوقاته إما بقراءة صحيفة أو كتاب أو الاستماع إلى المذياع أو مشاهدة التليفزيون أو الإستماع إلى التسجيلات الصوتية في بيته أو سيارته ، ثم إن هذه الوسائل تستخدم لنشر الفكر والعقيدة والأخلاق والقيم - كما قلنا - وحتى البرامج الترفيهية والترويحية - كما يسمونها - ليست خالية من غرس هذه المفاهيم في النفوس .

ثم إن هذه الوسائل بدأت تأخذ بعض وظائف المدارس والجامعات، حتى أسست في بعض البلدان الجامعات والمسمى بالجامعات المفتوحة وتتم فيها التعليم عن طريق المذياع والتليفزيون ، ثم إن هذه الوسائل نعمة من الله تعالى لعبده ،وهي لصالح الناس إن استخدمت للخير ، فمن واجب المسلمين الاستفادة من هذه الوسائل في مجال تربية أبناءهم وتعليمهم وتثقيفهم .

وأما علاقة الإعلام بالجهاد ، فإنها علاقة وثيقة ، بحيث أن الإعلام الاسلامي نوع من أنواع الجهاد في الاسلام ، فإنه جهاد بالألسنة والقلم ، كما جاء في حديث رواه النسائي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم "(كتاب الجهاد ، رقم ٣٠٩٦) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن القرآن الكريم بمضمونه رسالة إعلامية مستقلة ، وكذلك السنة النبوية الشريفة رسالة إعلامية بجانب القرآن الكريم ، فالواجب إبلاغهما إلى الناس كافة بأسرع وقت وبأحسن الوسائل الممكنة ، وبعبارة أخرى أن الدعوة الاسلامية رسالة إعلامية فلابد من إبلاغها إلى الناس جميعا .

ثم أن الله تبارك وتعالى أمرنا أن نجاهد الكفار بالقرآن الكريم ، وان هذه رسالة إعلامية آخرى ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان / ٥٢) .

ولاشك أن جهادهم بالقرآن هو جهادهم بإبراز براهينه وحججه وتبليغه ، وان هذا التبليغ هو الإعلام ، إعلام حقائق الإسلام وإيصاله إلى جميع البشر في وجه الأرض .

اذن فعلاقة الإعلام بالدعوة عامة وبالجهاد خاصة علاقة وثيقة تتمثل في :

الأولى : كون الدعوة الاسلامية رسالة إعلامية مستقلة يجب إبلاغها الناس .

الثانية : كون الاسلام في موقف الموجه لوسائل الاعلام لتكون في خدمة الدعوة والجهاد في سبيل الله تعالى .

ويضع نور الحق ابراهيم هذه العلاقة بين الجهاد وبين الإعلام الاسلامي في كتابه "الإعلام والجهاد" (١٤٠٩هـ) في خطوط عريضة على الوجه التالي :

"الوجه الأول : الإعلام الاسلامي جهاد كبير بنص القرآن ، والجهاد قناة إتصالية مباشرة ،فعالة ،خطيرة ((علاقة مزدوجة في المفهوم)) .

الوجه الثاني : بين الاعلام الاسلامي والجهاد في سبيل الله تعالى علاقة إيجابية في وحدة الهدف والغاية .

الوجه الثالث : الجهاد في حالات الضرورة ،ممهد لحرية الاعلام الإسلامي وحارس لها من أن تنتهك .

الوجه الرابع : يرتبط الإعلام الاسلامي والجهاد بعلاقة دائمة أبدية مصيرية ." (ص ٢١) .

وبعد هذا العرض الموجز يمكن لنا تحديد واجب هذه الوسائل الإعلامية أو بتعبير أدق واجب الإعلام الاسلامي في التربية الجهادية ،وعندما أقول "الإعلام الاسلامي" أعني به الإعلام الذي في خدمة الدين والدعوة بكل وسائلها ورجالها وفي ثوبه الاسلامي في أهدافه وأساليبه وآدابه وأخلاقياته ،وإلا فلا يمكن لنا أن نتوقع شيئا من الإعلام الغربي أو صورته طبق الأصل في كثير من الدول الاسلامية .

ولذلك نقدم تصورًا لما ينبغي أن يعمل الإعلام الاسلامي في غرس الروح الجهادية وإحياءها في نفوس المؤمنين بوسائله المختلفة ،ولانريد أن نلقي نظرة على واقع إعلامنا في الدول الاسلامية ، فإنه الواقع المرير مشاهد للعيان ولا يحتاج إلى برهان ، يعرفه العالم والجاهل .

وفيما يلي بعض واجبات تلك الوسائل في التربية الجهادية :

١ ـ غرس التربية الإيمانية والأخلاقية في نفوس الناس عامة وفي نفوس الشباب خاصة ، كما جاءت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، مستعينا في ذلك بعلماء هذه الأمة،وتبصير أبناء هذه الأمة بالعقيدة الإسلامية الصحيحة وتحذيرهم من كل مايخالف شرع الله المطهر،وأن تعمل لنشر الأخلاق الفاضلة والسلوك القويم مقارنا في ذلك الأخلاق الاسلامية السامية والأخلاق غير الاسلامية ، ليظهر فضل الأخلاق الاسلامية وتتبين مميزاتها وسماتها وأهم خصائصها على غيرها من الأخلاق الوضعية . وذلك من خلال البرامج اليومية في الاذاعة والتليفزيون ، وفي تخصيص عدة صفحات في الصحف والمجلات ،وإصدار الكتب والنشرات من قبل دور النشر والطباعة .

٢ ـ الإسهام الجاد في توثيق أواصر الاخاء والتآزر والتضامن بين المسلمين :

إن وسائل الإعلام تخاطب الجماهير ، فمن واجب هذه الوسائل الإعلامية المختلفة أن تسهم إسهاما جادًا في توثيق روابط هذه الأمة ووجودها

وكيانها برابطة الايمان والأخوة الاسلامية،ووجوب التّعاون والتّضامن بين أفراد هذه الأمة ، ونحن اليوم أحوج ما يكون إلى تلك الوحدة وجمع الصّفوف واتّحاد الكلمة وجمع الشمل ، ولقد تضررت هذه الأمة من أسباب التفرقة ، والاختلاف ، الأمر الذي أدى إلى التباعد والتباغض والتنافر بين الشعوب الاسلامية من ناحية ، وبين أفراد هذه الشعوب من ناحية أخرى .

وان وسائل الاعلام في هذا العصر هي خير وسيلة لإزالة أسباب الخلاف والضعف ولتحقيق الأخوة الاسلامية الشاملة بين المسلمين جميعا .

ولذلك يجب على وسائل الاعلام المختلفة الإهتمام التّام بتبيين أهم أسباب مكونات هذه الأمة ، كما يجب عليها محاربة كل أسباب التفرقة والاختلاف والضعف والمسكنة وذلك :

١ ـ بتقديم صور من التاريخ الاسلامي ، تبيّن فيها أن المسلمين عندما حقّقوا هذه الوحدة والأخوة عاشوا في عزة وكرامة وانتصروا على أعدائهم ونشروا دينهم وأسسوا الحضارات والازدهار في كل الميادين مثل : حضارة الأندلس . كما يجب عليها تقديم صور من تاريخنا المجيد تبين فيها أن المسلمين متى أخلدوا إلى الأرض وتركوا الأخذ بأسباب العزة والقوّة وتفرقوا فيما بينهم وأصبحوا شيعًا وقعوا في إستعباد أعدائهم وقهرهم وظلمهم . كما حدث في خراب بغداد عاصمة الخلافة العباسية على يد التّتار . وفي الحروب الصليبية الّتي استمرت قرونًا عديدة ، وعندما تم توحيد المسلمين تحت راية واحدة، تحقّق لهم النّصر كما تم استرداد القدس على يد بطل الاسلام صلاح الدين الأيوبي رحمة الله عليه .

٢ ـ والواجب على وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية أن لاتكتفي بعرض هذه الصور فقط من التاريخ ، فلابد وأن تربطها بواقعنا المعاصر.لأن عرض الصور من التاريخ غايته العبرة والعظة والإعتبار، وأن نستعين بها على تفسير واقعنا وحاضرنا . ولذلك يجب عليها عرض الصور الواقعية والناجمة عن بعدنا عن مبادئ ديننا وتعليماته

الربّانية ، مثل : الاستعمار في نهاية القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، ومن ثم حركات التحرير في كل بلد من البلدان الاسلامية . وقضية فلسطين يجب عرضها كاملة كيف بدأت ؟ وكيف استولى عليها اليهود ؟ وما هو موقف العالم عامة والمسلمين خاصة من هذه القضية ؟ وما هي طرق حلّها من وجهة نظر إسلامية محضة ؟ وكل هذه التساؤلات يجب على وسائل الاعلام أن تجيب عليها في برامجها المختلفة وتبصّر أبناء هذه الأمة قدسيّة هذه القضية وانتماءها إلى الاسلام،وتبيّن في هذا الصدد واجب كل مسلم تجاه هذه القضية بوضوح،وإن قضيّة أفغانستان ليست عن أعيننا ببعيد .

وينبغي لوسائل الاعلام أن تضع هذه الحقائق أمام شهود الأعيان بصدق وأمانة دون التشويه للحقائق بأي شكل من الأشكال ، ولاشك أن وضع هذه الحقائق أمام أعين الناس في صورتها الحقيقية يكون أكثر تأثيرا في النفوس،وليس الخبر كالعيان .

٣ ـ الإهتمام بالدّعوة الاسلامية على بُصيرة ،وتبصير الرّأي العام بعالميّة الدّعوة الإسلامية :

كما سبق أن قلنا أنه ينبغي أن تكون كل وسائل الاعلام موظفة فى سبيل خدمة الدّين والدّعوة الاسلامية.
لأن الاهتمام بالدّعوة هو واجب كل مسلم وكل مؤسّسة وكل دولة بكل وسائلها وامكاناتها المادّية منها والمعنوية ، وبكل كيانها ووجودها في نظر الإسلام .

وكما قلنا أنّ الدعوة الاسلامية هي رسالة إعلامية مستقلة يجب إبلاغها لجميع الناس ، وهناك العبء الكبير الّذي يقع في هذه الأيام على الإعلام الاسلامي ورجاله ووسائله وذلك لتبصير الرأي العام والجماهير عبر قنواتها المختلفة بعالمية الدّعوة الاسلامية وشموليّتها ، وذلك عن طريق:

١ ـ العناية الكاملة والرّعاية التّامة والمتابعة للحركات الإسلامية في العالم ، يمكن لمؤسسات الصّحافة: من مجلات وجرائد ودوريات متابعة تلك الحركات يوميًا وتلقى الأخبار عن مصادرها الأساسية بصدق وأمانة وموضوعية تامة، وعرضها للقرّاء، وكما يمكن للمذياع والتليفزيون تقديم برامج مختلفة عن حقيقة تلك الحركات ، وسيّرها والتّعرف على مشكلاتها وذلك بعد إجراء مقابلات مع رؤسائها ومنظميها والقائمين عليها، وأن لاتتركوا المجال في ذلك للإعلام المعادي الّذي يغيّر الحقائق ويشوّهها ، والجدير بالذكر يجب على القائمين على هذه الوسائل تلقي الأخبار مباشرة دون واسطة على قدر الإمكان،وأن يقدّموها الى السامعين والمشاهدين في منتهى الدّقة والأمانة والموضوعية .

كما يمكن للعلماء والكتّاب المسلمين أن يقوموا بدورهم إزاء تلك الحركات من خلال كتاباتهم عنها وتوضيح أهدافها وأصولها الاسلامية والدفاع عن مبادئها والقائمين عليها.

٢ ـ الواجب على القائمين بوسائل الاعلام أن يقدّموا برامج عن جغرافية العالم الاسلامي ، وسكّانه ، وعاداته ، وتقاليده وثقافته وعن وضعه الاقتصادي والسياسي والاجتماعي ، ولاشك أن من طبيعة الدّعوة الاسلامية وأساليبها) دراسة البلاد الإسلامية دراسة جغرافية وتاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية حتى يمكن للدّاعية أن تنجح في مهمتها وللدّعوة أن تستقر وتثبت .

٣ ـ الاهتمام بالدعوة ورجالها . لأن الدّعوة لاتقوم إلا على عاتق الدّعاة الى الله تعالى، ومن ثم يجب مساعدتهم ودعمهم وتعريفهم للنّاس .

وإنّنا نشاهد اليوم أن المبشرين المنصّرين في أنحاء العالم كم يلقون من الدّعم المادي والمعنوي ،والرعاية والمتابعة الفائقة من قبل أتباعهم وأنصارهم.، وكم يلقون إهتماما بالغا من قبل وسائل

الإعلام الغربية ، وإن الواحد منهم لو طُرد أو سُجن أو حُجز فإن العالم المسيحي بأجمعه يسعى في سبيل تخليصه ورعايته ، يقيمون الإجتماعات والجلسات ، والمؤتمرات ، ويهتمون بأمره وتستنفر كل وسائلهم الإعلامية المختلفة طوال الشهور والسنوات ، كأن القيامة قد قامت وأن الدّنيا قد انقلبت .

فالواجب على وسائلنا الإعلامية الإهتمام البالغ بالدّعاة والمجاهدين في سبيل الله أينما كانوا وحيثما كانوا، وذلك بمتابعة أخبارهم ونشرها على الجماهير ، وتعظيم أمرهم واحترامهم وتقديرهم، ويقدمونهم نماذج مثالية في الدّعوة إلى الله تعالى .

٤ - ومن واجب الاعلام الاسلامي تبصير الرأي العام بعالمية الدّعوة الاسلامية وشموليتها ، لأن الدّين الاسلامي دين عالمي ،وأن الدّعوة دعوة عالميّة ، ولذلك فلابد وأن تعمل هذه الوسائل على ابراز هذه الحقيقة وإيصالها للناس جميعا عبر قنواتها المتعددة ، وذلك بنشر الكتب الخاصة عن روح الدين الاسلامي وتعليماته العادلة ومبادئه القيّمة والموجّهة على غير المسلمين بأسلوب مشوّق وجذّاب .

وكما يمكن للمذياع والتليفزيون تقديم برامج خاصة عن روح الدين الاسلامي ، وعن مضمون رسالة الإسلام والهدي القرآني والنبوي مقارنا في ذلك مع الديّانات الأخرى بطريقة علمية موثّقة على يد الأساتذة المختصين بأسلوب الدّعوة والجهاد.

٤ ـ تقديم بعض البرامج في الإذاعة والتليفزيون عن الجهاد وأهميّته في حياة الأمة الاسلامية في الوقت الراهن واحياءه في نفوس أبناءها ، لأن الجهاد قضية السّاعة ، وهي فريضة إسلامية كادت أن تموت لولا عناية الله تعالى وعناية المتحمسين لدينهم ودعوتهم من أبناء هذه الأمة المحمدية :

إن مثل هذه البرامج يتعرف المؤمن من خلالها على حقيقة الجهاد الاسلامي ، من منبعها الأصلي ، كما يتعرّف على حقيقة الدّعوات المعادية للاسلام والّتي تقدم للناس في ثوب اسلامي مثل : القومية والوطنية والشعبية ... الخ التي أثبتت الواقع المعاصر فشلها في حلّ قضايا الأمة ، وان هذه البرامج ولابد من أن ترمي إلى إشعار النّاس بوجوب الجهاد الاسلامي على كل فرد حسب موقعه وقدرته عليه ،وإفهامهم أهميّة الجهاد في حياة الأمة الاسلامية وفي قيام الحضارة الاسلامية على وجه الأرض.

ومن واجب وسائل الإعلام المقروءة إصدار نشرات خاصة بالجهاد والمجاهدين ، وتخصيص بعض صفحات للجهاد في الصّحف والمجلات ودوريات وغيرها من الوسائل ، ولإحياء الروح الجهادية في نفوس المؤمنين.فعلى الوسائل الاعلامية بكاملها إبراز مادّة الجهاد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة وتحريض النّاس على الجهاد وحثهم عليه بالنفس والمال ، وتقديم حملات إعلامية مكثّفة ضخمة ترمي إلى اذكاء هذه الروح الأصيلة والنبيلة في قلوب المؤمنين وإحياءها ، وبث الرّوح الفدائية في كيان المسلمين ، وذلك بانتاج أفلام سينمائية وشرائط فيديو وتسجيل صوتي تعرض حياة المجاهدين وحياة مشاهير القادة الاسلامية في التاريخ الاسلامي العريق ، ومن الحياة الواقعية في الجهاد الاسلامي ، مثل : حياة المجاهدين الأفغان في الجبهات القتالية ، وأطفال الحجارة في فلسطين المحتلة . وتعرض هذه الأفلام على شاشة التليفزيون في كل الدّول الاسلامية في فترات محددة بصفة مستمرة ، وفي المدارس والجمعيات والنوادي وفي كل مكان يمكن التجمع فيه لإحياء هذه الروح الجهادية في النفوس وتقوية الحماسة الدينية في القلوب .

وكما يجب على كافة الوسائل الإعلامية عمل برامج خاصّة في المناسبات التاريخية الإسلامية الجهادية لتذكيرهم بأمجاد تاريخنا المجيد ولتبقى الرّوح الجهادية لدى السامعين ، والقارئين والمشاهدين حيّة يقظة . كما سبق وأن قلنا أن انتهاز المناسبات التاريخية في التربية من أهم مميزات التربية الاسلامية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينتهز الفرص ، ويخطب فيها أصحابها بناء على تأثيرها في النفوس ، وقد تكلمنا عن ذلك بشيء من التفصيل عند حديثنا عن واجب المسجد في التربية الجهادية .

ولايفوتني هنا أن أؤكد أهمية تقديم المسلسلات عن قصص الأنبياء عليهم السلام لأن حياتهم عليهم السلام سلسلة من مظاهر الجهاد والبطولة والشجاعة ، وبذلك يتعرف المؤمن من خلال هذه القصص أن الدّعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله سنة الله تعالى في هذه الحياة ، وهي قائمة منذ آدم عليه السلام إلى يوم القيامة .

٥ ـ مواجهة الإعلام المعادي :

وقد كانت وسائل الإعلام من أهم أسباب نجاح الغزو الفكري الّذي قام به الغرب لاكتساح العالم الاسلامي والسيطرة عليه فكريا ، وتكريس عمليات التنصير والتبشير وتغريب المسلمين عن دينهم وعقيدتهم وقيمهم ، وقد نجحت في ذلك بسبب ضعف بعض المسلمين وجهلهم ومرضهم وفقرهم وحاجتهم للغذاء والكساء والعلاج والمال ، مما أسلمهم لمغريات أعدائهم فخسروا في ذلك أنفسهم ودنياهم وآخراهم .

إن أعداء الاسلام من اليهود والنصارى وغيرهم يريدون النيل في كل فرصة من الاسلام ومفاهيمه ، وأنهم قد عرفوا منبع عزّ المسلمين ومصدر قوتهم ، وهو العقيدة والجهاد من أجلها ، ولذلك كرّسوا جهودهم كلّها بأساليب مختلفة على هذه المفاهيم ، لإماتتها في نفوس المؤمنين والحط من شأنها . استخدموا لذلك كل وسائل الاعلام في سبيل محاربة المسلمين في عقيدتهم وجهادهم .

ويشترك في ذلك كل من اليهود والنصارى ، لأن الجهاد الإسلامي ونتائجه لا يتّفق مع مصالحهم ومطامعهم ، حتى أن جميع الخلافات الناشئة بينهم تزول عند التقاء مصالحهم على مخاصمة الإسلام ، ومن هنا لقد وقفوا من الاسلام عامة ومن الجهاد خاصة موقف العداء والكيد والخداع .

ولقد اختاروا المعركة ضدّ العقيدة والجهاد لما فيها من المعاني السامية والحركة والنشاط ومن ثم الاستيلاء على عروش الطغاة ، وإن خوف الغرب من العقيدة الاسلامية والجهاد قد بلغ أعماق قلوبهم وكيانهم.

ويقول في ذلك مصطفى خالدي وعمر فروخ في كتاب "التبشير والاستعمار في البلاد العربية" (١٩٨٢م) ويصفان خوف الغرب من الإسلام والجهاد نقلا عن أحد الغربيين قوله : " إن شيئا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي من الاسلام ، ولهذا الخوف أسباب منها : أن الاسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عدديا ، بل هو دائما في ازدياد واتّساع ،ثم ان الإسلام ليس دينا فحسب ، بل ان من أركانه الجهاد " .(ص ١٣١).

انظر كيف يخاف الأعداء من العقيدة الاسلامية والجهاد ،وكيف تنبّهوا إلى أهمية تلك المفاهيم في حياة الأمة الاسلامية ، وسبب وجودها؟. ولقد سلكوا في ذلك عدة مسالك :

الأول : كتابات المستشرقين وهي تشتمل على التشكيك في طبيعة الجهاد وتشويه حقيقة صورته وتحقير الجهاد والتنفير عنه ،وتصويره مظهرا من مظاهر التخلّف .

الثاني : موقف الوسائل الإعلامية الغربية المسموعة والمرئية من الجهاد والمجاهدين في الآونة الأخيرة. ولقد درجت وسائل الإعلام الغربية في هذا العصر على تشويه صور المجاهدين ومواقفهم القتالية وتصوير المجاهدين الفدائيين بالإرهابيين والمتطرّفين والمتمرّدين وما أشبه ذلك من الأوصاف الذميمة والبغيضة .

الثالث : حملات التنصير والتبشير التي تدعم بجميع وسائل الإعلام الغربية والتي شملت معظم البلدان الاسلامية .

إن الاعلام المعادي لايترك مجالا من المجالات ولافرصة من الفرص إلا ويدس سمومه من خلالها ، ويغتنم ضعف الإعلام الاسلامي ويحاربه بطريقة غير مباشرة ، وقد نلمس هذه الظاهرة عند مشاهدتنا لبرامج التاريخ الاسلامي التي تعد من قبل الغربيين ، يزوّرون تاريخنا في كثير من المسلسلات التاريخية ، ثم نشتريها منهم ونعرضها على شاشة التليفزيون دون الوعي بمضمونها ، حتى إن أفلام الرسوم المتحركة المتخصصة للأطفال ليست خالية من الأخطار ، فكثيرا ما نشم فيها ريح المسيحية ، وهي في منتهى الخطورة في تربية الأطفال .

إن واجب الاعلام الاسلامي في محاربة الإعلام المعادي جهاد في سبيل الله تعالى فلابد من محاربته ومجابهته ، ومنافسته حتى يقلّل على قدر الإمكان من أضراره وأخطاره وتأثيره على الإسلام والمسلمين . ومن هنا يمكن لنا أن نحدد واجب الاعلام الاسلامي في محاربة الاعلام الغربي كمايلي :

١ - إصدار الكتب الدينية في العقيدة الاسلامية والثقافة الاسلامية العامة وفي الجهاد الاسلامي وإرسالها الى المسلمين في آسيا وأفريقيا وكل مكان يوجد فيه إرساليات التبشير والتنصير ، ويمكن من خلالها إيقاظ المسلمين وتوعيتهم الدينية ، توضح فيها حقيقة الدعوة الاسلامية والجهاد الاسلامي وأهدافه وثمراته مدعما بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وسيرة الصحابة الكرام .

٢ - إصدار نشرات خاصة لكشف نوايا المبشرين والمستشرقين ، وبيان أساليبهم وطرقهم في ذلك حتى يكون المؤمنون على بيّنة من أمرهم ولئلا يقعوا في مصائد هؤلاء الكافرين وأن لايغترّوا بتقديمهم الخدمات الانسانية .

٣ ـ القيام بحملات واسعة النطاق من قبل جميع الوسائل الإعلامية الاسلامية على الإعلام المعادي بصفة مستمرة في الجرائد والمجلات والدوريات وفي المذياع والتليفزيون ، للرد على مزاعم الأعداء بطرق علمية مقنعة.

٤ ـ السعي لعمل الأفلام المحلية والإكتفاء الذاتي بها على قدر الإمكان ، وإذا كانت هناك حاجة ضرورية لشراء الأفلام من الخارج فلابد من تنقيتها ، واختيارها من قبل اللجان المختصة.

٦ ـ الاهتمام بالرياضة بروح إسلامية عالية :

ان الرياضة اليوم لها النصيب الأكبر والحظ الأوفر من بين اهتمامات الوسائل الاعلامية بشكل عام ، وهي تمارس في الغرب تحت شعار " الرياضة لأجل الرياضة " بعيدة عن أية روح،ومن هناك انتقلت إلى عالمنا الاسلامي بكل حذافيرها ، وأصبحت تمارس بعيدة عن الروح الاسلامية وآدابها وأخلاقها كما سبق وأن قلنا ، ولاشك أن توجيه الشباب إلى ممارسة الرياضة بهذه الصورة في كثير من الدول الاسلامية ، هو إهدار لطاقات الشباب في سبيل الأهداف الهابطة والغايات الدنيئة.

ومن واجب وسائل الاعلام هو توجيه الشباب لممارسة الرياضة بروح اسلامية تهدف إلى تنمية الشباب جسميا وعقليا وتعدهم للقيام بأعباء الدعوة الاسلامية والجهاد في سبيل الله تعالى ، وبذلك تعتبر الرياضة عبادة يثاب المرء عليها ، تفيده في الدنيا والآخرة ، ثم لابد لوسائل الإعلام من الاهتمام بغرس الأخلاق والآداب الرياضية وفق التصور الإسلامي ،وأن تركز اهتمامها على تكوين الأخوة الدينية والتعاون ، والتساند والتضامن بين ممارسي الرياضة ، مع توجيهها الى التنافس الشريف وروح الرجولة.

فالإعلام الاسلامي قادر باذن الله تعالى على أن يجعل الرياضة سببا من أسباب التعارف والتآلف بين شباب هذه الأمة وتقوية عنصر الوحدة بين الشعوب الاسلامية والجماعات الاسلامية ، وهو قادر بتوفيق الله تعالى على إعداد جند الله تعالى ،الذين يتسمون بقوة الجسم والروح العالية والاتزان العقلي والفكري.

ويجدربنا في هذا المقام أن نؤكد ضرورة التنسيق والتعاون بين هذه المؤسسات حتى تتم عملية التربيةوالتعليم في صورة جيدة ،لأن هذه المؤسسات متشابكة ومرتبطة بعضها ببعض ، ولكل واحدة من تلك المؤسسات تأثير مباشر أو غير مباشر على حياة الناشئة ، ثم إن التربية مسئولية مشتركة بين تلك الأوساط وقد يقول القائل : لماذا لم أتناول دور الدولة أو واجب الدولة في التربية الجهادية مع أن واجبها في الدرجة الأولى من الأهمية في تربية الناشئة تربية جهادية ؟

وأقول أن واجب الدولة كبير ومهمّ في هذا المجال إلا أن تربية الأفراد لاتتم إلا في المؤسسات سواء أكانت متمثلة في الأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الاعلام المختلفة. والدولة هي الّتي تشرف عليها إدارة وتخطيطا وتنفيذا ومراقبة ومتابعة وتمويلا، وبعبارة أخرى أن تلك المؤسسات كلّها تحت سلطان الدولة ومراقبتها.

فلابد للدولة أن تتيح فرصة لهذه المؤسسات حتى تؤدي أدوارها في حرّية كاملة كما أرادلها الله سبحانه وتعالى ، ثم لايمكن أن يتم إعداد الشباب إعداد متكاملا مؤهلا للجهاد إلا في ظّل دولة إسلامية اتّخذت لنفسها الدعوة والجهاد شعارا.

يقول في ذلك عبدالله بن أحمد قادري في كتابه "دور المسجد في التربية" (١٤٠٧هـ) :

> " والواجب على ولاة أمور المسلمين أن ينصبوا لشباب الأمة الأهداف العليا الّتي نصبت لهم في العصور الاسلامية المفضلة التي من أهمها: رفع راية الاسلام في الأرض بالجهاد في سبيل الله، إعدادا معنويا وماديا، ودعوة إلى الله وغزوا في سبيله ، وأن لايصرفوا ذلك الشباب إلى مايشغله عن تلك الأهداف بأهداف أخرى هابطة تبعده عن دينه ورجولته وتطلعه للعزة الربانية الّتي ساد بها أجداده الأوائل أمم الأرض بالهدى ودين الحق "(ص ٥٧)

ولا شك اذا كانت الدولة صاحبة رسالة وقضية، تضع أهدافا عليا إسلامية في سياستها التعليمية وتبذل قصارى جهدها في تنفيذها في مؤسساتها التعليمية المختلفة ، ومن هذه الأهداف إعداد الشباب إعدادا متكاملا وتربيتهم تربية جهادية ، وتقوم الجهات المختصة بصياغة المناهج الدراسية صياغة إسلامية ، وصياغتها صياغة جهادية .

وأود في هذا المقام أن أنبه القارئ أنني قد ركّزت في بحثي هذا على تربية الأبناء تربية جهادية دون البنات ، وهذا لايعني أن البنات بصفة خاصة والنساء بصفة عامة ليس لهن واجب في الجهاد أو بمعنى آخر أنه لايجب تربيتهن تربية جهادية ، بل يجب تربيتهن على هذا ، عليهن واجب كبير في الجهاد الاسلامي ، ولكن أجرينا البحث على سبيل التغليب .

ان الجهاد بمعناه الخاص ، وهو القتال في سبيل الله تعالى ليس فرضاً على النساء ، ولكن الجهاد بمعناه العام كما حدّدنا في بداية هذا البحث، واجب على النساء والرجال دون تمييز. ولقد اشتركت بعض النساء الصحابيات في القتال بالفعل يوم أُحُد ، كما اشتركت بعض منهن في علاج الجرحى وسقايتهم في نفس المعركة .

روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سُلَيْم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا ، فيسقين الماء ويداوين الجرحى " (كتاب الجهاد والسير ، رقم ١٨١٠) .

ولقد ورد في سيرة ابن هشام (١٤٠٨هـ) أن أم عمارة ، نسيبة بنت كعب المازنية قد باشرت القتال يوم أُحد ، و ذبّت عن النبي صلى الله عليه وسلم بالسّيف ، ورمت عن القوس حتى جرحت " .(ج ٣ ، ص ٤٥) .

ولاشك أن تربية البنات والنساء تربية جهادية لاتختلف عن تربية الرجال إلا في بعض النقاط ، وإن هذه النقاط ترجع إلى طبيعتهن في الخَلْق

وفطرتهن ، ولابد في أثناء عملية تربيتهن مراعاة تلك الخصائص والمميزات ، وكذلك أن تربية الأبناء تربية جهادية تختلف عن تربية البنات ،وان وجه هذا الاختلاف مردّه الاختلاف في الخلقة والطبع والفطرة .

إن المرأة لو قامت بواجبها نحو زوجها وأولادها فإنها تحصل ثواب المجاهدين من الرّجال في سبيل الله تعالى لما يترتب على صنيعها هذا من حسن إعداد لعوامل الجهاد ، وخلاصة القول أن النساء يشتركن مع الرّجال في التربية الجهادية ، فلابد من تربيتهن تربية جهادية حتى يقمن بواجبهن نحو أمتهن ودينهن ، وفي تربية أولادهن تربية جهادية ، وهذا لايقتضي تربيتهن تربية عسكرية .

(نتائج البحث)

لقد تمكّن الباحث بعون الله تبارك وتعالى وتوفيقه من خلال هذا البحث التوصل الى مجموعة من النّتائج الّتي يمكن صياغتها في النقاط التالية :

١ - إن الجهاد في الاسلام هو ذلك الجهد الذي يبذل لإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى في الأرض ، وهو مصطلح اسلامي وقرآني ولايشوبه آية شائبة وهو يشمل جهاد المؤمن نفسه وأهوائه وغرائزه ، ومعالجته لمجتمعه من الانحراف الخلقي والعقائدي وحماية مقدساته ومبادئه ، ثم هو الجهد الذي يبذله المؤمن في تحرير الأمم والبلدان من عبادة غير الله تعالى إلى عبادة الله الواحد الأحد لتكون كلمة الله هي العليا ، ومنهجه هو السائد ، وشريعته هي النافذة .

٢ - ان الجهاد في الاسلام بكل أنواعه ومراحله وسيلة لا غاية ،وسيلة لتحقيق الأهداف الّتي بينها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وهي إقامة منهج الله تعالى في الأرض عقيدة وشريعة ، وتبليغ دعوة الاسلام إلى العالم ،ودفع عدوان الكافرين وحماية المظلومين والمستضعفين ، ابتلاء المؤمنين ونيل الشهادة في سبيل الله تعالى ، والحصول على الغنيمة والغنى ، وكل هذه الأهداف متمثلة في قوله صلى الله عليه وسلم : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تعالى " .

٣ - يعتبر الجهاد قاعدة أساسية من قواعد الاسلام الخالدة ، بل هو عموده وذروة سنامه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :"... رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذورة كفاحه الجهاد ... " إنه تجارة مع الله تعالى وفوز عظيم ونعيم مقيم ، ومن أفضل الأعمال والقربات إلى الله تعالى .

٤ ـ إن الجهاد بمعناه العام فرض على كل مسلم ومسلمة ، وواجب على كل واحد أن يجاهد في سبيل الله تعالى كل حسب ظروفه وموقعه وإمكاناته ، ولايتخلّى أحد عن أداء هذا الواجب المقدس مهما كان وحيثما كان . كما قال ابن القيّم رحمه الله تعالى : ((إن جنس الجهاد فرض عيّن إما بالقلب ، وإما باللسان ، وإما بالمال ، وإما باليد ، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع)).

٥ ـ إن الجهاد في الاسلام له مدلوله الخاص ، وهو يختلف عن حروب النـاس في الأهداف والوسائل والبواعث والآداب ، ولايمكن تقسيم الحروب في الاسلام إلى دفاعي وهجومي بالمفهوم الحديث الشائع ، وإن كان لابد من تقسيمه فإنه دفاعي وهجومي بالتصوّر الاسلامي .

فهو فريضة الله تعالى إلى الأبد ، إلى يوم القيامة ،لايبطله فاسق ولا فاجر ولا خائن ، فهو قائم على أيدي عباد الله المتّقين المجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٦ ـ إن في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم منهجا كاملا لإعداد المجاهدين في صورة تطبيقية عمليّة ، تلك التربية الّتي تجعل صاحبها مجاهدا في سبيل الله تعالى ، تحرك مشاعره وعواطفه ووجدانه ، تقوّي عزائمه ، تنمّي روحه وتغذّيه ، تخلّصه من الخوف واليأس والكسل ، تحلّيه بالشجاعة والصبر والثبات وروح الفداء والتضحية ، تنمي فيه شعور العزة والكرامة وخلق البذل والعطاء وحبّ الاستشهاد ، وتنمي روح الأخوة والتعاون والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

٧ ـ إن مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم كانت مدرسة الجهاد من بدايتها الى نهايتها. ولقد تخرجت منها أسمى معاني الفداء والتضحية والشجاعة باذلين أنفسهم ، وأموالهم في سبيل الله تعالى ، ولايخافون لومة لائم ، تركوا أهلهم وأوطانهم وديارهم في سبيل إيمانهم وعقيدتهم ودعوتهم ، نشروا الإسلام في بقعة كبيرة من العالم في وقت وجيز

لم يشهده التاريخ مثله . ثم لقد صيّر النبي صلى الله عليه وسلم الحياة كلها جهادا ، وان الواحد من الصحابة الكرام إذا أسلم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فسرعان ما ينتقل إلى حد الدفاع عن عقيدته ، ويعتبر نفسه جنديًا من جنود الله تعالى وعضوا في حزب الله عز وجل يندفع بكليته إلى ميادين العز وساحات القتال معبأ بشحنة إيمانية يستعذب الموت في سبيل الله تعالى ، ويكون الجهاد في سبيل الله أسمى أمانيه .

٨ - إن التربية الجهادية هي تنشئة الفرد المسلم على الإعتزاز بدينه والعمل به والدّعوة اليه وبذل الجهد في نشره ، وأن يكون مسلحا دائما بالصبر والثبات ، والعزيمة وروح الفداء والتضحية في سبيل الله تعالى ، وأن يكون مستعدا للجهاد المستمر بكل ما أوتي من امكانات مادية أو معنوية مراعيا في ذلك متطلبات العصر الذي يعيش فيه ، وذلك لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى . وأن هذه التربية ضرورية لبقاء الأمة أمة قوية مرهوبة الجوانب ليعيش أفرادها في عز وسلامة ورفاهية يطبّقون في الأرض شرع الله تعالى عقيدة ودستور حياة ، وينطلقون إلى العالم لنشر الدّعوة الاسلامية إلى جميع البشر وليقدموا للانسانية مفاتيح الخير والسعادة ويحرّروهما من الإستعباد تحت سلطان الطغاة والجبابرة ومن ثم اطلاقهم أحرارا ليتعرفوا على مبادئ الاسلام وتعليماته القيمة حتى يؤمنوا عن اقتناع وحجة وبرهان .

٩ - إن اعداد الأجيال على هذه التربية مسئولية كبرى تقع على عاتق القائمين والمسئولين عن التربية والتعليم والمؤسسات في البلاد الاسلامية بصفة عامة .

ان التربية الجهادية ليست مسئولية الدولة متمثلة في المدارس والجامعات فقط ، وليست مسئولية الأسرة متمثلة في الوالدين فقط ، وليست مسئولية مؤسسة بعينها وانما هي مسئولية مشتركة بين كل المؤسسات

التربوية القائمة في المجتمع ، كل وفقا لامكاناته ومكانته في المجتمع .

١٠- ان الترابط والتكامل بين المؤسسات التربوية مجتمعة في المجتمع الواحد يؤدي إلى تحقيق الهدف العام من التربية الجهادية وهو إعداد الفرد والمؤمن القوي في إيمانه وبدنه، الأمين الحامل للواء الدعوة الاسلامية، والساعي إلى نشرها والموت في سبيلها .

(توصيات البحث)

وبعد عرض نتائج البحث بصورة موجزة يمكن للباحث أن يقدم عدة توصيات للقائمين والمسئولين عن تربية الناشئة بصورة عامة ، حتى يمكن لهم أن يعدوا الأجيال تربية جهادية •

أولا : أن يكون هناك مادة مقررة واعتبارها مادة اساسية بعنوان (التربية الجهادية) في جميع المراحل الدراسية ابتداء من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية ، ويشمل هذا المقرر دراسة آيات الجهاد في القرآن الكريم ، وأحاديث الجهاد في كتب الحديث ، وفقه الجهاد في كتب الفقه ، وشيئا من شعر الجهاد مع حفظ بعض النصوص ، وكما يشمل تقديم فكرة عن الحركة الجهادية في الوقت الراهن •

حيث يوجد مايسمى في بعض البلدان العربية والاسلامية مادة بالتربية الوطنية أو التربية القومية ، وبالتالي نضيف على هذه المادة الطابع الاسلامي ، ومع ذلك فلابد من الطابع المحلي لكل بلد•

ثانيا : تدريس مادة السيرة النبوية الشريفة والتاريخ الاسلامي في تصورها الاسلامي وفي صيغتها الاسلامية حيّا تطبيقيا باستخلاص النتائج والعبر وربط الحاضر بالماضي • وكذلك يوصي الباحث المسئولين عن السياسة التعليمية في البلاد الاسلامية ضرورة تأليف المراجع في السيرة والتاريخ الاسلامي في صيغتها الاسلامية ، ومن ثم جعلها مقررات دراسية في المدارس ، على أن يتم ذلك في كل المراحل التعليمية بغض النظر عن طبيعة التخصص •

ثالثا : الاستفادة من المسرح المدرسي لتقديم التمثيليات البطولية الجهادية في المدارس .

رابعا : إقامة الدورات والمعسكرات في فترات محددة لتعويد التلاميذ على جو الرّجولة والحياة الجهاديّة ، وان يسند التدريب في هذه الدورات الى رجال يتحلون بالاخلاق الفاضلة والكفاءة العسكرية العالية .

خامسا : القيام بحملات إعلامية مكثفة تحثّ الناس على الجهاد الاسلامي ومساندة المجاهدين في كل مكان . وتقديم مسلسلات إذاعية وتليفزيونية لبيان حقيقة الجهاد الاسلامي وأهميته في حياة الأمة في الوقت الحاضر.

سادسا : انتاج أفلام سينمائية وتسجيل صوتي وشرائط فيديو تعرض حياة المجاهدين ومشاهير قادة الاسلام في التاريخ الاسلامي، وكذلك حياة المجاهدين وقضاياهم ، وأحوالهم في الوقت الراهن في أفغانستان وفلسطين وغيرها من البلاد الاسلامية .

سابعا : إصدار نشرات خاصة بالجهاد ، وتخصص صفحات عدة فيما تصدره المؤسسات الصحفية من مجلات ودوريات وجرائد.

ثامنا : الاهتمام بالأقليات المسلمة في جميع أنحاء العالم من قبل المسجد وجميع وسائل الاعلام ، ودراسة قضاياهم ومشاكلهم في جميع المراحل الدراسية في المدارس .

تاسعا : الاهتمام بالرياضة بروح اسلامية في المدارس في جميع الوسائل الاعلامية . بحيث يرتدي المدرب الأزياء الساترة وان يجنب جميع الحركات المثيرة .

عاشرا : فرض التجنيد الاجباري لجميع شباب الأمة الاسلامية حتى يتدربوا تدريبا عمليا على استخدام جميع أنواع الأسلحة الحديثة.

وفي الختام يوصي الباحث جميع الحكومات في البلاد الاسلامية وولاة أمور المسلمين في أنحاء العالم أن يهتموا بشباب هذه الأمة لاعدادهم إعدادا جهاديا .

ولذلك يجب عليهم أن يرسموا سياساتهم التعليمية وفق التصور الاسلامي حتى يكونوا قادرين على تحمل مسئولياتهم نحو أنفسهم وأمتهم.

واني وأنا أختم هذا البحث المتواضع لا أستطيع أن أقول إني قد أعطيته حقه من الدراسة ، أو بلغت مرتبة الكمال لأن هذا محال من البشر فكم من باحث طويل الباع ، يكتب بحثا اليوم ، ثم يراجعه غدا ، فإذا هو يقول : لو أنني قدمت هذا لكان أحسن ولو أخرت هذا لكان أحسن ، فغاية القول أني بذلت ما في وسعي - حسب ظروفي وحسبي أني حاولت إخراج الموضوع على هذه الصورة . فأن أصبت فبتوفيق الله تعالى وفضله وإحسانه وله الحمد والمنة ، وإن قصرت أو أخطأت - وهذه من طبيعة البشر - وأستغفر الله عز وجل .لان التقصير مني ومن الشيطان .

ولاشك أن التربية الجهادية في الاسلام موضوع طويل ، وهي تحتاج إلى دراسات ودراسات وما أردت في بحثي هذا الا إبراز الجانب التربوي من الجهاد ، وكذلك أن أثبت أن هناك تربية جهادية في الاسلام ، يجب تربية الناشئين عليها.

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

المصــــادر

(رتبت هجائيـا حسـب اللقــــب)

—

(أ)

١ – القرآن الكريم .

٢ – ابن تيمية ، أحمد بن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول (صلى الله عليه وسلم) تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ط ١ ، ١٣٧٩هـ ، (مصر : مطبعة السعادة) .

—————— : مجموع الفتاوى ، جمع : عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم وابنه محمد ، بلا تاريخ (الرباط : مكتبة المعارف) .

٣ – ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني : فتح الباري شرح البخاري ، ١٣٧٨هـ (القاهرة : مطبعة مصطفى البابي) .

٤ – ابن حزم ، الأندلسي : المحلى ، ط ٤ ، بلا تاريخ (بيروت : دار الفكر) .

٥ – ابن رشد (الحفيد) ، محمد بن رشد القرطبي : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ط ٢ ، بلا تاريخ (مصر : مكتبة الكليات الأزهرية) .

٦ – ابن رشد (القاضي) : المقدمات الممهدات ، ١٤٠٠هـ ، (بيروت : دار صادر) .

٧ – ابن عابدين ، محمد أمين : حاشية رد المختار على الدر المختار ، ط ٢ ، ١٣٨٧هـ (القاهرة : مطبعة مصطفى البابي) .

٨ – ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبدالله : أحكام القرآن ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط ٢ ، ١٣٨٧هـ ، (مصر : مطبعة عيسى البابي الحلبي) .

٩ – ابن قدامة ، المقدسي : المغني ، ط ؛ ، بلا تاريخ ، (مصر : مكتبة القاهرة) .

١٠- ابن قيّم الجوزية ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين ،ط ١ ،١٤٠٣هـ (بيروت : دار الكتب العلمية)٠

١١- ـــــــــــ : زاد المعاد في هدي خير العباد ،تحقيق : شعيب الأرنؤوط وأخوه عبدالقادر،ط ١٤ ، ١٤٠٧هـ (بيروت : مؤسسة الرسالة)٠

١٢- ابن كثير ،أبو الفداء، اسماعيل بن كثير الدمشقي : البداية والنهاية، ط ٢ ،١٩٧٤م ،(بيروت : مكتبة المعارف)٠

١٣- ـــــــــــ : تفسير القرآن العظيم ،ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، (بيروت : دار المعرفة)٠

١٤- ابن مبارك ،عبدالله : كتاب الجهاد ، تحقيق : نزيه حماد ، ط ١ ، بلا تاريخ ،(جدة : دارالمطبوعات الحديثة)٠

١٥- ابن ماجه ،أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني : السنن ،تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، ط ١ ،١٤٠٣هـ، (الرياض: شركة الطباعة العربية السعودية)٠

١٦- ابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين محمد : لسان العرب ، بلا تاريخ ، (القاهرة : دار المعارف)٠

١٧- ابن هشام ،أبو محمد عبدالملك بن هشام : السيرة النبوية ،تعليق : عمر عبدالسلام تدمري ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، (بيروت : دار الكتاب العربي)٠

١٨- ابن الهمام ،كمال : شرح فتح القدير ، ط ١ ، ١٣٨٩ هـ ، (مصر : مطبعة مصطفى البابي)٠

١٩- أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني : السنن ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ط ١ ،بلا تاريخ، (مصر : دار احياء السنة النبوية)٠

٢٠- أبو السعود ،محمد بن محمد العمادي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، بلا تاريخ ، (بيروت : دار الفكر)٠

٢١- الآلوسي ، أبو الفضل ، شهاب الدين السيد محمود : روح البيان : الطبعة الأخيرة ، ١٣٩٨هـ ، (بيروت : دار الفكر)٠

(ب)

٢٢- البخاري ، محمد بن اسماعيل الجعفي : الصحيح ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ (دمشق : دار ابن كثير)٠

٢٣- البوصري ،شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الكناني : مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ (بيروت: دار الجنان)٠

٢٤- البيضاوي ، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ١٤٠٤هـ ، (بيروت: دار الفكر)٠

٢٥- البيهقي ، أبو بكر ، أحمد بن الحسن : دلائل النبوة ،تحقيق: عبدالمعطي قلعجي ، ط ١ ،١٤٠٥هـ(بيروت: دار الكتب العلمية)٠

(ت)

٢٦- الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى : الجامع الصحيح ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ، (بيروت : دار احياء التراث العربي)٠

(ج)

٢٧- الجصاص ،أبو بكر أحمد بن علي الرازي : أحكام القرآن ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ ، (بيروت : دار الفكر العربي)

٢٨- الجوهري ، اسماعيل بن حماد: الصحاح ، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ (القاهرة : طبع على نفقة السيد حسن عباس الشربتلي)٠

(خ)

٢٩- الخازن ، علاء الدين علي بن محمد : لباب التأويل في معاني التنزيل ، ط ٢ ، ١٩٥٥م ، (مصر : مطبعة البابي).

(د)

٣٠- الدّردير ، سيدي أحمد : الشرح الصغير على أقرب المسالك ،ط٢ ، بلا تاريخ (القاهرة : الادارة العامة للمعاهد الأزهرية).

(ر)

٣١ الرّازي ، فخر الدين : التفسير الكبير والمسمى بمفاتيح الغيب ط ٣ ، بلا تاريخ (بيروت : دار احياء التراث العربي).

٣٢- الرّاغب ،الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، الطبعة الأخيرة، ١٣٨١ هـ (القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي).

(ز)

٣٣- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: الكشّاف ، الطبعة الأخيرة ، ١٩٧١م (مصر : مطبعة مصطفى البابي).

(س)

٣٤- السّرخسي ،شمس الدين: المبسوط ، ط ١ ، ١٣٨٩ هـ ،(مصر : مطبعة السعادة).

(ش)

٣٥- الشّيرازي ، أبو اسحق ابراهيم الفيروز آبادي : المهذب ، ط ٣ ، بلا تاريخ ،(مصر : مطبعة عيسى البابي).

(غ)

٣٦- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد : إحياء علوم الدين ، بلا تاريخ ، (مصر : مكتبة التجارية الكبرى).

(ف)

٣٧- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة).

(ق)

٣٨- القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن ، ط ٢ ، ١٣٨٧هـ ، (القاهرة : دار الكتاب العربي).

(ك)

٣٩- الكاساني ، علاء الدين بن مسعود : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، ط ٢ ، ١٣٩٤ هـ ، (بيروت : دار الكتاب العربي).

(م)

٤٠- مسلم ، أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج النيسابوري : الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، بلا تاريخ ، (مصر : مكتبة عيسى البابي).

٤١- مالك بن أنس : الموطأ ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، بلا تاريخ (مصر : مكتبة عيسى البابي).

(ن)

٤٢- النسائي ، أبو عبدالرحمن ، أحمد بن شعيب : السنن ، بشرح الحافظ السيوطي وحاشية الامام السندي ، ترقيم : عبدالفتاح أبو غدة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ (بيروت : دار البشائر الاسلامية).

(و)

٤٣- الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد : أسباب النزول ، ط١ ، ١٩٨٣م ، (بيروت : مكتبة الهلال).

٤٤- الواقدي ، محمد بن عمر : المغازي ، تحقيق : مارسدن جونسون بلا تاريخ ، (بيروت : عالم الكتب).

(ي)

٤٥- ياقوت ، الحموي : معجم البلدان ، ١٤٠٤هـ ، (بيروت : دار صادر).

(المراجـــع)

(رتبت هجائيـا حسـب اللـقـــب)

(أ)

١ ـ إبراهيم ، نور الحـق : الإعلام والجهاد ،ط ١ ،١٤٠٩هـ،(المدينة المنورة : مكتبة الايمان)٠

٢ ـ ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير : ١٩٨٤م ، (تونس : دار التونسية للنشر)٠

(ب)

٣ ـ الباني ، عبدالرحمـــن : مدخل إلى التربية في ضوء القرآن ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ،(المكتب الاسلامي)٠

٤ ـ البوطي ، محمد رمضـان : فقه السيرة ، ط ٧ ، ١٣٩٨هـ،(دمشق : دار الفكـر)٠

(ج)

٥ ـ جابر،عبدالحميد جابر ، وأحمد خيري كاظم : مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ١٩٧٨م، (القاهرة : دار النهضة العربية)٠

٦ ـ جوهري ، طنطاوي : الجواهر في تفسير القرآن الكريم ،ط ٢ ، ١٣٥٠ هـ ، (مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي)٠

(ح)

٧ ـ حـوّى ، سعيد : جند الله ، ط ٣ ، ١٣٩٩هـ (بيروت : دار الكتـب العلمية)٠

(خ)

٨ ـ خطاب ، محمود شيـت : الرسول القائد ، ط ٢ ،١٩٦٠م(بيروت: دار مكتبة حياة)٠

٩ ـ خفاجي ، محمود أحمـــد : العقيدة الاسلامية ، ١٣٩٩ هـ ٠

١٠ـ خالدي ، مصطفى ، وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية
١٩٨٢م ، (المكتبة العصرية الحديثة)

(د)

١١ـ الدّقس ، كامل سلامـــة : الجهاد في سبيل الله ،ط٢ ، ١٤٠٩ هـ ،
(بيروت : مؤسسة علوم القرآن)٠

١٢ـ الديلمي ، عبدالوهاب بن لطف : معالم الدعوة في قصص القرآن ،ط١،
١٤٠٦ هـ ، (جدة : دار المجتمع)٠

(ز)

١٣ـ الزحيلي ،وهبـــة : آثار الحرب في الفقه الاسلامــي ،ط ٢،
١٤٠٣ هـ ، (دمشق : دار الفكر)٠

١٤ـ الزركلي ،خير الديـــن : الأعلام ، ط ٦ ، ١٩٨٤م ،(بيروت :دار
العلم للملاييـن)٠

١٥ـ زغروت ، محمد محمد ابراهيم : مجلة التوعية الاسلامية في الحـــج،
العدد الرابع ، عام ١٤٠٨هـ ، (مكـــة
المكرمة : التوعية الاسلامية في الحج)٠

١٦ـ زهران ، حامد عبدالسلام : علم نفس النمو ، ط ٤ ، ١٩٨٢م (القاهرة
عالم الكتب)٠

(ش)

١٧ـ شديد ، محمـــد : الجهاد في الاسلام ، ١٤٠٤هـ ،(بيروت :
مؤسسة الرسالـة)٠

(ص)

١٨ـ الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير ، ط ٤ ،١٤٠٣هـ(بيروت:
دار القرآن الكريم)٠

١٩ـ ـــــــــــــ : قبس من نور القرآن الكريم ،ط ١ ،١٤٠٧هـ
(دمشق : دار القلم)٠